# الخناس

الجزء الثاني من (أولاد لوسيفر)

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

# إهداء

إهداء إلى والدي البروفيسور رمضان عبد الله، أهدي إليك عملي التاسع وأنا أشعر بألم رهيب يجتاح صدري لأن هذا هو عملي الأول بعد رحيلك.

بعد رحيلك فقدت شغفي ولم أعد تلك الفتاة المفعمة بالطاقة، لا أدري لِمَ انطفئت شمعة شغفي برحيلك. . . !

بل الحقيقة لم تنطفئ شمعتي فقط بل أنا انكسرت كذلك.

هل تتوقع يا أبي أن رانيا تنكسر وتعترف بهذا الاعتراف على الملأ.

أنت من علمتني القوة وفي وجودك لم يكن يهمني فقدان أي شيء، لا فقد الأصدقاء أثر بي ولا فقد الأحبة شق لي قلبي ولا فقد المال شغل بالي، كان بداخلي يقين أن أي شيء أفقده بسهوله يمكن أن أعوض بغيره،

ما أكثر الأصدقاء والأحبة ومصادر المال، إلا أنت لا يمكن أن تعوض، لا يوجد لك بديل يا أبي.

كنت أظن أني قوية إلى يوم فراقك حينها ذقت معنى الألم ولم أعد قادرة على الوقوف، شعرت حينها أن كل معاني ومصادر القوة تخلت عني .

بعد رحيلك ومرور الشهور على موتك بقيت أنا محلي سر لا أحرك ساكنًا ، اكتشفت أنك لست مصدر قوتي فقط بل مصدر شغفي كذلك .

كنت أتحدى نفسي كي أقوم بإكمال عمل جديد قبل أن اقابلك كي أهرع إليك عند لقائي بك وأقول لك كطفلة صغيرة أكملت للتو واجبها المدرسي وترغب في رؤية نظرة الفخر والتشجيع في عيني والدها .

برحيلك اكتشفت أنى لن أرى هذه النظرة مرة أخرى .

ولكن هذا كان حالي إلى أن قابلتك في المنام ومعك ذاك الكتاب حينها شعرت بدفيء رهيب من لقائك ومن هذا الدفيء ولدت شرارة كانت كفيلة أن تشعل شمعة شغفي من جديد كي استمر فيما بدأته، وكي أكمل حلمي واترك أثري في الحياة، وأثري وأثرك واحد ، سوف أفعل كل ما بوسعي كي أجعل اسمك خالدًا في الحياة يا والدي .

أعمال بنت البروفيسور رمضان عبد الله سيكون لها صيت يا عزيزي ولن أكِل أو أمِل إلى أن أخلد أسمك قبل أسمي .

ونظرة الفخر التي كنت أشعر بها دفينة في عينيك تجاهي سوف أراها في عين كل من حولي بعون المولى إلى أن ألقاك على خير يا والدي العزيز .

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

# دقيقة من وقتك عزيزي القارئ

أعلم أني أثقلت عليك بهذا الإهداء الطويل الذي يحوي على قدر كبير من ثرثرة شخصية لا دخل لك بها ولكن أنا عشمي بك كبير أن تتحملني دقيقة أخرى وتقرأ الفاتحة لوالدي البروفيسور رمضان عبد الله ولا تنسى أن تجعل النية شاملة لكل أموات المسلمين والمؤمنين كي تُرسل كرحمة لهم تغمدهم إلى أن نلتقي بهم حين يشاء المولى، على أمل أن نلتقي بهم في جنات النعيم .

تكفي ثرثرة جانبية ولندخل في صلب الموضوع،

تنفس الصعداء عزيزي القارئ ولنبدأ مغامرتنا الجديدة .

## (الخناس)

الجزء الثاني من (أولاد لوسيفر)

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

# المقدمة

هل يا ترى لو تركنا العقل والمنطق جانبًا

وتركنا القلب يمسك دفة القيادة ويكون له السيطرة التامة على جوارحنا . . .

إلى ماذا سوف يقودنا . . . ! ؟

جنة في الدنيا . . . !

أم حافة على جرف هارٍ سوف تؤدي في النهاية إلى عمق الجحيم . . . ؟

وما زال في هذا الجزء الصراع مستمر بين

بني أدم "الأنس" وبني لوسيفر "الجن"

فلمن سيحسم الصراع في هذه المرة . . . ؟ !

خليفة الله أم خليفة لوسيفر . . . !

# الفصل الأول

## الزفاف

{مارس عام 2047}-مدينة السادس من أكتوبر-مصر

سيارة نفاثة هوائية فضية اللون تحلق في الهواء يظهر بداخلها شاب وسيم ذا عيون رمادية خضراء وملامح عربية جذابة ينظر على المقعد الذي بجواره حيث تظهر فتاة سمراء اللون يظهر على ملامحها التعب والإرهاق الشديد فيحاول أن يوقظها:

-فريدة حبيبتي هيا استيقظي لقد اوشكنا على الوصول.

تتحرك في مقعدها وتدير وجهها تجاه النافذة وتتمتم بتعب:

-لا توقظني إلا عندما نصل، لم أنم جيدًا بالأمس يا زين.

ها هي السيارة تهبط من الجو وتطير على ارتفاع بسيط على طريق الأرض.

ها هو زين للمرة الثانية يترك مقود السيارة ويلتفت لجميلته فريدة ويلمس وجهها برفق وبسعادة ولهفة همس لها:

-حبيبتي ريدا، هيا لقد وصلنا المجمع الخاص بك و . . .

قاطعته فريدة وهي تلتفت له بهدوء ونظرت له نظرة ناعسة وهمست بصوت واهن:

-أشعر أن عقلي يؤلمني جدًّا يا زين.

ألقى زين نظرة على الطريق ومن ثم التفت لفريدة من جديد وأمسك بيدها وقبلها وتمتم برفق:

-انسي التعب يا ريدا ها نحن على بُعد خطوات من تحقيق حلمنا وسنبدأ حياة كلها حب وراحة فقط ولكن عليكِ أن تلتزمي بوعدكِ لي . . . !

نظرت له فريدة بتردد وتنهدت في تلك اللحظة التفت زين بحزن للطريق ولكن في تلك اللحظة كان الوقت قد فات لأن السيارة ارتطمت بأحد المارة، ارتطام قوي.

قوي جدًا . . .

صرخت فريدة من هول الصدمة وظلت مكانها مذهولة ولكن زين هرع مسرعًا خارج السيارة.

ها هو يرى شاب يحاول الوقوف مستند على السيارة بيد واليد الأخرى يضم كلب صغير ذهبي اللون لا يتوقف عن النباح وها هو زين يمد له يده كي يساعده على النهوض ويتفحصه بنظره كي يطمئن عليه، وبلهجة متوترة:

-هل أنت بخير. . . ؟

في هذه اللحظة كانت فريدة تنظر للمشهد من داخل السيارة فرأت أمامها شاب غطى وجهه شعره الطويل، ومن ثم التفت الشاب وأعطاها ظهره ومن ثم تمتم لزين:

-لا تقلق . . . أنا بخير، كل ما الأمر أني كنت ألحق بكلبي و . . .

لم يكمل كلامه لأن زين قاطعه بأسى وهو يضع يده على كتفه:

-لا والله يجب أن تركب معنا حالاً كي يتم فحصك في المستشفى كي أطمئن عليك، صدقني لم أرك بسبب ظلمة الليل و . . .

بابتسامة محببة للنفس نظر الشاب لزين وهو يربت على رأس الكلب كي يهدأ من نباحه وصدمته:

-لا داعي صدقني، ها هي فيلتي سوف أرتاح قليلاً وكل شيء سيكون على ما يرام.

ابتسم له زين وصافحه وأردف:

-وهذه هي فيلتنا أيضاً موزاية لفيلتك لذا تقبل صداقتي وأني أرغب بزيارتك بعد بضع ساعات تكون ارتحت قليلاً، ستكون زيارة سريعة فقط لكي يطمئن قلبي، هل ستكون مستيقظ . . . !

هم الشاب بضم كلبه وبدأ في المشي وكأن لم يصطدم بالسيارة قط ومن ثم التفت لزين بضحكة بشوشة:

-من دون استأذن يا صديقي تنورني وقتما تشاء وسأكون بانتظارك .

لوح له زين مودعًا إياه:

-إلى اللقاء يا . . . !

-خالد . . . أنا خالد يا . . . !

-زين أخوك من فلسطين .

وقف خالد أمام باب فيلته ونظر بفرحة لزين:

-إذن أنا في انتظارك يا غالي ويا مِن أغلى البلاد على قلبي .

ها هو زين يهم واقفًا أمام باب سيارته ويهم بفتحها :

-على الموعد يا جدع كما تقولون يا من مِن بلد الرجال .

بدأ زين يقود سيارته وفريدة تنظر له بقلق وسألته بحيرة:

-هل هو بخير . . . ؟ كيف . . . !

قطع زين كلامها وكأنه يعلم السؤال الذي تنوي أن تسأله إياه:

-لا أدري كيف خرج منها سليم يا فريدة . . . !

نظرت فريدة بقلق لزين:

-الحمد لله ولكن يجب عليك أن تنتبه للطريق أو فعل خاصية الأمان والقيادة الذاتية يا زين، أرجوك أنا . . .

أوقف زين السيارة أمام الفيلا ومن ثم التفت لفريدة وأمسك يدها ونظر لها برومانسية بعينيه الرمادية التي اختلطتا بالأخضر الساحرتين وهمس لها:

-هل تخافين عليّ يا ريدا . . . ؟ !

ابتسمت له فريدة بخجل:

-ليس لي سواك يا زين ولا أريد سواك .

امسك زين يدها وتمتم لها وهو مقترب منها :

-أتحبينني يا ريدا . . . ؟

-إن لم أكن أحبك لما كنا هنا الآن .

-حسنًا ولكن عليكِ أن تعطي لي جهاز السفر عبر الزمن، لا أريدك أن تستمري باستخدام هذا الجهاز و . . .

قاطعته فريدة بحزن:

-ولكن يا زين أنت تعرف إن هذا الجهاز* مهم لي لأني من خلاله أقابل أبي و . . .

سحبها زين في حضنه ومسح على شعرها الأسود الحريري:

-لا تحزني يا حبيبتي، أنا أعلم إن هذا الجهاز مهم بالنسبة لكِ لأنك تقابلين والدك ولكن لا تنكري أن هناك مغامرات أخرى يسحبك فضولك إليها ، وعقلك تشتت

كثيرًا هذه الفترة، لذا أرجوكِ دعي الماضي وراء ظهرك وعيشي الحاضر معي وهيا نخطط للمستقبل وكفى .

خرجت فريدة من حضنه وعينيها تترقرق بالدمع:

-ولكن يا زين . . .

قاطعها زين بحزم ولكن عينيه بها حنو الدنيا :

-من دون لكن يا ريدا ، دعينا نعيش الواقع وكفى لا داعِ للرجوع للماضي ولا حتى تذكره أو الندم عليه، تحرري من سجن الماضي .

-حسنًا يا زين أعدك لن استخدمه أبدًا .

مد لها زين يده تجاه حقيبتها ، فنظرت له فريدة بتردد وتمتمت:

-قلت لك يا زين أعدك ألا استخدمه، هل وعدي لا يكفيك .

*لمعرفة المزيد عن مغامرات فريدة وحكاية جهاز السفر عبر الزمن عليكم بقراءة الجزء الأول من رواية أولاد لوسيفر .

زين قال لها بنبرة صوت بها حزم ولكن اسلوبه اسلوب توسل:

-أرجوكِ يا ريدا دعيني أبدأ حياتي معكِ وأنا غير قلق عليكِ . . . أرجوكِ . . . !

أومأت ريدا رأسها بأسى وقامت بإخراج الجهاز من حقيبتها فهم زين بأخذه ومن ثم خرج من السيارة، ومن ثم هم تجاه باب فريدة وفتحه لها ونظر لها برومانسية وبمجرد أن نزلت ريدا ابتسمت له فهم معانقًا إياها ، ومن ثم بمجرد أن خرجت فريدة من حضنه قام بتحطيم الجهاز حينها شعرت فريدة أن قلبها هو الذي تحطم، ومن ثم سحب فريدة وهمّا بدخول الفيلا .

فُتحت بوابة الفيلا بمجرد تعرفها على وجه فريدة، ومن ثم بمجرد أن دخلا بهو الفيلا كانت وتين تجلس تقرأ كتاب وتحتسي قهوتها كالعادة، بمجرد أن سمعت الباب يفتح همت بترك الكتاب وقامت بلهفة فهرعت إليها فريدة وعانقتها بشدة وها هو زين يقف متأثرًا ، وبمجرد أن خرجت فريدة من حضن أمها بعد الكثير من القبل ونحيب النساء المعهود المرتبط بالسعادة والحزن، نظرت وتين بتعجب لزين ومن ثم سألت فريدة بابتسامة وهي تكزها في ذراعها :

-من هذا الوسيم . . . ؟ لم تخبريني عنه شيء .

هنا نظرت لها فريدة ضاحكة ومن ثم همت تجاه زين وسحبته تجاه أمها :

-ومنذ متى وأنا أخبرك بشيء يا وتين . . .

هنا قاطعها زين ضاحكًا خجلًا :

-توقفي يا فريدة عن مزحك ذا ، أنا زين واسمحي لي أن أقول لكِ يا أمي .

عانقته وتين وهي تمسح على شعره وابتسمت وعينيها تترقرق بالدمع بمجرد سماعها كلمة أمي منه، فهمست له بمجرد أن أخرجته من حضنها وهي تلمس وجهه بيدها :

-قل ما تشاء يا بني، فكم كنت أتمنى أن أنجب ولدًا ولكن فريدة بطبعها الذكوري جعلتني أشعر أن الله لم يحرمني قط .

من ثم ضحكت وهي تنظر لفريدة ولكن فريدة وكزتها غاضبة ضاحكةً:

-أخ منك يا وتين، لم أكمل 5دقائق وها أنتِ بدأتي الحرب لذا تحملي . . .

***

بعد مرور بضع ساعات ها هو زين ينقر على جهاز الإنذار كي ينتبه من بالداخل أنه بالخارج، ها هي الشاشة الملحقة بالجهاز تظهر مقسومة نصفين، نصف به زين ونصف به خالد هم خالد مرحبًا بزين:

-أهلًا زين تفضل يا رجل سيصاحبك الروبوت للأعلى .

ها هو زين بمجرد أن دخل حديقة الفيلا رأى الكلب مربوط وينبح بشدة، ولكن زين لم يكترث له وأقدم على دخول باب الفيلا الداخلي وها هو رأى بهو الفيلا المظلم الضخم ذا الأثاث الغريب الكئيب، يصعد الدرج وهو ينظر لكل شيء بتعجب بسبب الديكور الغريب الخاص بالفيلا، فيلا لا يوجد بها ألوان سوى الأسود الذي سيطر على أغلب الفيلا والقليل من الأحمر القاتم .

ولا يوجد أي مصباح مشتعل في الفيلا، بل إنه اكتفى فقط بإضاءة الشموع الهادئة .

ها هو الروبوت يفتح لزين باب غرفة خالد . . .

دلف زين بداخل الغرفة بخطوات بطيئة مترددة بسبب أنه متعجب من هذا الجو المغلق المكتوم في غرفته حيث لا نافذة ولا شرفة حتى مفتوحة، ولكن سرعان ما قطع شروده صوت خالد مهللاً له بقدومه بصوت تخلله الوهن:

-أهلاً يا زين . . . أعذرني يا صديقي لم استقبلك بالأسفل لأني أشعر بإعياء سامحني .

من ثم أمسك رأسه وظهرت على ملامحه الوهن، فنظر له زين بقلق وهم بالجلوس بجواره:

-ماذا بك يا خالد . . . ؟ لقد كنت بخير منذ بضع ساعات . . . !

أخذ خالد مساكة شعره وقام برفع شعره الطويل فظهرت ملامحه الباهتة الشاحبة التي لم يلاحظها زين أثناء الحادث لأن الكمامة والشعر كان يغطي أغلب وجهه ومن هول الصدمة لم يركز به قط .

تمتم زين بقلق وتوتر:

-خالد أنت شاحب جداً يجب أن تأتِ معي حالاً للمستشفى لا يمكن أن أتركك هكذا و . . .

قاطعه خالد مبتسمًا بوهن:

-لا تقلق في الغد سأكون بخير .

-ولكن إن لم تكن بخير في الغد ماذا أفعل حينها . . . ؟

-حينها سأذهب معك للمشفى لا تقلق يا زين .

هم زين بالوقوف وهو قلق وأردف:

-حسنًا سوف أتركك ترتاح قليلاً وفي الصباح سوف أطمئن عليك . . .

اتفقنا . . . !

-اتفقنا يا صديق . . .

ها هو زين ينزل الدرج وشعلات الشمع تتحرك وكأن هناك حركة هواء كثيرة داخل البيت بالرغم أن الجو لا يسمح بذلك قط، استحالة في مصر في مارس تكون هناك رياح قوية في ذلك الوقت . . . تعجب زين ولكن لم يركز لتساؤلاته وقرر أن يخرج مسرعًا من هذا البيت .

ولكن بمجرد أن اقترب من باب الفيلا ها هو يرى الباب يتحرك برفق وكأن الرياح لها يد في ذلك ولكن لا توجد رياح، ولكن بمجرد ما كان زين يهم بالمرور من الباب أغلق في وجهه، ومن قوة ارتطام الباب اطفأت كل الشموع المشتعلة، وحل صمت رهيب قطع هذا الصمت نباح الكلب كأنه يواجه خطر ما ولكن سرعان ما تحول نباحه إلى نواح واهن إلى أن تلاشى . . . تلاشى تدريجيًا . . . تلاشى تمامًا .

هنا قرر زين أن ينادي على خالد بصوت عالٍ جدًا تخلله الخوف:

ـخالد . . . خالد هل يمكن أن تفتح لي باب الفيلا إذا سمحت .

لم يسمع أي رد . . . لم يسمع إلا صوت الصمت وكفى . . .

كرر ندائه بقلق وهو يهم بلمس حجر خاتمه فأنبعث منه شاشة منبثقة تظهر محتواها من الأمام ومن الخلف مبهمة، فاختار منها شعاع مضيء ومن ثم هم صاعدًا تجاه الدرج من جديد ، هنا زادت الرهبة بداخله أكثر من الفيلا وديكورها المقيت بمجرد سقوط الضوء المنبعث من حجر زين لأن حجر خاتمه هو الحجر الروبي أي الأحمر القاتم، ولكن الذي جعل قلبه يسقط في رجله بمجرد ما سقط الضوء على لوحة امرأة في الخمسين من عمرها باكيةً وتحرك له رأسها أي لا . . .

هنا انتفض جسده للخلف كردة فعل لذعره مما رأه، ولكن بمجرد أن مسح عينه لم يرى سوى صورة المرأة مبتسمة وبجوارها خالد واقفًا مبتسمًا كذلك .

التقط انفاسه بعد ما أثلج الدم في عروقه من هول الموقف، أكمل صعوده وهو يحاول أن يتمتم بصوت خافت:

-إنه إرهاق السفر يا زين، كل ما أحتاج إليه النوم وكفى .

هنا طرق الباب على خالد ولكن لم يصله أي رد فبدأ ينادي عليه بقلق:

-خالد . . . هل أنت بخير يا خالد . . . ؟ خالد . . . !

هنا قرر أن يفتح الباب عليه ودخل الغرفة المظلمة وبمجرد ما سقط ضوء مصباحه على سرير خالد وجده فارغ.

ومن ثم نظر للغرفة فوجد أن شرفة غرفته صارت مفتوحة على عكس عندما دخل أول مرة.

ها هو زين يقدم تجاه الشرفة وهو ينادي بصوت متردد:

-خالد . . . ! هل أنت . . .

لم يكمل ندائه إلا وشعر بيد باردة توضع على كتفه، هنا قفز مذعورًا صارخًا والتفت مسرعًا وبمجرد أن سقط ضوء مصباحه ورأى من أمامه وسمع الصوت هدأ قليلًا:

-ماذا بك يا زين . . . ؟ ولماذا أنت هنا . . . ! كنت أظن أنك رحلت عندما سمعت صوت الباب قد أغلق.

ازدرت زين لعابه وتنفس الصعداء وحاول أن يتمالك اعصابه:

-لا يا خالد بل الباب أغلق قبل أن أخرج مباشرةً لذا نديت عليك ولكنك لم تسمعني . . .

ها هو خالد يبتسم وهو يعبث بساعته فانبثقت منها شاشة فقام بتفعيل إضاءة الشموع الإلكترونية وتمتم ضاحكًا :

-سامحني يا صديقي، كنت اقضي حاجتي فلم أسمعك .

ظل زين ينظر له بقلق ولكن خالد أكمل كلامه:

-لا تؤاخذني ولكن توجد مشكلة في اعدادات الكهرباء في البيت يجب من حين لآخر أن أقوم بضبطها .

هنا يحاول زين أن يفق من شروده وتساؤلاته ويقرر أن يهم خارج الغرفة متمتمًا :

-ولا يهمك يا صديق، يكفي إنك بخير .

هنا قال له خالد بصوت عالٍ كي يوقف زين وهو عند باب الغرفة:

-هل ترغب في أن أوصلك للخارج. . . ؟

التفت له زين مترددًا وأردف:

-لا يوجد داعي، أعرف الطريق جيدًا . . . ارتح أنت الآن .

ابتسم له خالد ، فابتسم له زين بابتسامة تخللها القلق وهم بالنزول .

وبمجرد وصوله بهو الفيلا وجد أمام الباب المفتوح يقف الروبوت الذي عاد للعمل من جديد بعدما تعطل مع باقي أجهزة البيت منذ قليل .

خرج زين من الفيلا وها هو يلتفت للفيلا الذي تعجب من بساطة مظهرها الخارجي وغرابة ما بداخلها .

ولكن بمجرد أن اقترب من باب الفيلا التفت حوله متذكرًا صوت الكلب ولكنه لم يجده في أي جزء من أرجاء الحديقة، ولكنه قرر ألا يكترث وهم عائدًا لفيلا فريدة .

***

ها هو زين يرمي جسده على كرسي في الصالون يغمض عينيه، من ثم شعر بيد تلمس يده ففتح عينيه فزعًا ولكن قطع فزعه صوت فريدة مطمئنة إياه:

-ماذا بك يا زين . . . ؟

عدل زين من جلسته وتنفس الصعداء ونظر لفريدة بتعب ولكن سرعان ما رسم ابتسامة والتمعت عينيه بالحب بمجرد شعوره بالأمان برؤيتها ، ومن ثم همس لها :

-أنا على ما يرام طوال ما أنت معي يا فريدتي .

ابتسمت له فريدة بلين ومن ثم همت واقفةً وقامت بسحبه تجاهها كي يقف، ومن ثم همست له:

-عليك أن تصعد وتنام في غرفتك لقد جهزتها من أجلك .

ها هما يصعدان الدرج ومن ثم التفتت له فريدة بلهفة وقالت:

-نام وارتاح يا حبيبي، غدًا وراءنا الكثير من المهام علينا أن ننجزها .

-أهلي سوف يصلون من فلسطين ولندن خلال هذا الأسبوع، سيكون اسبوع مرهق ولكن علينا أن ننجز كي يأتِ اليوم الذي نتمناه .

تنظر له فريدة بخجل وهما يقفان أمام باب غرفته وتهمس له بحياء :

-توقف عن نظرتك تلك يا زين .

-لي الحق أن أفعل ما اشاء ستكونين زوجتي بعد بضعة أيام .

ومن ثم سحبها لحضنه ولكنها ابعدت نفسها عنه بتمنع ودلال وابتسمت:

-ها أنت قلت بعد بضعة أيام . . .

ومن ثم هرعت تجاه باب غرفتها ومن ثم نظرت له مبتسمة بدلال، ولكنه تبعها لباب غرفتها ولكنها منعته بيدها ضاحكةً:

-تصبح على خير يا من ستكون زوجي بعد أسبوع .

وأرسلت له قبلة في الهواء ومن ثم أغلقت الباب، وها هو زين ما زال واقفًا شاردًا في جمالها بعدما التقط قبلتها من الهواء .

من ثم سمعت فريدة همس:

-احبك يا عجيبتي .

من ثم مشى متبخترًا تجاه غرفته والسعادة تغمره ونسى ما مر به في بيت خالد .

وبمجرد ما ألقى جسده على سريره غاص في نوم عميق والبسمة على وجهه وهو يضم وسادته . . .

في غرفة فريدة بعدما كانت تدور من الفرحة ها هي تقف شاردة أمام مرآتها بمجرد سماعها كلمة "أحبك يا عجيبتي" .

ها هي فريدة تنظر لنفسها في المرآة وتكلم نفسها بتعجب:

-هذه أول مرة يقول لي فيها زين يا عجيبتي، بل لم يقل لي أحدًا هذه الكلمة سوى فارس . . . !

ها هي تلتفت من أمام المرآة وتصفع وجهها وتقول في قرارة نفسها :

-فارس، لقد انتهت تجربتك مع فارس منذ أكثر من تسع سنوات، وها أنتِ سوف تتزوجين فلا يصح أبدًا أن تفكري في أحد سوى زين، زين وكفى . . .

ومن ثم تمددت على السرير وأغمضت عينيها وبدأت في النوم .

***

ها هي فريدة ترتدي فستان أحمر وشعرها الأسود الطويل الحريري يطير في الهواء، وعلى رأسها تاج ذهبي كبير مرصع بالمجوهرات وخاصةً الحجر الروبي، ها هي تمشي في مكان مثل الملكات، تمشي في مكان كله زرع وأشجار وأنهار إلى أن وصلت لمكان به عرش ذا كرسيين، يجلس على أحدى الكرسيين شاب وسيم ذا ملامح عربية وشعر طويل يصل للمنكبين ويرتدي ملابس بيضاء أشبه بالملوك في العصور القديمة وتاج ذهبي ضخم وحوله الكثير من الفتيات الفاتنات يرتدن فساتين بيضاء وشعرهن طويل أسود حريري يحومن حوله والبعض منهن تحت قدميه ولكنه عيونه زائغة ويلتفت حوله إلى أن تقع عينيه على ذات الفستان الأحمر التي تمشي في الحديقة

لا تدري وجهتها ، ها هو يهم واقفاً تاركاً خلفه الفاتنات ويهرع خلفها إلى أن وصل إليها فأمسك بذراعها ، فالتفتت إليه فذاب في سحر عينيها وهي شردت في عينيه السوداء المكحلة وشعرت أنها وجدت وجهتها أخيرًا ، ها هو سحبها وها هي تجري معه وهي تطير من السعادة إلى أن وصلا أمام العرش، هنا وقفت ذاهلةً، فنظر لها وأومأ لها أي تفضلي، هنا اصطفت الفتيات عن يمين ويسار العرش، وها هو قد أمسك بيدها وأجلسها على العرش بجواره ومن ثم نظرا لبعضهما البعض وابتسما و . . .

-فريدة . . . فريدة استيقظي يا حبيبتي، ها قد صرنا الظهر يا عزيزتي .

ها هي فريدة تمسح وجهها بيدها وتنظر لأمها وتتمتم متعجبةً:

-أين أنا . . . ؟

ها هي أمها تجلس بجوارها وتمسح على شعرها وقالت لها مبتسمةً:

-هذا هو الحال يا حبيبتي عندما نترك مكان معتادين عليه ونذهب إلى مكان أخر نشعر أننا مثل التائهين، وأنا أعلم جيدًا أنكِ متعبةً من السفر لذا تركتك ترتاحين إلى الآن.

***

قبل الزفاف بيوم ها هي فريدة تسأل زين بلهفة وهو يهم بالخروج:

-إلى أين ستذهب يا زين . . . ؟

-سأذهب لكي أطمئن على خالد . . . منذ أن ذهبت إليه في يوم وصولنا لم يخرج قط ولم يسمح لي بزيارته حتى، أقصى شيء يطمئنني عليه برده عليّ من خلال جهاز التنبيه الملحق بالبوابة.

-إذن دعه على راحته.

-لا، بل أريده يحضر زفافنا، أريده أن يختلط بنا، لا أدري لِمَ هو معتزل كل شيء هكذا . . .

-لِمَ تشغل بالك به إلى هذا الحد يا حبيبي . . . ؟

-أشعر أن وراءه سر . . . حياته مليئة بالغموض يا فريدة، أنتِ لم تري فيلته من الداخل، إنها . . .

قاطعته فريدة بلهفة وأمسكت يده:

-ولِمَ تصفها وتحكي لي ما رأيت وبإمكاننا أن نراها سويًا .

-ولكن يا ريدا . . .

-أششش أنت تعرف جيدًا أني أحب المغامرات كثيرًا والغموض وأظن ليس لك مانع بما إنك معي . . . !

-ولكن الموضوع لا يستحق كل هذا الحماس كل ما في الأمر أن . . .

قاطعته فريدة وهي تسحبه من يده وهي تخرج من باب الفيلا:

-لا توضح لي شيء دعني أحكم أنا على الأمر بنفسي إن كان يستحق أم لا . . .

-يا لكي من عنيدة، ولكني أعشقك.

ابتسمت له فريدة وها هما يجريان في الشارع ويضحكان بطفولية برغم عمرهما الذي تجاوز ال27 عام.

ها هي فريدة تسبق زين وترن جرس الفيلا قبل أن يضع أصبعه على الجرس بثواني، ها هما يضحكان ويلهثان ولكن سرعان ما يقطع ضحكهما صورة خالد المنبثقة من الشاشة...

هنا أخذت فريدة نظرتها الجادة الحازمة الذكورية مرة أخرى بمجرد سماعها للصوت، وبمجرد أن نظرت للشاشة لم تلمح ملامح خالد جيدًا لأن شعره الطويل يواري أغلب وجهه بالإضافة إلى إضاءة غرفته الخافتة، ظهر صوت خالد الواهن:

-أهلًا، أهلًا زين...

هم زين قائلًا بأسلوب معاتب بعض الشيء:

-هل تسمح لنا بزيارتك يا أستاذ خالد لا يصح كل يوم لقائنا يكون هكذا...

أعطى خالد أمر للبوابة ففتحت لهما وها هما يدلفان بداخل الحديقة ومن ثم داخل الفيلا المفتوح بابها لهما على مصراعيه، وبمجرد دخولهما أُغلق الباب مرة واحدة فصدر عنه صوت مُقبض وعالٍ جدًا وخاصة أن فيلا خالد خالية تقريبًا من الأثاث.

فريدة ذعرت بمجرد سماعها للصوت فأمسكت يد زين، فقام باحتوائها بذراعه وها هم يقدمان تجاه الدرج، ولكن فريدة تمتمت بقلق عندما رأت الضوء يخفت:

-لِمَ بيته غريب هكذا . . . ؟

حاول زين أن يقلل من قلقها وبصوت مطمئن همس لها:

-لا تقلقي يا عزيزتي، كل ما في الأمر أن خالد قال لي أن بيته يوجد به خلل في الأجهزة لذا كل شيء لا يعمل بشكل جيد.

ولكن كلما صعدا أكثر وأكثر كل ما وجدت فريدة الإضاءة المهتزة تزداد حدة أكثر، إلى أن وصلا لغرفة خالد، الضوء برغم اهتزازه صار قوي وكل شيء صار واضح للرؤية.

ها هما يطرقان الباب فسمح لهما خالد بالدخول.

كان خالد ممددًا في سريره، إلى أن اقتربا زين وفريدة وجلسا على الأريكة على يمين باب غرفته والمقابلة لسريره الضخم بشكل مبالغ فيه ذا الأعمدة الخشبية السوداء.

تنحنحت فريدة ومن ثم أردفت:

-ألف سلامة عليك يا أستاذ خالد . . .

وبمجرد ما سقطت تلك الكلمات على أذن خالد ها هو جسده انتفض بقوة على السرير كمن أصابه الصرع، فهما كل من فريدة وزين إليه قلقان وصرخا:

-خالد . . . خالد . . . ماذا بك هل أنت بخير . . . ؟!

ها هو زين يحاول أن يمسك بيد وفريدة من جانب أخر أمسكت باليد الأخرى، ولكن بمجرد أن لمست يد فريدة يده هدأت حركته، وبمجرد ما هدأ تنفسا كل من فريدة وزين الصعداء وجلس كل منهما بجواره في اتجاه.

قال له زين بقلق:

-ماذا بك يا خالد . . . ؟مما تعاني . . . ؟ أخبرني يا صديقي . . . ؟

حاول خالد أن يهم ويجلس، وتنفس الصعداء وها هو يلتقط مساكة الشعر وقام بلم شعره الطويل وهنا كشف عن وجهه.

وهنا كانت الصدمة لكل من زين وفريدة . . .

نظر لهما خالد بتعجب وأردف:

-ماذا بكما . . . ؟

التفتا كل من فريدة وزين لبعضهما البعض ونظرا بتعجب ولكن سرعان ما تحولت ملامح زين من التعجب إلى الابتسام لفريدة وأردف:

-هل ترين ما أراه . . . ؟

ولكن مازالت ملامح الصدمة مرسومة على وجه فريدة وها هي تشيح بنظرها من على زين وتوجهها لخالد وها هي عينيها تترقرق بالدمع . . .

هنا ابتسم زين متعجبًا وسأل فريدة:

-ماذا يا فريدة هل الأمر يستحق كل تلك الصدمة . . . ؟

فاقت فريدة من شرودها وتمتمت بصوت ما زالت الدهشة مسيطرة عليه:

-كل ما في الأمر أني لا أصدق ما تراه عيناي .

قاطع خالد حديثهما بصوت غير فاهم ما يحدث:

-ما الذي تقصدانه . . . ! شاركاني مرادكما من الحديث .

ابتسم له زين وقال له متعجبًا :

-ألا ترى أننا نشبه بعضنا في الكثير من الملامح . . . ؟

رد خالد بسرعة متعجبًا :

-ولكني لا أهتم بالتركيز في شكلي .

ضحك زين وأشر على مرآة ضخمة موجودة على الجدار على يسار الباب ومقابلة لشرفة الغرفة وأردف:

-كل هذه المرآة الضخمة ولا تهتم لشكلك . . . !

تمتم خالد موضحًا :

-أقصد أني . . .

قاطعه زين وقال له بتعجب وسعادة:

-يا صديق نحن لا نختلف إلا في لون العيون أنت عيونك بنية عسلية وأنا عيوني رمادية خضراء وأنا بشرتي قمحية وأنت ذا بشرة فاتحة . . . أوه كأننا توأم لولا فارق السن أظن أني اكبرك بعدة أعوام قليلة . . .

ومن ثم سأله متعجبًا :

-أه صحيح كم عمرك . . . ؟

نظر له خالد متعجبًا ومن ثم أردف له بصوت غير مكترث:

-لا أدري يا صديق لا أحسب عمري و . . .

قاطعتهما فريدة وهي تهم وقد تغير لونها وقالت بقلق اختلط بالحزم:

-زين أريد أن أعود للبيت . . .

نظر لها زين غير فاهم ما سبب تغيرها هكذا وأردف:

-حسنًا ولكن انتظري أ . . .

قاطعته فريدة بجزم:

-حالًا يا زين . . .

رفع زين حاجبيه غير مستوعب ومن ثم هم واقفًا وحول نظره عنها إلى خالد وابتسم وقال له:

-ها يا صديق سوف أتركك الآن، ولكنك عليك أن تأتِ لفيلتنا في الغد لكي تحضر زفافنا أنا وفريدة.

ابتسم لهما خالد وأردف:

-مبارك عليكما . . . ولكن لن أوعد . . .

ها هو زين يهم تجاه فريدة التي قررت النظر للأرض حزنًا بعدما رأت ابتسامة خالد من ثم قاطعه زين:

-لا توجد أعذار يا صديق، وإن لم تحضر سوف أتِ بنفسي لكي أخذك، ألا ترى كيف تغير وجهك وكأن ردت به الروح بمجرد بضع دقائق تحدثنا بها سويًا، على العموم أنت صديقي، وكما تعلم أنا جديد في مصر فأنت رفيقي وأخي هنا . . . اتفقنا . . . !

ابتسم له خالد وهم من سريره:

-لي الشرف يا زين . . .

هنا قاطعه زين متعجبًا ضاحكًا:

-آوه، إلى أين أنت ذاهب يا أستاذ خالد . . . ؟ !

ضحك خالد وهو يقترب منهما وأردف:

-ماذا بك يا رجل . . . ! وأستاذ ماذا وأنت الذي تكبرني . . . ! أنا أخوك الصغير ومن واجبي احترامك وتقديرك وتوصيلك بنفسي .

وضع زين يده على كتف خالد وربت عليه تشجيعًا له وبسعادة لتغير حاله:

-سعيد لأن قلبي أطمئن عليك . . .

قاطعه خالد وهو ينظر لكلا من زين وفريدة وأردف مستغربًا مبتسمًا:

-أقسم لك يا صديق لا أدري كيف ردت بي الروح هكذا . . . ؟ دائمًا أشعر أني من الأموات . . .

هنا نظرت له فريدة وبمجرد أن التقت عيناهما توترت فريدة وهمست لزين وهي تسحبه من يده برفق:

-هيا يا زين وراءنا الكثير من الأشياء علينا الانتهاء منها .

نظر لها زين برومانسية هامسًا:

- حسنًا يا حبيبتي فهمت ماذا تريدين . . . لكي ما تشائين .

ومن ثم هما بالنزول على درج الفيلا الواسع وبجوارهما خالد ، التفت له زين وأضاف مكملًا حديثه لخالد:

-يا صديقي الوحدة قادرة على قتلنا أحياء ، إذا أردت الراحة والسعادة عليك بالناس، الناس يعني الأُنس وأنا سأكون أول من تأنس به يا صديق .

ابتسم له خالد وأردف له:

-سعيد بك يا زين أقسم لك بذلك .

ضحك له زين وها قد أوشك على الوصول لباب الفيلا وأردف له:

-أرى أن إضاءة البيت راضية عن لقاءنا اليوم أنها تعمل بشكل شبه جيد . . .

-سوف أقوم بإصلاح كل شيء لا تقلق يا صديق .

ودعه زين وأشر له بعد ما خرج هو وفريدة:

-حسنًا ، في انتظارك غدًا يا خالد .

أشر لهما خالد مودعًا ومن ثم التفت زين مستغربًا لفريدة التي تمشي بجواره شاردة:

-ماذا بكِ يا عزيزتي ، لمَ تغيرتِ هكذا برغم أنكِ كنت متحمسة جدًا في البداية . . . !

ابتسمت له فريدة ابتسامة مصطنعة وهي تمسك يده بدلال:

-كل ما في الأمر أني لم أشعر بالراحة أثناء وجودي في هذا البيت وكما تعلم أنا متوترة ومتقلبة المزاج جدًا بسبب ضغط التجهيزات الخاصة بزفافنا . . .

ابتسم لها زين وقال متهكمًا :

-لا يوجد امرأة يسهل على المرء فهمها كلكن مجنونات يصعب فهمكن . . .

ضربته فريدة برقة على ذراعه وضحكت:

-لا تشبهني بأحد ها . . .

ومن ثم تأبطت ذراعه وأضافت متهكمة:

-وإن جئت للحق أنا لا أفهم نفسي في بعض الأحيان، سحقًا لمَ جئت بنت تسيطر عليّ تقلباتي المزاجية .

مسح زين على شعرها وهما يسيران:

-ولكني أحبك وأحب جنانك يا فريدة، أنتِ خلقتي أنثى من أجلي، كي تكمليني، أنا ناقص من دونك، كنت سوف أضيع إن لم تخلقي.

رفعت فريدة نظرها فالتقت عيناهما برومانسية وأردفت بدلال وضجر مصطنع:

-إن لم أخلق لكنت مع غيري الآن و...

قاطعها زين ضاحكًا:

-يبدو أنكِ قد نسيتِ سبب لقاءنا الأول* يا ست فريدة.

ابتسمت له فريدة بدلال وأردفت هامسةً:

-بل أتذكره جيدًا يا أستاذ زين.

وقف زين وصارت فريدة أمامه تنظر له برومانسية وهو ينظر لها بلهفة عاشق وأردف وهو يمسك يدها وهما أمام فيلتهما:

-فريدة أنتِ خلقتي من أجلي وأنا خلقت من أجلك، أنتِ من أحييتِ قلبي وجعلتِني أحب الحب صدقيني .

ابتسمت له فريدة وقالت له بضحكة مغيرة مجرى الحديث:

-أعلم هذا يا مريضي الجميل، هيا لا داعي لتذكر الماضي وهيا بنا نستعد لتجهيزات الغد .

ها هو الأسبوع قد مر سريعًا وها هي فريدة تقف أمام مرآتها وبجوارها المنسقة ترى طلتها الأخيرة التي تتكون من لباس زفاف يتكون من بنطلون واسع أبيض وقميص أبيض من الستان وعلى كتفها شال طويل يصل للأرض مرصع بالمجوهرات المتلألئة وشعرها مسدول حريري وعلى رأسها تاج فضي اللون وعلى وجهها القليل من مساحيق التجميل "الميك أب" ولكن لا غنى عن كحل عينيها الذي يبرز وسعها ورسمتهما الساحرة.

ها هي وتين تدخل غرفة فريدة وبمجرد ما دخلت ورأت ابنتها الوحيدة ترقرقت عينها بالدمع، رأتها فريدة في المرآة فالتفتت إليها وابتسمت لها، وها هما يقتربان لبعضهما البعض وكلما اقتربتا يزداد بكاء وتين الذي اختلط بابتسامة مكسورة فعانقتها فريدة فزادت وتين من ضمها لفريدة وكأن جزء من جسدها سوف ينتزع منها واجهشت في البكاء، من ثم خرجت فريدة من حضن أمها وحاولت أن تتمالك دمع عينيها، من ثم مسحت دمع عيني أمها وقالت لها ممازحة إياها:

-ماذا بكِ يا بومة لمَ تبكين الآن . . . ؟

ضحكت لها أمها وقالت لها بضحكة مكسورة:

-لأنك كبرتِ وسوف تتزوجين .

رفعت فريدة أحد حاجبيها ونظرت لأمها بأسلوب مهددة إياها بمزح:

-حسنًا انزلي أخبري الضيوف أن العرس قد ألغيّ، ولكن لا تذكري لي بعد ذلك أنكِ ترغبين أن تفرحي بي ها . . .

ضحكت لها وتين واقتربت منها ومن ثم تحولت ضحكتها إلى ابتسامة أمومية بها حنان العالم كله وهي تمسك ذراعي بنتها وأردفت:

-هذا اليوم الذي انتظره يا حبيبتي، اليوم الذي أطمئن عليكِ أن هناك من يحبك ومن تشعرين معه بالأمان فأنا لن أدوم لكِ و . . .

قاطعتها فريدة بغضب:

-وتين يا منكدة ارحميني من عاطفتك ونبرك وفألك السيء ذا، أرجوكِ أريدكِ متفائلة لمرة . . .

أقسم لكِ لا توجد مرة "نبرتي" قلتِ فال سيء إلا وتحول اليوم لنكد ها . . .

نظرت لها أمها بأسى ومن ثم جلست على الشيز لونج الموجود أمام سرير فريدة ومن ثم نظرت أرضاً وتمتمت:

-لا أقصد أبدًا أن أقول فال سيء لكِ يا فريدة، كل ما أتمناه لكِ هي السعادة وكفى . . . ولكن كل ما في الأمر أن قلبي يؤلمني بشدة وأشعر أني لن أقدر أن . . .

فريدة اقتربت منها ومدت لها يدها وابتسمت لها ابتسامة ذابت في بحر الحزن وأردفت:

-هل يمكن أن تقومي معي وننزل سويًا ونفرح وننسى ولا نفكر فيما يحزننا ، أرجوكِ لا تفكري فيما فات ولا تخافي مما هو آت كل ما عليكِ أن تظني بالله الخير وكفى وسوف ينعم قلبك الجميل ذا بالراحة والفرحة صدقيني . . .

ابتسمت لها أمها وهمت واقفةً وأردفت:

-أنا فخورة بكِ يا بنيتي ولو كان أبوكِ معنا لكان سعيد بما حققتِه إلى الآن .

ترقرقت عيون فريدة عندما سمعت سيرة والدها وقالت بأسى ولكن سرعان ما حاولت أن تكبح مشاعرها وأردفت:

-أرجوكِ يا أمي حاولي ألا تذكري سيرة أبي اليوم أنا أحاول أن اتجاهل عدم وجوده بكل ما أستطيع من قوة .

نزلت دموع وتين ولكنها حاولت أن تتمالك نفسها وابتسمت لفريدة وقالت:

-سامحيني يا بنيتي لم أقصد أن . . .

قاطعتها فريدة وهي ترسم الضحكة على وجهها وتغير مجرى الحديث:

-ها أنا ذا بجوارك، حتى أني سوف أعيش معكِ في نفس الفيلا، وعملي سيكون في مصر كذلك، لذا لا أريدك أن تشعري بالوحدة ولا الحزن مرة أخرى ها ، ليس لي في الدنيا سواكِ لذا حافظي على قلبك من الحزن من أجلي لا من أجلك .

أومأت لها وتين وابتسمت فنظرت لها فريدة مبتسمة وأدارت وجهها كمن فقد الأمل:

-أدري ألا فائدة من الكلام معكِ يا وتين، عذبي نفسك بالحزن يا "نكدو" ها ، هيا أمامي، هيا .

ضحكت لها وتين وقالت لها متعجبةً:

-لا أدري من هي أُم من . . . !

***

الزفاف بدأ وها هم الحاضرون يرقصون على صوت الأغاني والبعض منهم جالسين، لم يتجاوز عدد الحاضرين الثلاثون لكلا العائلتين ولم يكن بينهم أي من الأطفال وهذا ما أفضله فكم هم مزعجون حقًا ويحولون أي لحظة إلى مأساة بسبب أفعالهم الشيطانية أو بكائهم الهستيري المصطنع، آه لا أدري من صاحب مقولة أن الأطفال ملائكة وأحباب الله، بل الحقيقة أنهم ماكرين أشد مكر و . . .

آه أعذروني لا أدري لَمَ أقحمكم دائمًا في خواطري النفسية المعقدة، دعوني أكمل لكم سرد ما حدث . . .

من وسط الحضور تبرز فريدة التي ترقص مع زين بسعادة، ولكن سرعان ما يقع نظرها على شخص فيخطف نظرها وانتباهها وتركيزها . . .

زين ينظر لها مستغربًا وها هو ينظر تجاه نظرها ولكنه لا يفهم فيما هي شاردة، ها هو يحرك يده أمام عيني فريدة كي تستعيد تركيزها إليه ولكن فريدة تتركه وتتحرك تجاه الشيء الذي جعلها تشرد هكذا . . .

ها هي تمشي بصعوبة وهي شاردة وعيونها تترقرق بالدمع كمن لا يصدق ما يراه أمام عيناه . . .

ها هي تقف وتضع يدها على كتف رجل يعطيها ظهره، ولكن بمجرد ما يشعر بها يلتفت لها ، هنا تقول له فريدة بلهفة:

-هل أنت هنا حقاً . . . ؟ !

هنا تقع عين الرجل عليها ويراها وهي تبكي فيقول لها مستنكرًا:

-كيف . . . ؟ !

هنا تنظر فريدة جيدًا فيتحول شكل الرجل لملامح رجل آخر، هنا تلتفت فريدة باكيةً فتجد زين ورائها ويسألها مستغربًا:

-ماذا بكِ يا فريدة . . . ؟ ما الذي غيركِ فجأة هكذا . . . !

تركته فريدة وهرعت لداخل الفيلا باكيةً بشدة فلحقها زين لغرفتها ، ها هي فريدة تجلس على سريرها متطأطئة الرأس تبكي بحرقة، حينها وصل زين ومشى تجاهها ببطء متسائلًا :

-ما الذي يتعب نفسيتك هكذا يا حبيبتي . . . ؟ أحكي لي أنا زوجك حبيبك .

هنا كان قد جلس بجوار فريدة وأخذها في حضنه ومسح على شعرها وهي تجهش في البكاء وتقول بحرقه:

-أقسم لك أني رأيته يا زين . . .

قاطعها مستغربًا :

-من هو يا ف . . .

خرجت فريدة من حضنه وقالت بحرقة وغضب:

-أبي يا زين، أبي هنا ، وكان يقف مع أمي في ال . . .

مسكها زين من ذراعيها وهزها وقال لها بحدة كي تفق من وهمها :

-فريدة والدك مات، مات يا فريدة .

أبعدت فريدة يده عنها بقوة وغضب ووقفت وقالت له بحزن اختلط بالغضب:

-أبي لم يمت أبي ما زال على قيد الحياة بداخلي، حتى وإن لم أعد أقوم بالسفر عبر الزمن للقائه ولكنه يأتِ لي في منامي، أنا أصدق بعالم الأرواح يا زين، لم استبعد إنه قد يحضر زفافي . . .

وقف زين وسحبها من يدها وعانقها بشدة كمن يصعب عليه حالها ومسح شعرها وهو يقبل رأسها ، وهمس لها :

-أنا أعلم أنكِ متعلقة به بشدة ولكن لا يصح يا سيادة الدكتورة النفسية ألا تتجاوزي هذه الصدمة برغم كل هذه السنين . . .

هنا رفعت فريدة رأسها كي تنظر له وقالت بحسره:

-كم كنت أتمنى لو كان هو الذي رأيته يا زين .

-أنتِ قوية يا فريدة، أنتِ من تعلمي الناس كيف يتجاوزوا الصعب و . . .

خرجت فريدة من حضنه وتحركت تجاه باب شرفتها الزجاجي وقالت منكسة الرأس:

-صدقني الشخص الذي ينصح الناس ويوجههم ويساعدهم على تجاوز نكبات حياتهم هو نفس الشخص الغارق في مصائب حياته .

هنا سحبها زين للشرفة وتطلعا على الحديقة وعلى الزفاف ومظاهر السعادة، من ثم همس لها:

-ومن قال لكِ أنكِ غارقة في المصائب، بل أنتِ غارقة في النجاحات والانجازات يا حبيبتي .

ابتسمت فريدة وقالت بصوت به نبرة ندم:

-عندك حق يا زين الحمد لله على كل حال، ولكنك تدري عندما ينفعل المرء يجحد وينكر كل نعم الله وتسود الدنيا في وجهه و . . .

هنا قطع كلامها ظهور طائر في حجم النسر ذا ريش صبغ بالون الناري وذا رأس عليها عدد من الريش يشبه التاج كاد أن يرتطم بوجهها ، ألا أن زين قام بإزاحتها قليلاً ، نعق الطائر نعيق عالي، ومن ثم طار عاليًا في السماء بسرعة خارقة، التفتت فريدة تجاه زين وحاولت أن تلتقط أنفاسها ، وها هو زين يحاول تهدئتها بقوله:

-لا تقلقي يا حبيبتي، إنه مجرد طائر .

قاطعته فريدة وهي تضع يدها على صدرها :

-أنا لا أخاف من الطيور ولكني فزعت من ظهوره هكذا فجأة و . . .

-نحن لم نلاحظه لأننا كنا شاردين في حديثنا و . . .

لم يكمل كلامه وفجأة رأت فريدة أن عين زين تنظر لغيرها ، فالتفتت كي ترى على من تقع عينه وفي نفس اللحظة التي التفتت بها ها هو زين يصيح مُرحبًا :

-خالد . . . مَرحبًا .

كان خالد في الأسفل يتطلع إلى شرفة فريدة بتركيز ويبتسم لهما .

سحبها زين من يدها وقال لها بلهفة:

-هيا يا حبيبتي أظن لا يجب علينا أن نترك الحاضرين هكذا من دوننا في زفافنا .

ها هو خالد كل ما رأه أحد الحاضرين بدأ يمزح معه ومع زين لكثرة الشبه بينهما ، رقص الجميع وجاءت لحظة الصورة الجماعية لكل الحاضرين، وكان خالد في وسط فريدة وزين من الخلف .

***

# الفصل الثاني

## سانتوريني

ها هي فريدة ترتدي فستان أحمر قاتم ذا طراز من العصر العثماني ويزين رقبتها عقد به شكل بومة ورأسها من حجر الروبي، ها هي تنام على سرير ضخم ذا أعمدة سوداء، تفتح عينيها فتجد نفسها في غرفة أشبه بغرف القصور القديمة، ها هي تحاول أن تقوم من مكانها تشعر بتعب وألم رهيب يمنعها من القيام، تشعر أن هناك من ثبت ظهرها في السرير فلم تعد قادرة على الحراك أبدًا، ولكن بمجرد ما تنظر لجسدها تجد ما يجعلها تشعر بالذهول . . .

رأت أن بطنها كبير جدًّا أشبه ببطن الحوامل، أو أنها حامل بالفعل، حاولت فريدة أن تقوم من مكانها بصعوبة وبمجرد أن قامت وجلست على طرف السرير بإجهاد ها هي تسمع صوت تحطم زجاج شرفة غرفتها وبمجرد ما ترفع رأسها لكي ترى مصدر الصوت تفزع وتهم صارخةً و . . .

***

ها هي فريدة نائمة تقاوم في نومها وتتصاعد أنفاسها وتأن، زين بجوارها نائمًا ولكنه يستيقظ على صوتها ويهم بإيقاظها متمتمًا:

-فريدة. . . فريدة حبيبتي.

هنا تفتح له فريدة عينيها بذعر كمن رأى هول الدنيا كلها وتشهق كمن تم انقاذه من الغرق.

همس لها زين وهو يفرك عينيه:

-ماذا بكِ يا حبيبتي. . . ؟ هل ما زلتِ تعاني من تلك الكوابيس المزعجة. . . ؟

ها هي فريدة تحاول أن تلتقط أنفاسها وتهم بالجلوس وتتمتم بصوت خافت:

-لا أدري يا زين لمَ تلاحقني الكوابيس إنها تؤرقني جدًا.

هم زين بالوقوف وقال لها بنفاد صبر:

–ماذا سيحدث إن أخذتِ أي من المهدئات التي تصفينها للمرضى كي تنعمين ببعض الراحة.

داعبت فريدة شعرها محاولة أن تفوق من نعاسها وأردفت:

–أحيانًا الحياة من دون ألم وأرق تجعلنا لا نشعر بقيمة الراحة، يجب أن أعاني يا زين، وغير ذلك أحلامي أكيد لها دلالة ويجب عليّ أن أركز كيف أفهم ما سيجرى لي جيدًا.

التفت لها زين ووقف تجاهها ومد لها يده وقال لها مبتسمًا برومانسية:

–حسنًا يا عاشقة المعاناة، هل يمكن أن تأتِ معي الآن كي نستعد ونبدأ جولتنا، لدينا الكثير من الأماكن لزيارتها.

قامت فريدة بحماسة تناقض فزعتها منذ قليل وقالت بلهفة وهي تضمه:

–لن نترك مكان في جزيرة سانتوريني إلا وسوف نذهب إليه.

أخذها زين وهم بها ماشيًا تجاه الحمام وقال لها هامسًا:

-بل سنقوم بزيارة كل معالم اليونان، ولن ينتهي شهر العسل إلا باكتفائك يا عزيزتي .

خرجت فريدة من البيت وها هي تتنسم الهواء الجميل وهي تغلق عينيها وهي تهمس له:

-آه إن جو إكروتيري رائع جدًا أشعر أنه يزيل كل ما بداخلي من تعب وأرق الفترة الماضية .

ضمها زين وهو يمشي بجوارها في شوارع إكروتيري المميزة وهمس لها :

-انتظري إنك لم تري شيء بعد ، وبما أني أعلم جيدًا أنك تحبين الطبيعة والأماكن الأثرية فأحببت أن نبدأ رحلتنا بزيارة موقع إكروتيري و . . .

قاطعته فريدة وصاحت بلهفة طفولية وخرجت من حضنه:

-موقع إكروتيري من أهم المعالم السياحية في اليونان بأسرها ، أوه كم أتشوق لأرى ما به من كنوز وأثار تعود للقرن السادس عشر .

سحبها زين تجاهه كأنه يسحب طفلته وداعب شعرها وأردف:

-لن أقول لكِ ماذا سنفعل بعد ذلك، خطوة بخطوة وسوف أبهرك يا حبيبتي .

تخاصرا وصارا يمشيان بهيام وشرود في سحر الطبيعة والبيوت المميزة ذات اللون الأبيض والأزرق .

ها قد وصلا الموقع الأثري وهنا دهشت فريدة وأخذت ترى كل مكان في الموقع بلهفة ونهم كمن هو متعطش لبحر العلم والتاريخ .

وبعد جولة دامت لساعتين ها هو زين يقول لفريدة بحماسة:

-يكفي هذا يا عزيزتي لا نريد أن نقضي باقي اليوم في ذات المكان، هناك المزيد من الأماكن الآسرة يجب أن نراها سويًا .

نظرت له فريدة بلهفة وحزن وأردفت وهي مبهورة بالمكان:

-ولكن يا زين ألا ترى ما أراه، لم أكن أتوقع قط أن هذا الموقع كان مدفون وكل هذا الموقع كان تحت انقاض رماد الحمم البركانية، إلى أن جاء يوم ونجح العلماء في التنقيب

وإيجاد هذا الموقع عام 1967 أكيد سيأتي يوم ويجدون العلماء المدينة المفقودة "مدينة اطلانتس" و . . .

قاطعها زين بلهفة وهو يمسك يدها :

–حاضر يا سيادة المؤرخة هل يمكن أن تنجزي قليلاً نريد أن نصل إلى قرية كاستيلي من بيرغوس كي لا يفوتنا الغروب من قلعة البندقية . . . ! ؟

التمعت عينا فريدة وقالت بلهفة:

–أوه سنرى الغروب من القلعة، أنت تعلم جيدًا كم أعشق المرتفعات .

قال لها زين ضاحكًا :

–ستري ما لم ترينه من قبل يا حبيبتي أوعدك .

وبالفعل لقد وصلا لقلعة البندقية وهي عبارة عن تحفة من تحف الهندسة المعمارية في العصور الوسطى وهي موجودة على رأس تل وكانت في يوم هي المركز الإداري لبيرغوس .

ها هي فريدة على القمة مع زين وترى كل ما يحيط بهما من علٍ وتقول في انبهار:

-إنها تحفة يا زين تحفة حقًا، هل ترى هذه الجدران المحصنة وتلك الممرات والمتاهات والشوارع الضيقة.

ابتسم لها زين وجذبها إليه ومالت فريدة برأسها على كتفه في هدوء وقال لها هامسًا وهما بمحاذاة سور القلعة:

-ماذا كنتِ تظنين يا حبيبتي . . . !؟

همهمت فريدة بصوت هادئ شارد في سحر التاريخ والطبيعة:

-لم أكن أظن أني سوف أرى كل هذا الجمال يا زين.

جعل زين فريدة تنظر له وهو يمسك ذقنها برفق وقال لها بشاعرية:

-يبدو أن ليس هناك أي جمال في الكون قادر على أن يبهرني بعدما رأيت جمالك يا فريدة.

ابتسمت له فريدة في خجل من ثم عادت تميل برأسها على كتفه وشردت في المتاهات التي أمامها وهي تتنفس بهدوء وعمق .

***

ها هي فريدة تمشي في المتاهة وتنظر لكل شيء بتعجب رهيب ولكن فجأة تشعر أن هناك شيء ما ارتطم برأسها من السماء ولكن قبل أن ترفع رأسها أو أن تلتفت لكي ترى مصدر ذاك الشيء كانت قد فقدت الوعي .

ها هي فريدة تستعيد وعيها وترى نفسها ملقاة أرضاً ولكن سرعان ما تتحول نظرة عينيها إلى نظرة ذعر بمجرد أن تدرك ما الذي يجثوا على صدرها . . .

طائر ضخم الهيئة ذا ريش ناري تكاد تشعر أنه قد لبد في ريشه النار ومنقاره يشبه منقار النسر، ها هو يهم كي يهوي على بطنها التي صدمت بكونها كبيرة جداً أشبه ببطن الحامل .

ها هي تحاول أن تبعده عنها صارخة ولكن الطائر ثبت جسدها بمخالبه، وها هو أنقض على بطنها بمنقاره بقوة مما جعلها تعوي من شدة الألم ولكن في ذات اللحظة من قوة الطعنة همت بنزع الطائر من فوقها ورمته بعيدًا فارتطم بصخرة مجاورة أفقدته توازنه .

تحاملت على سور بجوارها كي تستطيع الوقوف والهرب، ها هي تضع يدها على بطنها الذي ينزف بشدة وكذلك أعلى صدرها ، لقد لطخ فستانها الأبيض بالدم .

ها هي تهرب وتنظر ورائها وتلتفت حولها وتنادي بخوف:

–زين، أنقذني يا زين .

ولكن لا وجود لزين، ولا تدري أين هي، أهي في بداية الطريق أم في نهايته . . . ! إنها في متاهة لا أول لها ولا آخر .

فجأة سمعت نعيق الطائر، كان الطائر من شدة وقوة نعيقه كادت فريدة أن تصم، فقامت بسد أذنها بوضع أناملها بها من بشاعة صوت الطائر الصارخ، رفعت رأسها

للسماء فرأت أن الطائر قد أوشك على أن يهوي عليها ، رسمت على ملامحها أعتى ملامح الذعر وكادت عينها أن تخرج من محجريهما .

التفتت مسرعة متجاهلة ألمها تهرع في طريقها عسى أن تجد مخرج ولكنها في مأزق الآن، إن الطريق نهايته سور . . . !

ومن وراءها ذاك الطائر الناري . . . !

ازدرت فريدة لعابها بعد ما لهثت بشدة بسبب كثرة الجري .

أعطت ظهرها للجدار وهي تنظر للطائر الذي صار يمشي على الأرض تجاهها وجسده يتضخم أكثر وأكثر ، ها هي قدماه تتحول إلى أقدام أشبه بأقدام بشرية مغطاة بريش أسود فاحم .

ترجع فريدة للوراء ببطء تجاه السور وقد تملكها الذعر بعد ما أدركت أن نهايتها محتومة .

ها هو جسد الطائر يزداد ضخامة وتحول لجسد رجل طويل القامة مغطى بذاك الريش الضخم، وما زاد فزع فريدة أكثر، عندما فتح جناحيه الضخمين اللذان امتدا على اليمين واليسار فأغلقا الطريق من أمامها وحجبا عنها الرؤية، هنا استندت فريدة بظهرها على الجدار بعدما شعرت أن قدمها لم تعد قادرة على حملها وقررت الاستسلام لنهايتها .

ولكن فجأة شعرت أن الجدار يتحرك تدريجًا من ورائها ، ها هو الباب يفتح، ها هي تنظر للباب وهو يفتح وهي جالسة على الأرض غير مستوعبة ما تمر به .

ها هي ترى هيئة رجل تتكون تدريجيًا بمجرد تحرك الباب . . .

تنظر له بدهشة وكأنها تعرفه . . .

إنه يشبه ذاك الرجل الذي رأته في أحلامها الذي يرتدي ملابس بيضاء من عصور قديمة وتوجها كملكة له . . .

نظرت له فريدة كمن يستنجد بقشة في عرض البحر، ها هو ينظر لها ويقترب لها ببطء، كان يرتدي نفس الملابس ولكنها ذات لونين الأحمر والأسود، وفجأة بدأت ملامحه تأخذ ملامح الشر . . .

بدأت فريدة بالزحف بجسدها أرضاً للخلف ووجهها له وهي تنظر له بذعر اختلط بالفزع والصدمة . . .

ولكن سرعان ما يقطع صدمتها وفزعتها صوت الطائر فالتفتت له مذعورة بعدما نست أمره لوهلة . . .

صارت عينيها زائغة، إنها محاصرة، وليس لها مفر .

ها هو الطائر البشري يتحول سريعًا إلى طائر مثل حجمه منذ قليل وأنقض على بطن فريدة كي ينهشها، ولكن الرجل ذا الرداء الغريب ذا اللون الأحمر والأسود ها هو يمسك الطائر من عنقه بقوة هائلة ويرميه بقوة فيرتطم في الجدار .

هنا تنظر له فريدة وهي تبكي مذعورة مشتتة لا تدري ماذا يريد منها .

ها هو يقترب منها ، يقترب بهدوء ، وها هي الابتسامة ترسم على وجهه، وفريدة تزحف بجسدها وهي تنظر إليه وقد ران الرعب على قلبها ، تبكي من دون صوت مجرد نحيب خافت وكأن نفسها قد أوشك على النفاد من هول الموقف التي هي به . . .

ها هو يقف بجوارها ، ها هو ينزل تدريجيًا بجوارها بهدوء تام فزاد الخوف في قلب فريدة . . .

ينظر لها بابتسامة سيكوباتية وهو يمرر يده على شعرها برفق ويده الأخرى يمررها على بطنها وهو يزيد في ابتسامته إلى أن كشفت عن أسنانه وهم يقترب من أذنها يهمس لها :

-إنها ليست النهاية بل مجرد بداية يا عجيبة . . .

هنا دوت صرخة رهيبة من فريدة .

هنا نظر لها زين متعجبًا :

-ماذا بكِ يا حبيبتي . . . ؟ ما الذي أفزعك إلى هذا الحد . . . ؟

هنا رفعت فريدة رأسها ونظرت لزين بتعجب وأخذت تنظر حولها وقالت له بعدم استيعاب:

-أين أنا . . . ؟ وماذا حدث . . . ؟

ضحك زين وقال لها:

-لم تتحرك من مكاننا يا حبيبتي، ما زلنا نشاهد الغروب سويًا وكنت أقول لكي أن المناظر هنا تعجبك لأنها غير معتادة بل إنها مثلك فريدة وعجيبة، ولكنك صرختِ لا أدري ماذا رأيتِ كي تفزعين هكذا . . . ؟

نظرت له فريدة بشرود وتمتمت:

-ماذا قلت . . . ؟

قطب زين حاجباه وقال لها غير فاهمًا:

-لتوي قلت لكِ ما قلته يا فريدة . . . ؟ ماذا بكِ . . . ؟ ! لمَ أنتِ شاردة هكذا . . . ؟

سألته فريدة وهي متعجبة وتنظر للسماء :

-منذ متى ونحن هنا . . . ؟

-فريدة، لقد جئنا هنا لمشاهدة الغروب وأنتِ كنتِ تشاركيني الحديث ولكنك فجأة صرختِ . . .

أمسكت فريدة برأسها وقالت بتعب:

-لا أدري ولكني أشعر أني رأيت كابوسًا ، لذلك ظننت أن الوقت قد مر .

أخذ زين يهدئها ويمسح على شعرها وقال لها هامسًا :

-حسنًا ، ما رأيك في تناول كوب قهوة لكي . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة قاطعته بلهجة متعبة:

-لا يا زين، أفضل العودة للبيت .

قطب زين حاجباه ولكن سرعان ما تفهم وضعها وقال لها بتنهد :

-لكِ ما تشائين يا حبيبتي .

وصلا كل من زين وفريدة بيتهما ، ها هو زين يمسك يد فريدة، ولكن فريدة تترك يده وهما عند باب البيت وتمشي بعدم اتزان بعض الشيء وتمسك رأسها ، ينظر لها زين متعجبًا قلقًا وينادي عليها بصوت قلق:

-ريدا ، حبيبتي إلى أين أنتِ ذاهبةً . . . ؟ !

تقف فريدة أمام الدرج وتلتفت له بوهن:

-أنا متعبة يا زين صدقني، أريد أن أصعد للغرفة كي أنام .

يهم زين بالمشي تجاهها وينظر لها برومانسية اختلطت بالحزن وتمتم:

-أن نجلس سويًا يا حبيبتي ونتحدث إلى أن تصيري بخير من ثم نكمل سهرتنا بالخارج.

قاطعته فريدة بصوت منهك وهي تهم بصعود الدرج:

-آسفة يا زين سوف ارتاح الليلة ونكمل في الغد .

يهم زين بالصعود ورائها ويمسك يدها ويهمس لها برومانسية:

-ولكني جهزت لكِ مفاجأة متأكد أنها ستع . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة قاطعته بنفاد صبر وتعب:

-قلت لك متعبة، متعبة يا زين، ألا تفهم . . . ! ؟

ظل زين مكانه لا يحرك ساكنًا مصدوم من ردة فعل فريدة وتركها إياه من دون أن تنظر له حتى أو أن تقدم اعتذار عما بدر منها .

ها هي فريدة تقوم بفك شعرها المرفوع لأعلى وتخلع حذائها بتعب هنا وهناك مثل معظم الرجال وتلقي بجسدها على السرير من كثرة التعب من دون أن تبدل ملابسها حتى وسرعان ما غاصت في نوم عميق، عميق جدًا بسبب كثرة الاجهاد العقلي لا الجسدي.

بعد قليل ها هي تفق من نومها بعد ما شعرت أن زين جاء لكي ينام، كانت نائمة على جنبها الأيمن من ثم سمعت صوت زين يهمس لها:

-آسف يا حبيبتي لأني لم أقدر تعبكِ، أرجو أن...

قاطعته فريدة بصوت ناعس خالطه الندم:

-سامحني أنت يا حبيبي عما صدر مني، أعلم أنك ترغب في اسعادي ولكن لا أدري ما بي صدقني، أرجوك سامحني.

بدأت تشعر باقتراب زين منها وهو يكمل كلامه هامسًا:

-لم أحزن مما صدر منكِ كي اسامحك، أنا أحبك يا حبيبتي، ولا يوجد سبب للاعتذار بين الأحبة.

حاولت فريدة الابتعاد عنه وقالت:

-زين أرجوك يكفي كلام اليوم فلننم . . .

ولكن زين أصر على الاقتراب منها فانفعلت فريدة من تصرفه وقررت أن تغير اتجاه نومها كي تنظر له وتمنعه بحزم ولكن بمجرد ما نظرت إليه وجدت زين يضحك لها ضحكة شريرة وعلى عنقه تلك العلامة، علامة الشعلة*، كانت العلامة تضيء في وسط الاضاءة الخافتة، هنا صرخت فريدة بعدما أدركت من هو:

-ابتعد عني، ابتعد عني يا جواد، ابتعد . . .

ولكنه استمر فيما بدأ فيه وهي ما بيدها حيلة سوى المقاومة والصراخ.

-فريدة، فريدة، استيقظي يا فريدة.

ها هي فريدة تستيقظ وتقوم من شدة فزعتها بعدما رأته بجوارها .

زين ينظر لها بتعجب وهو يحاول أن يضع يده عليها كي يهدأ من روعها :

-ماذا بكِ و . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة قامت بصفع يده بقوة وهي تبتعد عنه وتنظر له بقلق وذعر وأردفت:

-ابتعد عني، أنت جواد، لقد كشفت حقيقتك .

شعر زين بضجر وقال لها غير فاهم ما تقصده:

-من هو جواد . . . ؟

ها هي فريدة تقوم من مكانها وتقف وتبتعد عنه وتقول له بحزم:

-لم أصدق رؤياي تجاهك، ولكن تعددت الرؤى التي تثبت لي أنك جواد وعدت لكي تنتقم مني .

رفع زين حاجباه غير مستوعب كلامها وقام من مكانه ووقف أمامها كي يواجها ويسألها:

-جواد من . . . ؟ أنا لا أفهم عمن تتحدثين . . . ! ولماذا أنتقم منكِ . . . ؟

تبتعد عنه فريدة كي لا يقترب منها أكثر من ذلك وتقول بغضب:

-يكفي تمثيل عليّ يا زين، أحب أن أقول لك أنك نجحت في خداعي .

ها هو زين يتبعها ويمسكها من ذراعها بقوة كي تلتفت إليه وأردف:

-يبدو أنكِ جننتِ من كثرة المجانين التي تتعاملين معهم .

أزاحت فريدة يده بقوة وقالت له بكره:

-لا تنسى أنك كنت واحد منهم يومًا ما .

ها هي فريدة تهم بالخروج من الغرفة متأهبة لترك البيت، ولكن زين يتبعها وقال لها بصوت عال:

-إن كنت أرغب في الانتقام منكِ لم أنتقم منكِ منذ البداية، ولِمَ جعلت علاقتنا تصير وطيته هكذا وتزوجنا . . . ! ؟

ها هي فريدة تقف عند بداية الدرج تحاول أن تستوعب كلامه، من ثم عم الصمت للحظة من ثم التفتت فريدة له ونظرت له نظرة ريب وندم في ذات اللحظة بعد ما رأت الحزن قد خيم عليه، من ثم امسكت رأسها وقالت بندم وهي تهم بالاقتراب منه:

-لا أدري يا زين ما يحدث لي، أنا مشتتة جدًا بسبب تلك الكوابيس التي أراها .

اقترب منها بدوره وأمسك يدها وهمس لها بتعب:

-دعكِ من الأحلام وأرجوكِ دعينا نعيش الواقع .

نظرت له فريدة نظرة ندم وطأطئت رأسها أرضًا فرفع رأسها وابتسم لها هامسًا :

-واقعنا الجميل الذي حلمنا به وخططنا له يا فريدة، أرجوكِ لا تدعِي شيء يفرقنا عن بعض أبدًا مهما كان، لا شيء في الحلم ولا في الحقيقة سوف يبعدنا عن بعضنا ، أنتِ لي وأنا لكِ .

نظرت له فريدة وابتسمت له ابتسامة يشوبها القلق .

***

ها هي فريدة تعوم هي وزين ويتسابقا من هو أسرع من الآخر، ها هما يضحكان، يرشان على بعضهما المياه، من ثم همست له فريدة:

-دعنا نخرج من المياه قليلاً دعنا نتمدد على رمال الشاطئ الحمراء .

-أنتِ تطلبين وأنا أنفذ ما ترغبين به فقط يا فريدتي .

ها هي فريدة ملقاة بجوار زين على الرمال الحمراء بسبب الصخور البركانية التي اكتسبت اللون الأحمر مما جعلها فريدة ومميزة في مظهرها ، رمال الشاطئ والصخور المحيطة به ليس لها مثيل أبدًا فسبحانه الخالق الذي أبدع .

ها هي فريدة وزين مسترخيان على الرمال الدافئة سارحان في جمال الشاطئ الأحمر الذي اختلطت زرقة مياهه بحمرة رماله .

ها هي فريدة بدأت عينيها تنعس قليلاً ، فنظر لها زين وقال لها بلهفة:

-هاي فريدة حبيبتي أرجوكِ لا تنامي، صرت أخاف من نومك صراحةً .

فتحت فريدة عينيها وقالت بصوت مرهق بعض الشيء مع ابتسامة على وجهها :

-لا تقلق يا عزيزي، قلت لك أن ما حدث بسبب تعب متراكم، ولكن دفئ الجو جعل جسدي يسترخي تمامًا ، كدت أنام .

أمسك يدها وهو يهم بالنهوض وقام بسحبها وأردف بلهفة ضاحكًا :

-لن نقضي العطلة كلها نوم، هيا معي، لَم صرتِ كسولة هكذا ، أين فريدة متسلقة الجبال وصاحبة المغامرات، ألا تكوني صرتِ عجوز . . . ؟ !

قامت فريدة من على الرمال من ثم تركت يده وهي تضحك وبدأت تزيل الرمال عن جسدها وقالت ساخرة:

-عجوز . . . ! ؟ آه يا زين ما مررت به يشيب الشعر لذا يبدو أني صرت عجوز .

هم زين بضمها وبدءا يمشيان تجاه مطعم مجاور للشاطئ وقال لها :

-أنتِ لستِ عجوز يا فريدة، وحتى لو صرتِ عجوز فسأظل أحبك إلى الأبد .

نظرت له فريدة مبتسمة وهي ترفع حاجبيها غير مصدقة، فتوتر زين وضحك وأردف:

-أقسم لكِ أنا لا أمزح، هذه الحقيقة، وفكرة رغبتك في النوم أنا أعرف السبب، كل هذا لأني أيقظتكِ باكرًا لكي نبدأ يومنا المليء بالمغامرات .

-حسنًا أصدقك يا سيادة الرومانسي، هل يمكن أن نأكل الآن، أنا أتضور جوعًا .

وقف زين ونظر لها متعجبًا:

-أتعجب لمَ البحر يجعل المرء يجوع هكذا . . . ؟ ! ولكن الذي يجعلني أتعجب أكثر هو لمَ أنا لا أجوع مثل باقي البشر . . . ؟

تنظر فريدة في حيرة وقلق وتقول له:

-لمَ . . . ؟ !

يبتسم لها ويقول:

-لأنكِ بجواري يا فريدة، وما دمتِ أنتِ معي فأنا لا أحتاج شيئًا .

هنا فريدة تضربه على صدره وتنفخ في ضجر مصطنع وتبتسم وهي تهم بالمشي وتقول بصوت عالٍ:

-حسنًا سأذهب لكي أكل أنا، ولا أريد أن أراك تأكل شيء واحد .

هنا يلحق بها ضاحكًا ويمسك بذراعها ويوقفها ويردف لها مبتسمًا:

-ليس إلى هذه الدرجة يا فريدة . . .

هنا ترفع فريدة حاجبها وهي تبتسم وتكمل سيرها وهو بجوارها وتهمهم:

-هذا من أجل أن تتأكد أنك كاذب كبير .

يبتسم لها ويردف:

-لست بكاذب يا حبيبتي ولكني أحب أن أعبر عن حبي لكِ بهذه الطريقة .

-حسنًا يا مبالغ .

ضمها وأردف:

-قولي عني مبالغ ولكن لا تقولي أبدًا أني كاذب .

***

ها هما فريدة وزين يتناولان طعامهما في مطعم راقي جدًا يسيطر عليه اللون الأبيض مع القليل من الأزرق القاتم مما يجعل الراحة تستعمر الروح وتقضي على ما بها من آلام .

ها هما يضحكان، ها هما يمشيان سويًا على الشاطئ، من ثم جلسا كي يشربا مشروبًا باردًا كي ينعشهم قليلًا وهما شاردان في جمال البحر المتلألئ بسبب أشعة الشمس المنعكسة .

ها هو زين ينظر لفريدة ويبتسم وهو يغمز لها من ثم ينظر للصخور العالية، من ثم تنظر فريدة للجبل وتعود بنظرها مرة أخرى له وتبتسم متسائلة:

-أتقصد أن . . . ! ؟

هنا قام زين بلهفة وسحبها وابتسم وقال:

-بالفعل . . . والآن .

هنا صرخت فريدة ضاحكةً وقالت:

-أشعر أني مثل دمية الماريونيت التي تتحرك بواسطة أحد يتحكم بخيوطها ، كف عن سحبي يا زين .

تركها تزيل الرمال التي علقت في جسدها وبدأ يهرول وهو يهتف لها ويؤشر لها كي تسرع:

-هيا أيتها الكسولة فلنبدأ بالتسلق .

ها هي فريدة تهرع نحوه وهي ما زالت تحرك يدها على جسدها كي تزيل ما تبقى من الرمال وهي تبتسم بلهفتها المعتادة .

ها هما يتسلقان الجبل الذي اختلط لون صخوره بين الأحمر والأسود إلى أن وصلا قمة الجبل وجلسا كي يستريحا قليلًا ويتأملا المنظر من علٍ، ها هي فريدة تميل رأسها على كتف زين وهما شاردان في الجمال الذي يحيط بهما من كل اتجاه.

بعد قليل من التأمل ها هي فريدة تنظر لزين وتبتسم من ثم تغمز له وتنظر للبحر، هنا ابتسم لها زين من ثم ضحك وقال:

-يبدو أن حبيبتي المجنونة قد عادت من جديد.

ها هي فريدة تهم بحماس من مكانها وتصرخ فرحة وتهم بالقفز من علٍ.

هنا يقف زين بعدها وينظر لها بعدما رفعت رأسها فوق سطح المياه ونظرت له وابتسمت، هنا ضحك لها وأردف وهو يهم بالقفز:

-أنا أحب مجنونة، أحبك يا فريدة.

من ثم صار معها في المياه وعادا لضحكهما سويًا ومن كثر الضحك تعبا إلى أن عم الهدوء وبدءا يرخيان جسديهما على سطح البحر وهما يمسكان يدهما وأغلقا عينيهما كي يتجنبا أشعة الشمس .

همس لها زين برومانسية وبصوت يتخلله الراحة والفرحة الكامنة في أعماق قلبه:

-فريدة أنا محظوظ لأنكِ في حياتي، لم أكن لأشعر بكل هذه السعادة إن لم تكونِ أنتِ معي .

قالت له فريدة بصوت خافت:

-وأنا أشعر براحة وسعادة معك ليس لها مثيل .

من ثم عاد الصمت من جديد ، ولكن سرعان ما شعرت فريدة أن هناك شيء ما يدغدغ قدمها ، فقالت ضاحكة وهي مغلقة العينين:

-زين توقف عن دغدغتي، أنت تعلم جيدًا أني لا أحب هذا .

تعالت ضحكات فريدة بسبب أن الدغدغة ما زالت مستمرة، فقالت فريدة صارخة من شدة الضحك:

-أرجوك يا زين توقف أ . . .

لم تكمل كلامها بمجرد أن فتحت عينها ، فنظرت بتعجب وغاب عنها الضحك وخيم عليها القلق والتوتر بعد ما أدركت أن زين ليس بجوارها ، من ثم بدأت تتكلم بصوت أكثر حزمًا :

-زين، أخرج من تحت المياه، لا يتطلب المزاح أن تجلس كل هذه المدة تحت المياه من أجل مقلب .

ولكن لا رد ، والدغدغة توقفت بمجرد ما فتحت عينيها ، بدأت تشعر بالقلق لأنها لم ترى زين، قررت أن تقوم بالغطس كي تطمئن عليه .

ها هي تغطس وتنظر في عمق البحر ولكن لا وجود لزين، ها هي فريدة تلتفت في كل الاتجاهات عسى أن تجد زين، تنظر بعين يسيطر عليها القلق، ولكن سرعان ما

تتحول نظرة القلق إلى طمأنينة بمجرد ما نظرت جيداً في القاع ووجدت طحالب بحرية فعرفت أنها السبب في دغدغتها لأنها غطست هي وزين في مكان بعيد عن الشاطئ الذي يملئ قاعه الحصى والرمال الحمراء، ولكن عادت من جديد للقلق وتمتمت بداخل نفسها وهي تهم بالصعود لسطح البحر كي تتنفس:

-ولكن أين زين . . . ؟ !

ولكن قبل أن تصل للسطح، ها هي تشعر أن هنالك شيء قد أمسك بقدمها، ها هي تحاول أن تخرج أنفها فوق سطح البحر كي تتنفس وهي تقوم بجذب قدمها بكامل قوتها ولكن بلا جدوى، أدركت أن الطحالب هي التي تشابكت برجلها ولكنها تحاول أن تفك هذا التشابك ولكن لم تستطع بدأت الحيرة تسيطر عليها كيف لنباتات بحرية أن تكون بكل هذه القوة، فقررت الغطس من جديد كي تفك هذا التشابك بيدها، ولكن بمجرد ما نظرت للأعماق صعقت من هول الصدمة وصارت تصرخ صرخات مكتومة تحت المياه مما صدر عن هذا الكثير من الفقاقيع المحملة بصرخاتها .

رأت زين يمسك رجلها ويسحبها لأسفل، كان زين ذا بشرة رمادية أشبه بالأموات، كان نصف جسده مدفون تحت قاع البحر ونصفه العلوي فوق القاع ويمد يده بكامل قواه كي تنجذب إليه وهو يضحك ضحكة هستيرية مما برز عنها أسنانه الصفراء الحادة، ها هي فريدة تقوم ولكنها تنجذب نحوه أكثر وأكثر، وكل ما تقترب أكثر للقاع يختفي جزء من جسد زين تحت قاع البحر، ها هي فريدة تحاول أن تركل رأسه بقدمها كي يفلت قبضته ولكن بلا جدوى، ها هو جسد زين اختفى تحت القاع وها هي قدم فريدة لامست رمال القاع وما زالت قبضة زين تسحبها من أسفل رمال القاع، وكأن رمال هذا القاع رمال متحركة تسحب من يلمسها .

فريدة تصرخ لأنها أدركت أنها ستموت في كلا الحالات سواء مدفونة تحت قاع البحر أو بسبب عدم تنفسها .

ها هي فريدة أوشكت على فقدان وعيها ولكنها ما زالت تقاوم بوهن، ولكن فجأة رأت من علٍ يد تمتد لها ولحقت هذه اليد جسد يغطس لها، ولكن فريدة أغمضت عينيها . . .

ها هي فريدة تخرج لسطح البحر وهي في حضن زين .

زين قلق عليها ويحاول افاقتها ، يضرب خدها وينادي عليها بخوف:

–حبيبتي، فريدة، أرجوكِ ردي عليّ .

ولكن لا يوجد رد بدأ القلق يسيطر عليه وبدأ في البكاء ومن ثم حاول أن يقوم بعمل تنفس صناعي لها ومن ثم تمتم باكيًا مثل الطفل التائه الذي لا يدري كيف يعود لأمه من جديد :

–أرجوكِ يا حبيبتي، ردي، لا أستطيع أن أراكِ هكذا، فريدة . . . أرجوكِ يا فريدة، أرجوكِ . . .

ها هو يصرخ باكيًا كي يلاحظه أحد :

–النجدة، ساعدوني، أرجوكم، معي حالة غرق هنا ، النجدة . . .

ولكن سرعان ما قطع صراخه وعاد لكي يقوم بعمل تنفس صناعي لفريدة وسرعان ما سمع صوت سعالها ، هنا توقف عن البكاء وبدأت الطمأنينة تجتاح ملامح وجهه،

ها هي فريدة تسعل بقوة وتفتح عينيها بوهن غير مدركة ما يحدث، ولكن بمجرد أن أدركت وفتحت عينيها جيدًا ازالت يد زين من حولها وابتعدت عنه قلقة ونظرت له نظرة كره، من ثم نظر لها بقلق وهو يقترب منها وقبل أن ينبس ببنت شفة أوقفته صارخة:

-ابتعدت عني . . . لا تقترب مني نهائي، أتفهم . . . ؟

من ثم شرعت في السباحة، اتبعها زين إلى أن وصل إليها وأمسك يدها ولكنها أزاحت يده بقوة وكره إلى أن وصلت للشاطئ .

اتبعها غير فاهم ينادي عليها :

-فريدة لمَ تعامليني هكذا . . . ؟ فريدة ردي عليّ أنا أتحدث معكِ . . . !

ها هي فريدة تمشي بسرعة ولكنه أوقفها صارخًا بها بغضب وهو يوقفها :

-قلت لكِ ردي عليّ .

هنا نظرت له فريدة بكره وقالت بابتسامة متهكمة:

-ها قد بدأ يظهر وجهك الحقيقي . . .

لم تكمل كلامها لأن زين استشاط غضبًا وقال لها :

-أي وجه تتحدثين عنه . . . ! أنا قمت بإنقاذك وفي النهاية لا تريدين أن تردي عليّ حتى و . . .

قاطعته فريدة وبغضب خالطه التهكم وهي تهم بالتحرك:

-آه تقوم بإنقاذي بعدما أغرقتني . . .

صار زين يمشي بجوارها ويجاري سرعتها وينظر لها بنفاد صبر:

-ولِمَ أنقذك ما دمت أريد أن أغرقك . . . ؟ !

لم تنظر له فريدة وقالت له بضجر:

-أسأل نفسك .

من ثم زادت من سرعتها وزين لم يتبعها ولكن قال لها بصوت عالٍ سيطر عليه الغضب:

-أنتِ مجنونة يا فريدة، مجنونة مثل مرضاكِ يا مريضة .

***

عادت فريدة إلى بيتها ، صعدت وتحممت كي يسترخي جسدها ويرتاح عقلها بنزول قطرات الماء على رأسها ، ذلك الماء أشبه بحبات المطر المنهمر الذي يقوم بإزالة الطبقة الخارجية من الصخور وتركها لامعة مصقولة، فالماء الآن قادرًا على إزالة طبقة الإجهاد والتعب والحزن الذي قد ران على عقلها .

ها هي انتهت من حمامها الدافئ لم ترتدي سوى روب التجفيف وقامت بلف شعرها بمنشفة .

تمتمت في قرارة نفسها أن تقوم بتجفيف شعرها وهي أمام مرآتها ولكن بمجرد أن قامت بنزع المنشفة من على رأسها شعرت أن ما تبقى من قواها التي إذخرتها قامت باستخدامها في نزع المنشفة عن رأسها ، لذا قررت أن تتحامل على نفسها

وتسحب أقدامها إلى أن تصل للسرير ونامت ملقاة مثل القتيل بروب التجفيف وغاصت في ذات اللحظة في نوم عميق .

إن هذا هو حال أي أحد بعد يوم من السباحة، فما بالك هي التي مرت بموقف مفزع قد أوشك على نزع روحها من جسدها .

مر وقت وما زالت فريدة مثل ما هي لم تغير وضع نومها حتى، ما زالت نائمة على بطنها فاتحة أحد ذراعيها كأنها تعانق السرير كي تكسب منه بعض الدفء والحنو والطمأنينة .

واليد الأخرى بجانبها ، أقسم أنها سوف تقوم متألمة وجسدها متكسر من هذه النومة التي تشبه نومة سكان الفضاء لا نومة بني أدم .

أترون معي ملامح وجه فريدة بدأت تتغير، ها هي تحرك أنفها كأنها تشم شيء، ولكن من ملامحها يبدو أنها ليست رائحة جميلة، ها هي فريدة تفتح عينها وتحاول أن تقوم وتجلس على السرير وظهرها لنا، تحاول أن تحرك رأسها من اليمين موضع نومها إلى الأمام، ولكنها حركت رأسها بألم رهيب بسبب ثباتها على نفس الوضع.

التفتت وهي تشم كي تعرف سبب هذه الرائحة، ولكن بمجرد أن التفتت صدمت، بل صرخت وأخذت وسادتها وهرعت سريعًا تجاه الأريكة الموجودة بجوار الجدار، كانت هذه الرائحة رائحة حريق، ولكنه لم يكن حريق عادي، بل كان زين هو الذي يحترق، وبالأخص شعره، ها هي فريدة في ثانية كانت أمامه ووضعت الوسادة على رأسه كي تطفئ النار التي نشبت في شعره، وهي تنفخ في الشمعة المجاورة لزين.

ولكن في ذات اللحظة شعرت أن يد زين تدفعها، وبسبب هذه الدفعة لم تكن فريدة تحسب حسابها فسقطت، فجأة رأت زين أمامها يقف وكل ملامح الغضب سيطرت على وجهه برغم أن إضاءة الغرفة ضعيفة لا يوجد بها سوى شمعة واحدة، قطع شرودها في ملامح زين الغاضبة صوت زين الذي صاح بحزم:

-هل فقدتِ عقلك يا فريدة، كثرت اتهاماتك ولم أعتب عليكِ، قلت أنكِ مضغوطة متوترة أو أي جنان من جنان البنات ذا، ولكن يصل جنونكِ أن تخنقيني وأنا نائم . . . !

هنا حركت فريدة جسدها فسندت ظهرها على السرير من ثم نظرت لزين غير مصدقة وأردفت:

-أقسم لك إن شعرك كان يحترق وأنا أردت أن أساعدك .

أمسك زين بشعره وقد جن جنونه وقال بنفاد صبر:

-هل هذا شعر محترق ها، كيف جاء في بالك أن يحترق شعري ولا أشعر به، قل لي كيف . . . ؟ !

تنفست فريدة الصعداء ونظرت للأرض وقالت بنفاد صبر:

-لا أدري، كل ما أعلمه أن نومك ثقيل، وفي كل الحالات كانت نيتي خير أن أساعدك .

هنا تنفس زين بعمق كي يهدأ وازدرد ريقه واقترب من فريدة وها هو يهم بالجلوس بجوارها ، وبمجرد ما لمس يد فريدة، أبعدت فريدة يده عنها وهمت تجاه الشرفة وقالت بصوت مشتت:

-أرجوك يا زين، دعني بمفردي قليلًا .

هم زين ورائها قبل أن تدخل الشرفة:

-ولكن . . .

بتر عبارته لأن فريدة أغلقت زجاج الشرفة .

وقفت فريدة في الشرفة شاردة في جمال المباني المضيئة من علٍ لأن بيتها على حافة تل، ولكن عينها فقط الشاردة فيما حولها ولكن عقلها شارد فيما يحدث لها .

ها هي تقول في قرارة نفسها :

-ترى ماذا يحدث لي . . . ! هل حقًا أنا فقدت صوابي وصار يخيل لي . . . !

ممكن ولِمَ لا . . . !

دكتور جون حذرني كثيرًا من استخدام جهاز السفر عبر الزمن، ولكني لم أصدق تحذيره، أكيد ما يحدث معي بسبب إرهاقي الشديد لخلايا عقلي السنين الماضية و . . .

فجأة قطع كلامها صوت فتح زجاج الشرفة، التفتت مفزوعة ولكن سرعان ما هدأت بمجرد ما سمعت صوت زين وهو يهمس لها :

-سامحيني يا حبيبتي لأني غضبت عليكِ، أدري أنه يجب عليّ أن أقف بجانبك في أصعب حالاتك وألا تكون ردة فعلي هكذا .

طأطئت فريدة رأسها أرضًا وتنهدت قائلة:

-سامحني أنت يا زين، لا أدري ما يحدث لي صدقني .

ابتسم لها زين وهو يلمس خدها بحنو وأردف:

-لا تقلقي يا عزيزتي كل ما في الأمر أنكِ يجب أن ترتاحي قليلًا وبعد شهر العسل نسافر سويًا للندن وتتابعي مع ليندا عسى أن نجد حل لحالتك تلك .

-ولكني طبيبة نفسية وأعرف حالتي جيدًا .

-وكذلك ليندا طبيبة نفسية وصديقتك، حتى الطبيب يحتاج لطبيب مثله كي يعالجه ليست بمشكلة .

التفتت له فريدة وسألته:

-هل تظن أني مجنونة . . . ؟

أردف مبتسمًا وهو يقترب منها أكثر:

-لستِ مجنونة يا حبيبتي . . .

ولكن سرعان ما تحولت ابتسامته الرومانسية إلى ابتسامة شر وهم بدفع فريدة من على سور شرفة البيت وقال ساخرًا:

-ولكني سأدفعكِ للجنون.

ها هي فريدة تسقط من على سريرها أرضاً، فيستيقظ زين على صوت سقطتها، فيهرع إليها فزعًا، وأردف ملهوفاً وهو يقترب إليها:

-فريدة هل أنتِ بخير...؟

مد لها يده ولكنها سندت ظهرها للكومود المجاور للسرير ونظرت له نظرة ريبة ولم تنبس ببنت شفة ولم تأخذ بيده، نظر لها بحيرة بسبب صمتها وأردف:

-فريدة حبيبتي، ردي عليّ...! هل أنتِ بخير...؟!

شعر زين أن فريدة في حالة صدمة فهرع إلى المطبخ كي يحضر شيء لها كي تشربه.

ظلت فريدة مكانها تتكلم في قرارة نفسها متعجبة من حالها:

-يمكن ما قاله لي زين صحيح، يبدو أن عليّ أن أقابل ليندا ولنرى ما هو الجديد في حالتي، حتى الطبيب النفسي يحتاج إلى من يفضفض إليه، قد تكون تلك الكوابيس بسبب ضغوطات على عقلي، وعقلي يفرغ هذه الضغوطات على هيئة كوابيس،

ولكن تلك الكوابيس قد أهلكتني، أظن أن الفضفضة لن تأكل من روحي هكذا وسوف تريح عقلي بالتأكيد، يبدو أن زين على حق.

ها هو زين في المطبخ يعطينا ظهره ويحضر عصير بلهفة وسرعة كي يرجع من جديد لحبيبته، ولكن بمجرد أن التفت فزع، ورسمت على وجهه ملامح الذعر فثبت مكانه لم يحرك ساكنًا.

كانت فريدة أمامه تنظر له بريبة وشك وكره، وفجأة قطع صوتها الصمت الذي حل للحظة:

-ما الذي وضعته لي في العصير...؟

ازدرد زين لعابه الذي كاد أن يجف من حلقه وأردف مترددًا:

-أنا، أنا لم أضع شيئًا.

اقتربت منه فريدة وهي تهم بوضع يدها في جيبه ولكنه منعها وقال لها بحزم:

-قلت لكِ لم أضع شيئًا، كفي عن جنانك ذا.

استمرت فريدة فما تسعى إليه وهمت تحاول وضع يدها في جيبه وهي تقول:

-إذا كنت أنا مجنونة دعني أتأكد من ذلك.

وبالفعل استسلم لها بنفاد صبر وأسى...

وهنا كانت الصدمة...

لقد وجدت فريدة علبة بيضاء لا تحوي أي اسم وكان بها حبوب، ها هي ترفعها أمام عينيه وكأنها قد وجدت دليل إدانته، وأردفت بحزم وكره:

-ما هذا...؟ قل لي...! صارحني ما هذا...؟!

زين لم ينبس ببنت شفة، ولكن فريدة قامت برمي العلبة على صدره وتركت له المطبخ وهي تهم تجاه غرفتها وهي تقول بصوت عالٍ وغضب:

-كنت أعلم جيدًا أن أحلامي لها أساس ولها معنى ودليل، ولكني لم انتبه لتحذيرات الأحلام منك.

صرخ بها زين وهو يلحقها ووقف أمام باب الغرفة:

-أنتِ مجنونة وتتبعين سبيل الوهم والتخاريف، وهذه الحبوب يا دكتورة فريدة هي حبوب لكي تقلل من الأرق الذي ينتابك هذه الفترة.

ولكن فريدة لم ترد على كلامه وكل ما تفعله أنها تجهز حقيبتها بمنتهى الحزم، ولكن زين لم يكترث وكان كل همه أن يوضح موقفه كي يرتاح ضميره:

-بالأمس بعدما تركتني على الشاطئ قررت أن أذهب لطبيب نفسي كي استشيره في حالتك ويكتب لي اسم مهدئ إلى أن ينتهي شهر العسل وتتابعي بنفسك مع طبيب تثقي به.

توقفت فريدة ونظرت له بكره وكأنها لم تحبه في يوم من الأيام، وقالت له وهي تضغط على أسنانها:

-توقف قليلًا عن الكذب، كلامك ذا لن . . .

قاطعها بحزم وهو يقترب منها ويمسك ذراعها كي تنظر له مرة أخرى بعد ما انكبت تنظر لحقيبتها وتهم بغلقها ، سحبها بعنف فتحرك شعرها الأسود الحريري على وجهها وقال لها بغضب خالطه الثقة:

-أنا لست بكاذب يا فريدة، أنا أحبك ولكن يبدو أنكِ لم تحبني ومع أول موقف ويا ليته موقف أنه مجرد شك ها أنتِ ترغبين في هجري .

ازاحت فريدة يده بقوة وأخذت حقيبتها من على سريرها وقامت بسحبها وأعطته ظهرها وقالت بغضب:

-أهجرك لأنك كاذب ومخادع وأنا لا أحب الكاذبين أمثالك .

هتف بها بثقة ونفاد صبر وهو يتبعها وهي تغادر البيت:

-إن كنتِ ترغبي التأكد من صدق كلامي خذي الحبوب وسوف تتأكدي أنها مجرد مهدئات ولكني استبدلت العلبة كي لا تتعرفين عليها ، وكان لدي أمل أن بانتهاء شهر العسل واستمرارِكِ على هذه المهدئات تكوني بخير و . . .

قطع كلامه صوت ارتطام الباب.

**

# الفصل الثالث

## العيادة

ها هي وتين تسمع صوت بوابة فيلتها أي أن هناك من دخل، ها هي تلمس سلسلتها ذات الحجر الأزرق فينبثق منه شاشة تختار منه خيار الكاميرات، فيظهر كل أرجاء الفيلا، وهنا تندهش عندما ترى بنتها فريدة في بهو الفيلا، فتهرع خارج غرفتها بلهفة كي تقابلها .

ها هي وتين تقف على الدرج أمام بنتها ، فتقف فريدة أمام أمها وسرعان ما تشيح نظرها عن أمها محاولة الهرب، ولكن وتين تنزل درجتين لكي تقترب من فريدة ولكن سرعان ما تحولت لهفتها إلى قلق وريبة، لم تمنع فضولها من السيطرة عليها فسألتها :

-فريدة . . . ؟ بنيتي . . . ! هل أنتِ بخير . . . ؟ !

أشارت فريدة للروبوت كي يستمر في الصعود كي يضع حقيبتها في غرفتها ، من ثم تنهدت وتمالكت اعصابها وقالت لأمها وهي تهم بالصعود :

–ها أنا أمامك يا أمي وهذا يعني أني بخير.

نظرت لها وتين ووضعت يدها على كتفها كي تمنعها من الصعود وقالت لها بتعجب:

–أمي . . . ؟ أنتِ لا تقولين لي يا أمي إلا نادرًا . . . قولي لي يا بنيتي ما الذي حدث . . . ! وأين زين . . . !

نظرت لها فريدة بنفاد صبر من ثم تنهدت وقالت وهي تهم بالصعود متجهة لغرفتها:

–يكفي أرجوكِ . . . ؟ إلى متى ستظلين هكذا . . . ؟ لمَ أنتِ مصرة على اقحام أنفك في حياتي . . . ؟

ظلت وتين ثابتة في مكانها مصدومة من ردة فعل بنتها، وشعرت للحظة أن لسانها قد أنعقد وبمجرد ما سمعت صوت باب غرفة بنتها عندما قامت بغلقه بقوة أهتز جسد وتين النحيل من قوة الصدمة، وكان هذا الصوت قادر أن يحل عقدة لسانها ويفقها من صدمتها فأردفت وهي تهم تجاه باب فريدة:

–أقحم أنفي في حياتكِ لأنها حياتي، أنتِ أنا يا فريدة، وفي يوم ستكونين أم وسوف تشعرين بما أشعر به .

لم تتلق اجابة من فريدة، شعرت وتين بألم في قلبها من الحزن الذي أصابها ، وضعت يدها على قلبها ، وجرت قدمها تجاه غرفتها كي تهدأ قليلًا .

فريدة في غرفتها تجلس أمام مرآتها ، تنظر لملامحها بعدم استيعاب من ثم تحولت نظرتها لذاتها لنظرة تعجب اختلطت بالكره وهي تتمتم في قرارة نفسها :

–من أنتِ . . . ؟ لمَ صرتِ هكذا . . . ؟ ! هل هذه هي الحياة التي كنتِ ترغبي في بدايتها . . . ؟ يا ترى العيب بهم أم بي أنا . . . ؟

تمسك فريدة رأسها من شدة الألم، ولكن سرعان ما يقطع شرودها صوت ارتطام شيء في نافذة شرفتها الزجاجية، فرفعت فريدة رأسها فنظرت في المرآة فرأت زجاج شرفتها منعكس أمامها في المرآة وهناك طائر ناري الريش يحاول أن يرتطم في زجاج الشرفة ولكن بلا جدوى .

ها هي فريدة تلتفت وتنظر للشرفة وتقول في قرارة نفسها وهي تهم بالحركة تجاه الشرفة:

-هل يا ترى هذا واقع أم مجرد هلوسة أو كابوس . . . ؟

ها هي كل ما تقترب من الشرفة يقلل الطائر من هياجه ومحاولته في الطيران والارتطام في الزجاج.

من ثم هدأ تمامًا بمجرد أن وقفت فريدة بالقرب من الشرفة، وبعدها رفع رأسه لها بعينين لامعتين مما زرع في قلب فريدة الطمأنينة تجاهه.

نزلت فريدة على ركبتها من وراء الزجاج كي تراه بوضوح، وعندما تأكدت من هدوءه، قامت فريدة بفتح زجاج الشرفة وبدأت تمسح بيدها على ريش هذا الطائر.

رأت فريدة أن هذا الطائر جميل على عكس أي طائر رأته في حياتها لأن به لطافة غير معهودة وغير ذلك أن لونه برتقالي وهو لونها المفضل.

جلست على الأرض ومدت له يدها فصعد عليها، ها هي تقربه من وجهها، وتحرك خدها على ريش جسمه الناعم وهي تبتسم وهي مغلقة العينين سارحة.

ولكن سرعان ما تفق من شرودها وتتحول ابتسامتها لملامح ألم بعد ما وخزها الطائر بمنقاره في رقبتها ونعق وطار في ذات اللحظة، ها هي فريدة ترفع رأسها وتنظر له وهو يطير في السماء، تنظر له غير فاهمة ما جرى، وتقول في قرارة نفسها:

-لِمَ يحدث معي هكذا . . . ؟ لِمَ الأذى يلاحقني . . . !

ها هي تقوم وتقف أمام مرآتها فرأت ذلك الخدش في رقبتها قامت بتعقيمه من الدم وعلى وجهها ملامح الألم وقامت بوضع ضمادة وهي تتمتم غاضبة وهي تضغط على أسنانها:

-آه كل ذلك منها . . . هي السبب.

خرجت فريدة من غرفتها بغضب واقتحمت غرفة أمها الممددة على سريرها ، وظهرها تجاه فريدة، فقالت فريدة غاضبة وهي تهم بالوقوف أمام أمها من الاتجاه الآخر:

-كل ما يحدث لي بسببك . . .

رفعت وتين رأسها وقالت لها بأسى:

-كيف يا فريدة . . . ؟

أشارت لها فريدة على رقبتها وقالت لها بغضب ولكن ملامحها أخذت ملامح أنها تشاغب أمها :

-لا يوجد مرة أدخل في جدال معكِ إلا وتحدث لي مصيبة .

تحاول وتين النهوض وتسند ظهرها على السرير ، من ثم تقول بصوت واهن لا يتناسب مع سنها الذي قارب على الخمسين:

-صدقيني يا بنيتي كل أمنيتي في هذه الحياة أن تكوني بخير وألا يصيبك مكروه .

جلست فريدة أمامها على السرير وهي تنظر بلوم وابتسامة في ذات اللحظة:

-وكيف سأكون بخير ما دمت إن لم أفعل ما ترغبين به تصيبني بلعنتك تلك .

-أقسم لكِ لا أقصد ذلك أبدًا .

أمسكت فريدة يد أمها وقبلتها ونظرت لها بعينين لامعتين:

-آسفة يا أمي لأني انفعلت عليكِ وأنتِ ليس لكِ ذنب في ما أمر به .

وضعت وتين يدها على يد بنتها وربتت عليها وقالت بصوت دافئ:

-وما الذي تمرين به يا حبيبتي . . . ؟

تنهدت فريدة وقالت بنفاد صبر ولكن سرعان ما ابتسمت ابتسامة خفيفة:

-آه منك ومن فضولك يا وتين، ألن تكفي عن استجوابي . . . !

-لا، بل أريد أن يطمئن قلبي عليكِ .

تضرب فريدة ناصية رأسها بيدها الأخرى وتقول لأمها بلهفة:

-آه صحيح، طمئنيني عليكِ، هل كنتِ تأخذين أدويتكِ أم لا . . . ؟

اشاحت وتين نظرها قليلًا وأردفت:

-بصراحة أغلب الوقت يفوتني موعده لأن . . .

قاطعتها فريدة بغضب وفي ذات اللحظة تلمس حجر خاتمها وتعطي أمر من الشاشة المنبثقة كي يحضر الروبوت:

-لماذا تفعلين بي هكذا . . . ؟ لمَ تشغلين بالك بي ولا تشغلين بالك بنفسك وبصحتكِ . . . ؟

في خلال ثوان كان الروبوت أمامهما ، فلمست فريدة وجه الروبوت فتحولت ملامح وجهه المرسومة على شاشة رأسه، إلى عدة إعدادات تقوم فريدة بها وهي تكمل كلامها لأمها التي لا ترد:

-يبدو أن الاعتماد عليكِ في الانتباه لصحتك لا يفيد ، روبوت سوف يعطيكِ الدواء وسوف يرسل لي في حال أخذك للدواء وسوف أراكِ مباشرةً من شاشة الروبوت على شاشة خاتمي، لا مفر يا وتين .

-حسنًا يا فريدة اتفقنا ، ولكن ما الذي حدث معكِ أنتِ لم تكملي بضعة أيام في شهر ال . . .

قاطعتها فريدة وهي تهم بالوقوف:

-مجرد سوء تفاهم بيني وبين زين، والبعد أفضل من أن نظل سويًا ويحدث جدال يزيد الأمر تعقيدًا .

-ولكنكما لم تكملا شيء كي تبدأ الخلافات .

بدأت فريدة بالتحرك تجاه الباب وهي تقول:

-هذا ما حدث، لا تشغلي بالك ولا توجعي قلبك بسبب حياتي، كل شيء سيكون على ما يرام .

فريدة وهي عند باب الغرفة تقف بسبب صوت أمها الذي ينادي عليها بلهفة:

-فريدة، إلى أين أنتِ ذاهبة . . . ؟

التفتت لها فريدة وهي تمسك بالباب وهي تبتسم وتهز رأسها وتقول:

-لا فائدة منكِ يا وتين، أظن أن أنفك ذا خلق كي يتدخل في حياتي وكفى .

ابتسمت لها وتين وقالت لها بإصرار:

-هذا لا يمنع من ردكِ على سؤالي .

-حسنًا لا مفر منكِ، عليّ أن أرد عليكِ لأني أخاف إن لم أرد عليكِ الآن تحدث لي مصيبة وأنا في الخارج.

-الخارج . . . ؟ إلى أين . . . ؟

-سأذهب لأرى احتياجات شقة العيادة أريد أن أبدأ بالعمل كي أشغل عقلي قليلًا .

-سوف أنتظرك على العشاء، لذا لا تتأخرين عليّ.

***

ها هي فريدة في الممر تجاه غرفتها وهي تلمس حجر خاتمها فاختارت من الشاشة المنبثقة جزء غرفة الملابس من ثم قامت بتكبير الشاشة وقامت باختيار سروال أسود وقميص حريري قصير لونه برتقالي كما تعلمون أنه لونها المفضل وحذاء كعب لونه أسود، وبمجرد دخولها للغرفة كانت الملابس جاهزة على السرير ويقف بجوارها الروبوت وعلى وجهه ابتسامة.

همت فريدة بخلع قميصها الأبيض وبمجرد أن خلعته نظرت تجاه شرفتها وتمعنت في النظر فأدركت أن هناك أحد أمامها في شرفة الفيلا المجاورة يتطلع عليها، أدرك أنها رأته فتوتر وفي ذات اللحظة لمست حجر خاتمها وأمرت بإغلاق ستار الغرفة.

***

خرجت فريدة من فيلتها وتمشي في الحديقة متجه للباب الخارجي وهي تلمس حجر خاتمها ومن ثم تعدل نظارة الشمس خاصتها ، ولكنها تصدم .

فترفع رأسها فترى أمامها خالد ، فتشيح نظرها عنه بسرعة وتهم بلمس خاتمها كي تفتح باب سيارتها ، يوقف حركتها صوت خالد متنحنحًا :

-جئت لكي أعتذر لكِ عن الموقف الذي حدث منذ قليل .

لم تنظر له فريدة وهمت لكي تدخل سيارتها ذات الباب المفتوح لأعلى وقالت:

-لم يحدث شيء كي تعتذر .

همت بلمس زر كي تغلق باب سيارتها ولكن خالد وضع يده فالباب تلقائيًا توقف عن النزول، نظرت له فريدة للحظة بغضب وفي ذات اللحظة اشاحت بنظرها بعيدًا وهي تتنهد وقبل أن تنطق بحرف سألها خالد مستغربًا :

-هل يمكن أن أعرف إن كنتِ تتجاهلين النظر لكل الناس أم لي أنا فقط . . . ؟

تنفست فريدة الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-لا أنا هكذا مع الغرباء عني .

ابتسم لها خالد وقال لها بود:

-ولكن يمكن أن نكون أصدقاء . . . ها ما رأيك . . . ؟

هزت فريدة رأسها وهي تضغط على الزر مرة أخرى في السيارة كي ينزل الباب وهي تقول:

-حسنًا ولكن في وقت آخر .

طرق خالد على زجاج السيارة فأنزلت فريدة الزجاج وتنفست الصعداء فابتسم لها متسائلًا:

-هل يمكن أن أعرف إن كان زين في الفيلا أم لا . . . ؟

-لا ليس في الفيلا، ولكن هل تسمح لي بالرحيل لدي عدة أمور يجب أن أقوم بها .

-هل ترغبين بأن أرافقك . . . ؟

خلعت فريدة نظارتها ونظرت له نظرة حيرة صاحبتها ابتسامة وأردفت:

-هل أنت الخجول الذي حكى لي عنه زين . . . ؟

ضحك خالد وأردف وهو يرفع حاجبه:

-كل شخص خجول أو منطوي هو شخص لم يجد من يرتاح معه، ولكن في حالة أنه وجد من يطمئن إليه يكون شخص مرح جدًّا .

رفعت فريدة حاجبها وقالت مبتسمة:

-أوه كلام موزون يا دكتور خالد .

ضحك لها خالد وقال بثقة:

-يمكنني أن أبهرك أكثر ولكن أعطي لي الفرصة .

-حسنًا تشرفت بك يا خالد ، وفي حالة عودة زين سوف أخبره بأنك سألت عليه .

ضم خالد شفتيه متحيرًا هل يبوح بما في داخله أم لا . . . ؟ ! هنا أنقذته فريدة من حيرته:

-هل تريد أن تقول شيء آخر قبل أن أرحل يا خالد .

ابتسم لها خالد وهو يلف يده في توتر:

-بصراحة، أريد أن أكون معكِ، أساعدكِ .

-ولكن ها هو روبوت معي في السيارة إن احتجت لمساعدة .

فجأة شحب وجه خالد ولكن سرعان ما تداركت فريدة الوضع وقالت بابتسامة:

-حسنًا ، تعال أركب يبدو أن صار لي أخ صغير أخيرًا .

ابتسم لها خالد وهم مسرعًا بركوب السيارة .

ها هي فريدة بدأت في القيادة، فارتفعت السيارة عن الأرض، وفي لحظات وصلا لعمارة راقية جدًا ، ها هما يصعدان المصعد الزجاجي للدور ال27 وبمجرد أن

وصلا وجدت عدة صناديق وجوار الصناديق روبوت، انبثقت من عيني أي شاشة رأسه شعاع فحص وجه فريدة وصدر منه صوت "تم التسليم" .

أعطت فريدة أمر للروبوت الخاص بها أن يقوم بحمل الصناديق وادخالها للشقة، ها هي فريدة تصدر الأوامر للروبوت والروبوت يقوم بتنفيذها وكذلك هي وخالد يقومون بتعديل بعض اللمسات وهما يبتسمان لبعضهما البعض .

مجرد عدة الواح زجاجية في عرض اللاب توب يتم فتحها وترتيبها فتكون في النهاية طاولة وباستخدام جهاز التحكم يمكن تغير لونها أو حتى أشكالها على حسب الحالة المزاجية، وكذلك تلك مجرد كرة مطاطية يتم فتحها ويقوم الروبوت بملئها بالهواء فتتحول إلى أريكة جلدية مريحة، مجرد جهاز دائري ذا أربع كاميرات واحدة في كل اتجاه، ولكنها ليست بكاميرات بل ينبعث منه لوحة على كل جدار أو الزاوية التي يرغب بها المرء، ها هي فريدة تقوم بالتبديل بين اللوحات العالمية الشهيرة التي تظهر على الحائط الذي أمام مكتبها، لم يعجبها أغلب اللوحات ولكن فجأة ظهرت أمامها

لوحة تحولت بسببها ملامحها من ضجر وملل وعدم الرضا إلى الدهشة، هنا قطع خالد شرودها متسائلًا:

-هل أعجبتك تلك اللوحة يا فريدة...؟

هزت فريدة رأسها معلنة افاقتها من شرودها وقالت:

-آه، نعم، أعجبتني ولكن...

رجعت مرة أخرى تتأمل في الصورة المنبثقة على الجدار بتقنية أقرب للحقيقة يكاد المرء منا في عصرنا ذا يشعر أنها حقيقية من شدة انبثاقها خارج الجدار لا موجودة عليه فقط، من ثم تمتمت فريدة لخالد وهي تقترب من اللوحة:

-أعجبتني ولكن ذلك الطائر لقد رأيته...

قاطعها خالد ضاحكًا:

-أكيد في الأحلام يا فريدة.

التفتت له فريدة مصدومة وأردفت:

-كيف عرفت أني أراه في أحلامي . . . ؟

أردف خالد بمنتهي الثقة وهي يستند على المكتب الزجاجي:

-لأنه طائر أسطوري، لا وجود له في الواقع .

نظرت له فريدة غير مستوعبة وقالت بتعجب:

-ولكني رأيته في الواقع مرتين .

نظر لها خالد غير مصدق وسألها :

-رأيتِ طائر الفينيق في الواقع . . . !

التفتت فريدة مرة أخرى للصورة وقالت له بحيرة:

-بصراحة أنا لا أعلم اسمه حتى، ولكن للحق الذي رايته كان مثل الطائر الموجود في اللوحة تمامًا ولكن الفرق أن في الصورة عملاق جدًا بينما في الواقع هو بحجم النسر تقريبًا .

من ثم التفتت فريدة لخالد وسألته:

-هل أنت تحب الطيور . . . ؟

-يعني إلى حد ما . . . لا أستطيع أن أقول لكِ أني ملم بكل شيء عن الطيور لأن هذا سيكون غرور مني، كما تعلمين أن الدنيا بها الكثير من العلوم وكل علم ما هو إلا بحر مهما حاول المرء أن يجترع منه لا يستطيع أن يأخذ منه إلا القليل، وكاذب من يقول لكِ أنه ملم بعلم ما ، لأن مهما ذهب المرء للبحر استحالة يرجع منه مرتوي بل سيظل دائمًا عطشان، وقد ينفد عمر المرء ولا ينفد بحر العلم أبدًا .

**طائر الفينيق {العنقاء}**

ابتسمت له فريدة وأخذت تكمل أوامرها للروبوت بوضع تلك الكرة المطاطية لكي يتكون شيزلونج "الكرسي الذي يتمدد عليه المريض في العيادة النفسية"، وكذلك يضع تلك الشريحة المطاطية على أماكن معينة على كرسي مكتبها أو الكرسي المجاور للشيزلونج ويقوم بتعبئتها بمجرد لمسة فتتحول إلى وسائد جلدية مثبتة على الكراسي الزجاجية.

ها هي فريدة وهي تتابع لمسات الروبوت تتابع حديثها مع خالد وهي تقول بابتسامة:

-حسنًا يا خالد أحببت تواضعك، ولكن هل يمكن أن تخبرني بما تعلمه عن ذلك الطائر، أو كما تقول الأسطورة.

أخذ خالد يتبعها حيث تذهب ويحكي لها:

-هذا طائر الفينيق أو كما يقولون عنه طائر العنقاء كان...

التفتت فريدة فجأة ونظرت للوحة وقالت بتردد فقاطعت كلام خالد:

-ولكن يا خالد أشعر أن الصورة غير ملائمة في العيادة.

بتر خالد كلامه بعدما قاطعته فريدة بجملتها وهي تبدل بين اللوحات بعد ثاني لوحة توقفت وقالت بلهفة وهي تلتفت لخالد :

-أوه كم أحب هذه اللوحة إنها لوحة "قيظ يونيو" .

ابتسم لها خالد وقال لها :

-إنها لتحفة فنية للفنان البريطاني "فريدريك ليتون" .

لوحة "قيظ يونيو"

بريشة الفنان "فريدريك ليتون" .

فريدة نظرت له بدهشة ومن ثم ابتسمت:

-يبدو أنك لست سهل يا خالد برغم صغر سنك .

-لست صغير كما تتوقعين، ولكن كل ما في الأمر أن هذه اللوحة من أهم لوحات العصر الفيكتوري، ذات تركيبة عبقرية من حيث الانسجام بين الألوان بين الثوب البرتقالي "الزعفراني" الشفاف الذي ترتديه الفتاة الحسناء، حيث أن فريديك ليتون قام بلمسة مختلفة بأنه لم يتبع خط رسم النساء العاريات، ولكن رسم تلك الشابة التي يُذكر أنها كانت الموديل الخاصة به التي شاركت معه في عدة أعمال وكانا سوف يتزوجان ولكن لم يكتمل الأمر .

تنظر له فريدة وتبتسم وهي تهم بالجلوس على الكرسي المجاور للشازلونج، فابتسم لها خالد وقال بإحراج:

-أعلم إن هذا ليس موضوعنا .

ضحكت فريدة وقالت ساخرة:

-يبدو أن الفتاة الحسناء أعجبتك بشدة لدرجة أنك أحببت أن تعرف قصة حياتها .

ضحك خالد وأكمل بمنتهى الثقة كي يتجنب احراج فريدة له:

-وجود دورثي دين في هذه اللوحة هي رمز للإغراء المتستر وراء ذلك الثوب الشفاف، والتناغم يزيد بين اللون البرتقالي النابض بالحياة مع اللون الأزرق المنعكس من البحر في الخلفية وعليه بعض التلألؤ بسبب أشعة الشمس .

قاطعته فريدة وقالت بثقة وهي تبتسم:

-ولا تنسى اللغز المحير في الصورة .

هز خالد رأسه بثقة وقال ضاحكًا في نفس الوقت الذي قالت فيه فريدة:

-زهرة الأولياندر .

ضحكا الاثنان سويًا لأنهما قالا نفس الكلمة في ذات اللحظة .

همت فريدة هي وخالد وتأملا اللوحة وقالت بحيرة وهي تبتسم:

-وما رأيك بخصوص هذه اللمسة يا خالد . . . ؟ إلى أي رأي تميل أكثر . . . هل الزهرة زادت من جمال اللوحة بما إن زهرة الاولياندر هي رمز للإغراء أم تميل إلى رأي أن هذه الزهرة سامة فوجودها في هذه اللوحة يجعلنا لا نثق في هدوء الجميلة النائمة بل علينا أن نشك بها بأنها أنثى قاتلة ؟

ابتسم لها خالد ونظر لها وقال ضاحكًا كأنه يأخذ حذره من عدوه الذي يريد أن يمكر به:

-آه أنه لسؤال ثعباني ماكر، لن أجاوب عليه يا فريدة .

ضحكت فريدة وسندت نفسها على المكتب وواجهت خالد وقالت له بحيرة:

-ولِمَ لا يا خالد . . . ؟

سند خالد نفسه على المكتب بجوارها وهو يهز رأسه ناكرًا:

-لا لن أجاوب، لست مجنون كي أجاوب عليكِ، منذ قليل كنت أصف حال الصورة أتهمتني أني أتبعت خط حياة دورثي دين.

وأنا أعرف تحليلك لأجوبتي في كلا الحالتين، في الحالة الأولى إذا قلت لكِ إن زهرة الاوليا ندر هي رمز للأغراء وزادت من جمال اللوحة التي تزينها الجميلة النائمة ذات الثوب الشفاف الزعفراني سوف تقولين عني شهواني.

التفتت له فريدة ونظرت له وهي ترفع حاجبها وتبتسم، فأكمل خالد كلامه:

-لا تضحكين عليّ يا فريدة انتظري سوف أكمل لكِ، وإذا قلت لكِ إن هذه الزهرة سامة فهذا يدل أن على المرء ألا ينخدع في جمال النساء لأن في النهاية سوف يؤدون به إلى الهاوية، إذا قلت لكِ ذلك ستقولين عني أني رجعي كيف لي أن أظن في المرأة هكذا وإذا صدقت هذا، فهذا يدل على أني أصدق أن حواء هي سبب خروج أدم

من الجنة، وابنتها هي السبب في أن قابيل يقتل هابيل، وباختصار أن المرأة هي أساس كل الشر، لذا لن أقول رأيي .

ضحكت فريدة وهمت تتحرك وتتابع اختيار الأوامر من الشاشة التي انبثقت عندما لمست حجر خاتمها عندما همت بالحركة خارج الغرفة وهي تقول وهي تضحك:

-حسنًا يا خالد يا لئيم .

اتبعها خالد وقال لها مبتسمًا وهو ينظر لها وهي بجواره في ردهة العيادة:

-لست لئيم أقسم لكِ .

قالت فريدة بثقة وهي تختار الترتيب المناسب لحجرة الاستقبال:

-للعلم أنا طبيبة نفسية، يعني أذا أحببت أن تحكي عن أفكارك، ميولك، رغباتك الدفينة أو ما يتعبك سوف تجدني معك، لذا لا تخبئ عني شيء .

أمسك خالد ذراعها ولكنه تردد في ذات اللحظة فترك ذراعها وهو يقول لها وهي تواجهه:

-بالعكس هذه أول مرة أفتح قلبي هكذا وأتحدث مع أحد ، أشعر أني أعرفكِ منذ زمن .

ما زالت تنظر له فريدة بشرود بعد ما أمسك ذراعها ولكنها أفاقت من شرودها وقالت وهي تبتسم:

-وأنا أيضًا أحببت الحديث معكِ .

ولكن سرعان ما ابتسمت وسألته:

-هل أنت من النوع الخجول . . . ؟

نظر لها خالد بتعجب وقال لها :

-ولِمَ استنتجتِ هذا . . . ؟

-لأن وجهك اكتسب حمرة بمجرد أن لمست ذراعي بالرغم أننا اتفقنا أنك أخي الصغير .

-أوه لا أدري حقًا .

اشاحت فريدة نظرها عنه لوهلة كي لا تحرجه، ولكن عندما نظرت لشاشتها المنبثقة من حجر خاتمها انتبهت للوقت فتحولت ابتسامتها إلى ملامح الجد وقالت لخالد :

-يجب أن أعود للبيت، أمي تنتظرني على العشاء .

ظل خالد شارد قليلًا ، لم تفهم فريدة ماذا يريد فقطعت الصمت الذي دام للحظة وقالت بمجاملة:

-ما رأيك أن تأتِ لتتناول معنا العشاء وتتعرف على أمي . . . ؟

ابتسم لها خالد وقال:

-أوه، لن أستطيع، ولكن يمكن أن أمر عليكم بعد العشاء .

ابتسمت له فريدة وفي قرارة نفسها قالت:

-أوه يبدو أنه أعجبه الصحبة، ولكني أرغب أن أرتاح.

هنا قطع خالد شرودها وقال لها بلباقة:

-هذا في حالة إن كنتِ بحالة مزاجية جيدة يمكنكِ التأكيد عليّ برسالة، بينما إذا أردتِ أن ترتاحين فسوف نعوضها في يوم آخر.

هنا ابتسمت له فريدة ابتسامة ومن وراء زجاج عينيها لمعت لمعة التوتر وقالت في قرارة نفسها:

-وكأنه سمع ما يجول في خاطري.

ولكن سرعان ما تحولت نظرتها إلى نظرة طمأنينة وهي تهم بالحركة كي تقلل من توترها وأكملت في قرارة نفسها:

-أو يمكن أنه شاب يفهم في الذوق.

قطع شرودها خالد بصوت هادئ:

-هل تسمحي لي أن أكون معكِ في طريق العودة، صدقيني أنا ارتحت كثيرًا للحديث معكِ .

بمجرد أن وصلت فريدة أمام بيتها وخرجت من سيارتها هي وخالد ، سرعان ما رأت زين أمامها .

نظر لهما زين مبتسمًا ولكن فريدة مرت بجانبه من دون أن تنظر له أو تبدي أي تعبير على وجهها ، ولكن سرعان ما صاح زين مرحبًا بخالد :

-أهلًا أهلًا يا خالد ، يبدو أنك خرجت من قوقعتك أخيرًا .

ابتسم له خالد وهو يمد له يده بالسلام:

-أهلًا يا زين سررت بعودتك يا عريس .

ضحك له زين وهو يهمس له:

-لا تذكرني بأني عريس، يبدو أن شائعة الجواز يدمر كل شيء جملة حقيقة .

نظر له خالد مبتسمًا وأردف:

-لماذا تقول ذلك يا رجل . . . ؟ أن فريدة يتمناها كل من يراها .

نظر له زين متعجبًا من ثم ابتسم وقال:

-يبدو أنها صارت صديقة لك كي تكون في صفها .

ضحك خالد وهو يدلف لحديقة الفيلا مع زين:

-صدقني يا صديق أنتما الاثنان فرقتما في حياتي بشكل كبير ودخلتما قلبي سريعًا لذا أنا في صفكما لا أنحاز لأي منكما .

-خير ما فعلت يا صديق، ولكن نصيحتي لك ألا تغلط غلطتي وتتزوج، صدقني كل شيء كان جميل قبل اتخاذ هذا القرار .

نظر له خالد بحيرة وقال له:

-أي قرار . . . ؟

ضربه زين ضربة خفيفة على كتفه مداعبًا إياه مبتسمًا وأردف:

-قرار الزواج يا خالد أين عقلك يا صاح. . . !

ابتسم له خالد محرجًا وهو يضرب جبهته بكف يده، ولكن سرعان ما أكمل زين ممازحًا إياه:

-يبدو أنك جائع يا صديق لذا هيا أدخل معي، نتعشى سويًا ونسهر، ها ما رأيك. . . ؟

وضع خالد يده على صدره مبتسمًا وهو يمد قدمه متجهًا للخارج وبذوق قال:

-لا يا زين، تعوض في مرة أخرى، ارتح أنت اليوم.

-أقسم لك سوف تقضى سهرتك معنا، أنا قسمت.

ابتسم له خالد وأردف:

-حسنًا يا صديقي ولكن لا تعتاد أن تقسم هكذا لا تورطني معك.

ضحك له زين وقال بثقة:

-أنا أخوك الكبير اسمع كلامي من دون أن تضطرني أن أحلف اتفقنا . . . !

-اتفقنا . . . وهل أقدر أن أقول لك شيء غير هذا .

وضع زين يده على كتف خالد وقال ضاحكًا :

-آوه، الآن فهمتني يا خلّود .

من ثم دلفا للفيلا ودخلا غرفة الطعام وجلسا على المائدة، من ثم دخلت وتين مرحبة بالضيف:

-أهلًا أهلًا ، لدينا ضيف .

من ثم عندما ركزت في ملامح خالد تحولت ملامحها من الترحيب والابتسامة إلى حيرة من ثم أشرت لخالد وزين وقالت متسائلة وهي تهم بالجلوس على الكرسي الأساسي للمائدة:

-هل هو من أقاربك يا زين . . . ؟

ابتسم لها زين وقال بثقة:

-آه، إنه أخي .

هزت وتين رأسها وقالت بثقة:

-صحيح أخوك لأنه يشبهك كثيرًا .

وكزه خالد في ذراعه وهو يضحك، فنظرت لهما وتين وسألتهما بابتسامة:

-ماذا بكما يا شباب . . . ؟ شاركاني ما يضحككما .

هنا هم خالد في الحديث:

-أنا خالد . . .

ولكنه لم يكمل كلامه لأن فريدة قد دخلت الغرفة مقاطعة كلامه وهي تهم تجاه مقعدها المقابل لمقعد زين وقالت بثقة خالية من المزح:

-إنه خالد يا وتين، خالد جارنا .

نظرت وتين بحيرة وابتسمت لزين الذي يضحك لها وقالت:

-حيرتموني معكم يا شباب . . . !

توقف زين عن الضحك وقال بجد وهو يبتسم ويمسك يد وتين:

-أمزح معكِ يا توتة . . . ما قالته فريدة صحيح، ولكن قولي لي أليس خالد يشبهني . . . ! ؟

ألقت وتين نظرة على كليهما وقالت بابتسامة وهي ترفع كلا حاجبيها :

-يشبهك بشدة .

داعبها زين وهو يدغدغها في جانبها وأردف ساخرًا :

-لا يشبهني بفتحة .

ضحكت وتين وقالت بضيق:

-أرحمني يا زين من مزحك الثقيل ذا .

تصنع زين الحزن بمبالغة وأردف:

-مزحي ثقيل، ولكن أمي كانت تقول لي أني حلو مثل الشربات في القلب والقالب .

تمتمت فريدة بصوت خفيض وهي ترفع شفتها معترضة:

-القرد في عين أمه غزال .

هنا نظر لها زين متعجبًا أنها أخيرًا نطقت بكلمة له، ولكن سرعان ما تمالكت وتين الموقف وهي تمسك بيد زين كي تقلل من احراجه:

-بل الحقيقة أن زين جميل في كل شيء، أنتِ محظوظة لأنه لكِ .

مضغت فريدة تلك اللقمة التي كانت في فمها وهي تنظر لهما غير معجبة بما يحدث، من ثم قالت وهي تهم بالوقوف:

-حسنًا، اعتبرِني تركته لكِ ولكِ مني عليه قبلة .

من ثم طبعت قبلة على خد أمها بحزم وقوة وهمت خارجةً، نظرت لها وتين بحيرة واتبعتها بعينيها من ثم التفتت إلى زين مستغربةً مبتسمة:

-ماذا يجري يا شباب . . . ؟ أكيد كل شيء يحدث من الصباح مع فريدة مجرد مزح . . . أليس كذلك . . . !

رسم زين ضحكةً على وجهه وقال:

-أكيد يا أمي نمزح معكِ .

من ثم ألقت نظرة على خالد الذي لا يضع منطق وقالت له:

-خالد يا بني . . . أنت لم تأكل شيء ولم تتكلم حتى .

هم خالد موضحًا مبتسمًا بعد أن فاق من شروده وترك الشوكة التي في يده:

-لا بل أنا . . .

قاطعه زين موضحًا لوتين:

-القصة وما فيها يا أمي أنه خجول بعض الشيء .

نظرت له وتين بحنان وأردفت:

-خذ راحتك يا خالد ، ومن الآن اعتبرني مثل أمك، أوه كم أنا محظوظة صار لدي ولدين .

هز خالد رأسه وأردف:

-هذا شرف لي يا أستاذة وتين .

وكزه زين وقال له هامسًا :

-قالت لك أنها تعتبرك أبنها يا صاح. . .

تنحنح خالد عندما نظر لوتين فرآها تبتسم له:

-حسنًا يا أمي .

تناولت وتين لقمة أخرى من ثم همت واقفةً وهي تبتسم وأردفت:

-سوف أتركك على راحتك أنت وزين هذه المرة ولكن المرة القادمة لا تخجل مني أنت في بيتك .

بمجرد خروجها أكمل زين أكله ولكنه تحير من خالد الذي يمسك الشوكة فقط ولا يأكل، فسأله مستغربًا :

-ماذا بك يا صاح . . . ؟ قلت إن الخجل هو الذي يمنعك من الآكل، ها لِمَ لا تأكل الآن . . . ؟ هل تعتبرني غريب أيضًا . . . !

هز خالد رأسه نافيًا وهو يبتسم قائلًا :

-لا يا صاح، كل ما في الأمر أني أكل طعام مخصوص، لأن أغلب الطعام يسبب لي حساسية .

زفر زين من ثم هز رأسه مستغربًا :

-أوه أنت غريب يا خالد ، ولكن لا يهمك يا صاحبي قل لي ما يناسبك ونجهزه لك مخصوص .

-يكفيني وجودي معكم لا تشغل بالك بأكلي .

اكتفى زين من الأكل وهم واقفًا وقال بحماسة:

-حسنًا يا خالد ، هيا بنا نجلس في غرفة الضيوف قليلًا .

هز خالد رأسه موافقًا .

ها هما يدخلان غرفة الجلوس، كانت فريدة تحتسي كوب القهوة سريعة التحضير وبجوارها أمها تحتسي فنجان قهوة وهي تهمس لها ضاحكةً:

-كم أنتِ محظوظة به يا فريدة .

وفريدة تجاريها بضحكةً خفيفة ولكن سرعان ما يبتران حديثهما بدخول خالد وزين الذي هم عائدًا للمشاغبة:

-آه إذا حضرت الشياطين كفت الملائكة عن الحديث .

نظرت له فريدة بعند :

-حمدًا لله أنك تعرف نفسك جيدًا .

أشار زين لوتين مشهدًا إياها وهو يهم بالجلوس مقابلًا أيهما :

-ها أيرضيكِ يا وتين ما يحدث . . . ؟

وكزت وتين فريدة وقالت له مبتسمة:

-لا يا بني لا يرضيني ولكنها تمزح معك .

هز زين رأسه موافقًا من ثم نظر لهما جميعًا ، وقال بحماسة:

-ها ما رأيكم أن نسهر على فيلم رعب جديد . . . ؟

همت وتين واقفة وسحبت زين من يده وجعلته يجلس بجوار فريدة ومن ثم أخذت يده ووضعتها على كتفها وقالت بابتسامة:

-قم باختيار برنامج السهرة على مزاجك ولكن أظن أن الوضع هكذا أفضل .

من ثم سحبت يد خالد واجلسته بجوار زين ومن ثم جلست بجوار فريدة من الاتجاه الآخر وهمست لها :

-أليس هكذا أفضل يا ريدا . . . ؟

تمتمت لها فريدة وهي تنظر لها نظرة أن ليس في يدها حيلة:

-وهل أقدر أن أقول عكس ذلك .

ضحكت لها وتين ومن ثم طلب زين الروبوت من خلال صوته لخاتمه، ومن ثم أختار أن يقوم بعرض فيلم رعب عن مصاص دماء .

هم خالد واقفًا أول ما سمع اقتراح زين وأردف بتردد :

-اعذروني يا جماعة ولكني لا أحب هذه الأفلام .

سحبه زين من يده وقال له ممازحًا :

-أجلس يا رجل لا تكن جبانًا ، وأن خفت كثيرًا يمكنك أن تبيت هنا الليلة .

ابتسم له خالد وقال له:

-كف عن مزحك يا زين ليس الأمر كذلك ولكن . . .

سحبه زين بقوة وأجلسه وأردف بإصرار:

-أجلس يا رجل، ها ولا تنسى اتفقنا أنا أخوك الكبير أسمع كلامي .

بالفعل جلس واستمتعوا بالفيلم ولكن في منتصف الفيلم نامت وتين ومن ثم بعد قليل ومض خاتم زين ذا الحجر الأحمر القاتم فأنزل يده من على كتف فريدة فنظرت له بحيرة متسائلة ولكنه رد عليها هامسًا قبل أن تتكلم:

-اتصال مهم يجب أن أرد عليه يا حبيبتي وسوف أعود لكِ .

من ثم طبع قبلة على خدها ، ولكن ظلت فريدة تنظر له بحيرة غير منتبهة للفيلم وتقول في قرارة نفسها :

-منذ متى وزين يخفي الشاشة المنبثقة من حجر ها تفه التي تعرفني المتصل، منذ متى يُفعِل الوميض فقط . . . ؟

ولكن الفضول زاد في داخلها ، فهمت تلحق به تاركة خالد مع أمها النائمة على طرف الأريكة الآخر، ولكن بسبب لهفتها وسرعتها وعدم انتباهها لطريقها ارتطمت بالطاولة الصغيرة الموجودة أمام الأريكة، فوقع كأس العصير الذي كان يشربه زين، فانتبهت له فهمت لكي تلتقط الزجاج بسرعة غير مفكرة في أن تطلب ذلك من الروبوت .

ها هي تلتقط قطع الزجاج من على الأرض بسرعة وبسبب سرعتها ها هي تصدر صوت صرخة سرعان ما كتمتها بسبب إصابتها بجرح في يدها ، هنا هم خالد مقتربًا منها هامسًا لها :

-هل أنتِ بخير يا فريدة . . . ؟

فريدة تنظر لإصبعها الذي ينزف بشدة ولكن سرعان ما يمسك خالد يدها ويبدأ في مص الدم من أصبعها .

فريدة تنظر له بتعجب ضاحكةً وهي تهمس له:

-يبدو أن الفيلم قد أثر عليك يا خالد .

توقف خالد عن مص الدم من اصبعها وقال مبتسمًا هامسًا :

-لا أبدًا كل ما في الأمر أنها طريقة فعالة لوقف النزيف .

من ثم عاد كي يكمل مص الدم من اصبعها ، هنا مدت فريدة يدها الأخرى على كتف خالد وهي تهمس له:

-خالد هذا يك . . .

ولكن قبل أن تكمل كلامها قاطعها صوت أمها الناعس التي تنظر لها بعينين ناعستين مستغربة:

-ماذا يحدث يا فريدة . . . ؟

تسحب فريدة يدها بسرعة وتنظر لأمها بتوتر وهي تهم بالوقوف هي وخالد :

-لا شيء يا أمي . . . كل شيء على ما يرام، مجرد كأس كُسر وجرح إصبعي .

في ذات اللحظة دخل زين مستغربًا من وقوف خالد وفريدة واستيقاظ حماته فأردف متسائلًا:

-ماذا حدث يا جماعة . . . ؟

التفت له خالد ولكن سرعان ما ردت وتين:

-فريدة سقط منها الكأس وجرح اصبعها .

هم زين تجاه فريدة بلهفة وهم يمسك يدها بقلق وقال:

-دعيني أرى جُرح اصبعك يا حبيبتي . . . ؟

سحبت فريدة يدها بسرعة وقالت بصوت خفيض:

-مجرد جرح بسيط .

هنا قالت وتين وهي تهم من مكانها بتعب:

-انتبهي لنفسك يا فريدة .

نظرت لها فريدة بحيرة وقالت:

-ولكن إلى أين أنتِ ذاهبة . . . ؟ لم يكتمل الفيلم بعد .

ابتسمت لها وتين ضاحكةً وقالت:

-على أساس تابعت منه شيء ، أنا كنت مع الملائكة أكل رز بلبن، لذا سوف أصعد غرفتي لكي أكمل باقي طبقي .

ابتسم لها كل من خالد وزين وفريدة، ومن ثم برز صوت خالد وهو يقول مستأذنًا :

-أسمح لي يا صديق أن أعود لبيتي الآن .

وضع زين يده على كتف فريدة وأردف:

-لا يا خالد ، أجلس أكمل معنا الفيلم على الأقل .

-لا، لا أقدر صدقني ولكن أشكرك على هذه السهرة الجميلة .

وهم يسلم عليهما مودعًا إياهما ولكن زين نظر له ممازحًا إياه:

-خالد، أن كنت خائف يمكنك المبيت هنا لا تشعر بالحرج بيتنا بيتك.

ابتسم له خالد وقال له وهو يضربه ضربة خفيفة على كتفه:

-توقف يا زين عن مزحك ذا، هيا تصبحان على خير.

بمجرد أن خرج خالد سحب زين فريدة وجلسا على الأريكة وضمها لحضنه، ولكنها خرجت من حضنه، فسألها:

-إلى متى سوف تبتعدين عني...؟

لم تنظر له فريدة وهمت بسحب منديل من على المنضدة وأردفت وهي تلف المنديل على جرحها:

-أنا لا ابتعد عنك، ولكن أنت تزيد الشكوك حولك...؟

امسكها زين من ذراعها كي تواجهه وقال لها بحيرة:

-أي شكوك يا فريدة . . . ؟ قولي لي ماذا أفعل لكي ترضي عني وأنا مستعد كي أفعله . . . !

نظرت له فريدة بشك وأردفت:

-لماذا فعلت خاصية الوميض فقط في حجر خاتمك . . . ؟ منذ متى يا زين . . . ؟

زم زين شفتيه ورفع كتفيه غير فاهمًا :

-وما بها يا حبيبتي . . . ! أنتِ دائمًا مفعلة هذه الخاصية ولم أقل لكِ شيء .

نظرت له فريدة بجد وحزم وقالت:

-زين، لا تقلب الطاولة عليّ ها ، أجب على ما قلته لك وكفى .

هم زين ومسك يدها وقال لها بصوت هادئ:

-لكِ ما تشائين يا حبيبتي اعتبري أني لم أقم بتفعيلها من الأساس، هذه أول وآخر مرة، ها قولي لي ما الذي يرضيكِ وأنا تحت أمر معاليكِ .

ابتسمت له فريدة فهم بأخذها في حضنه وقال لها بلهفة:

-آه، كم أشعر أن روحي قد عادت لي من جديد بمجرد أن رأيت ضحكتك .

وكزته فريدة وقالت له مداعبة إياه:

-توقف عن كذبك ذا يا زين .

زاد زين من ضمته لفريدة وقال لها بعد أن تنهد كمن عاد للحياة من بعد البعث:

-آه يا فريدة، كم ساعة من دونك شعرت أن الدنيا ما هي إلا قبر معتم وبرغم وسع هذه الدنيا ألا أني شعرت أنها ضاقت عليّ إلى أن صرت لا أستطيع أن اتنفس في مكان أنتِ لستِ معي به .

خرجت فريدة من حضنه وقالت له بحيرة:

-لِمَ تحبني هكذا يا زين . . . ؟

زم زين شفتيه وقال في حيرة:

-أقسم أني لا أدري ما هو السبب ولكن أشعر أن روحي متعلقة بروحك بجنون، أنا لا أستطيع العيش بدونك .

-يعني لم تفكر قط أن تؤذني . . . ؟

-أنا أؤذي نفسي ولا أؤذيكِ يا حبيبتي، أخرجي تلك الهلوسة من رأسك أرجوكِ .

هزت فريدة رأسها موافقةً من ثم توسدت حضنه فهمس لها وهو يحرك يده بحنو على ذراعها وهو يهمس لها :

-يبدو أنكِ صرتِ أفضل بقليل هنا . . . !

أومأت فريدة وقالت وهي شاردة في الشاشة التي أمامها :

-آه، أفضل بكثير، يبدو أن طاقة المكان التي كنا به لم ترحني أبدًا .

-أنا معكِ في المكان الذي يريحكِ يا حبيبتي .

***

ها هو زين يقف أمام المرآة ويعقد رابطة عنقه، في انعكاس المرآة تظهر فريدة وهي تتحرك في السرير معلنة استيقاظها وقبل أن تفتح عينيها يهلل لها بلهفة وهو ينظر لانعكاسها:

-صباح الخير يا حبيبتي، يبدو أنكِ لم تري كابوس الليلة . . . !

فتحت فريدة عينيها ونظرت له بعينها الناعسة باستغراب وهمست بتعب:

-الحمد لله لم أرى أي كابوس ولكن إلى أين أنت ذاهب الآن . . . !

التفت لها وهو يهم تجاهها ويجلس على السرير وهو يقول:

-مضطر للسفر ومتابعة عملي .

عدلت فريدة من جلستها وقالت بتعجب:

-ومتى سوف تعود . . . ؟

نظر لها برومانسية وأردف:

-يومين أو ثلاثة بالكثير وسوف أعود لكِ يا حبيبتي .

أومأت له فريدة بصمت من ثم همت من سريرها ، فسألها متعجبًا :

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا حبيبتي ، أكملي نومكِ يا عزيزتي يكفي أني رأيتكِ قبل أن أسافر .

وقفت فريدة بجوار سريرها وقالت بصوت متعب بعض الشيء :

-سوف أذهب للعيادة كي أشغل وقتي وأعود لحياتي مثلك .

تحرك تجاهها من ثم همس لها :

-المهم أن تطمئني عليكِ من وقت لآخر .

من ثم هم بالخروج من الغرفة فقالت له:

-وأنت أيضًا ، أرسل لي فور وصولك لندن .

***

ها هي فريدة تخرج من الفيلا وتهم بفتح باب سيارتها ، ولكن سرعان ما ترفع رأسها وتنظر أمامها ، فتجد خالد يقف أمام فيلته ويؤشر لها بحماسة وبمجرد أن نظرت له هم تجاهها فأشارت له فريدة وبمجرد أن أوشك على الوصول هلل لها :

-أهلًا فريدة، أوه أقصد صباح الخير .

فتحت فريدة باب سيارتها وهي تقول في عجالة:

-صباح النور يا خالد .

-سوف تذهبين للعيادة أليس كذلك . . . ؟ !

-نعم، سوف أذهب حالًا لأني متعجلة جدًا .

-هل يمكن أن أتِ معك واعتبري أني حالتك الأولى هنا .

أزالت فريدة نظارة الشمس التي ترتديها ونظرت له بتعجب من ثم أردفت:

–حسنًا ، ولكن أنسى أني فريدة التي تعرفها أنا طبيبتك لذا عليك أن تصارحني وتجاوبني على كل أسئلتي . . .

أومأ لها خالد برأسه موافقًا وفي ذات الوقت سمع صوت فريدة مؤكدة:

–اتفقنا . . . ؟ !

ابتسم لها خالد وقال بثقة:

–اتفقنا يا دكتورة فريدة .

دخلت فريدة السيارة وهي تبتسم وأردفت لخالد الذي يقف بجوار الباب:

–في العيادة فقط ليس هنا ، هيا أركب .

هم خالد مسرعًا بلهفة وركب السيارة، بدأت فريدة في القيادة من ثم نظرت لخالد بتعجب وسألته:

–لمَ ترتدي نظارة الشمس الآن، زجاج سيارتي يعزل أشعة الشمس المزعجة .

توتر خالد وقال لها :

-لا أنا أفضل أن ارتديها في النهار دائمًا .

-هل أنت مصاب بمرض ما . . . ؟

-لِمَ تقولين ذلك . . . ؟

-لا أقصد أن أتدخل في أسلوب ملابسك ولكني متحيرة لِمَ ملابسك دائمًا ذات كم طويل برغم أننا في فصل الربيع . . . !

ضحك خالد وقال لها :

-يبدو أن الجلسة قد بدأت في السيارة، ألم تقولي لي منذ قليل كل شيء سيكون في العيادة . . . !

نظرت له فريدة نظرة خاطفة ومن ثم نظرت لطريقها وقالت نافيةً:

-أنا لا أسئلك بصفتي طبيبة أبدًا، وفي العيادة أنت من سوف يحكي أكثر من كوني سوف أطرح أسئلة.

نظر خالد للطريق وقال بأسى:

-لذا دعينا نبدأ هذا الموضوع في العيادة كي أكون مهيئ بشكل أفضل.

أومأت له فريدة برأسها وقالت بمواساة:

-أفتح لي قلبك تمامًا وكل ما تقوله لي هو سر بينك وبين الدكتورة فريدة، يعني خارج العيادة أنا لا أدري شيء عنك.

ها هما خالد وفريدة دخلا حجرة فريدة في العيادة، أشارت لخالد أن يمدد على الشيزلونج وقامت باختيار إعدادات من خاتمها بتفعيل خاصية تعتيم الزجاج تمامًا وتفعيل إضاءة هادئة تميل للأصفر والبرتقالي، واختارت من الجهاز الذي ينبعث منه الصور أن ينبعث منه مشعلين نار متحركة في زاوية الجدار الذي ينتصف به لوحة قيظ يونيو المقابل للشيزلونج، واختارت موسيقى هادئة تساعد على الاسترخاء.

ها هي فريدة تجلس على الكرسي المواجه للخالد وقالت له بهدوء:

-حسنًا يا خالد، أظن أن الجو هكذا يناسبك أكثر أليس كذلك . . . !

أومأ خالد برأسه وقال:

-يناسبني كثيرًا .

ابتسمت له فريدة وقالت له مشجعة إياه:

-لذا أخلع تلك النظارة والكمامة والقفاز ودعنا نبدأ وقل لي ما هو سبب بعدك عن الشمس هكذا . . . ؟

بدأ خالد بخلع كل تلك الأشياء، أخذتهم منه فريدة ووضعتهم على المنضدة المجاورة ومن ثم بدأ خالد في الحديث بعد ما تنهد بعمق:

-بصراحة أنا لا أستطيع مواجهة الشمس لأن الشمس تسبب لي حروق في جسدي، لذا أهرب منها بعدم خروجي في النهار إلا نادرًا وأكون مضطرًا أن أخرج

وأنا أرتدي قبعة وقفاز ونظارة وكمامة والناس ينظرون لي نظرة ريبة لا أحبها ، لذا ابتعدت عن الناس .

-أتقصد أنك ليس لديك أصدقاء أبدًا . . . !

-ليس لي سوى أنتِ وزين .

-يعني قبل ظهوري أنا وزين كنت بمفردك فقط . . . !

أومأ لها خالد رأسه بأسى فأكملت فريدة متسائلة:

-هل تعيش بمفردك . . . ؟

أومأ برأسه مؤكدًا فنظرت له فريدة متعجبة وهي تدون على الشاشة المنبثقة من خاتمها وسألته:

-هل يمكن أن أعرف ما هو سبب اختيارك للعزلة .

قال لها خالد بأسى:

-لم أختر العزلة بل العزلة هي التي اختارتني .

-كيف يا خالد . . . ؟

-ليس لي أهل، أنا وحيد .

-كيف ليس لديك أهل . . . ؟

-للصدق لم يكن لي سوى أمي في هذه الدنيا ولكن سرعان ما حرمت منها .

-متى فقدت أمك . . . ؟

-لا أتذكر بالضبط .

-كيف لا تتذكر وهي الوحيدة لك في هذه الدنيا . . . ؟

-أنا لا أشغل بالي بالتاريخ والأيام أبدًا .

-فقدتها في أي مرحلة في حياتك . . . ؟

-وأنا في شبابي .

-يعني منذ فترة قريبة . . . !

-يمكنك قول ذلك .

نظرت له فريدة وقالت له كي ينظر لها بعدما شرد :

-خالد عليك أن تساعدني وتجاوبني بدقة .

-أنا أجاوبك صدقيني .

-حسنًا ، ولكن كيف تعيش بمفردك، وهل تدرس أو تعمل، ماذا تفعل في حياتك . . . ؟

-لا أفعل شيء . . .

-كيف لا تفعل شيء، وكيف تعيش . . . ؟

-أمي كانت سيدة لديها الكثير من المال وقبل وفاتها قامت ببيع كل ممتلكاتها وتركت لي كل أموالها ، وللحق أنا أعيش حياة بسيطة لا يغرك تلك الفيلا التي أعيش بها ، حتى نظام أكلي مختلف .

-ولكن يا خالد كل شيء وله نهاية، حتى وإن كان المال معك كثير سوف يأتي يوم وينتهي، عليك أن تدرس أو تعمل كي تعمل على زيادة هذا المال .

-لا أستطيع الخروج إلا في الليل لأني لا أحب أن ينظر لي الناس بتعجب هكذا .

-هل أنت مصاب بالبورفيريا . . . ؟

نظر لها خالد بتعجب وقال لها :

-كيف عرفتِ . . . ؟

-أنا أعلم أن هناك حالات مثلك يتجنبون الشمس لأن الشمس تضر جلودهم كثيرًا ، وبشرتهم شاحبة جدًا وأغلب الأطعمة لا يأكلونها .

-صحيح كل هذه أعراض مرضي .

-هذا المرض يؤكد شحوبك عندما رأيتك أول مرة عندما زرتك أنا وزين، وكذلك حالة الهياج التي أصبت بها .

-لذا أنا أفضل أن أتجنب الناس لأن ليس كل الناس مثلك أنتِ وزين .

نظرت له فريدة بابتسامة ولكن سرعان ما نظرت له بتعجب وأردفت:

-ولكن أنا متحيرة جداً كيف أنت مصاب بالبورفيريا الحادة ولكنك صرت فجأة نضر هكذا وكأنك استعدت عافيتك ولكنك ما زلت تتجنب الشمس . . . !

-صرت ملتزم على جلساتي مع طبيبي الخاص وهو يقوم بنقل كمية الدم التي احتاجها .

-صحيح مريض البورفيريا يحتاج إلى الهيم من الدم .

-صحيح، طبيبي الخاص يحاول أن يبتكر لي علاج خاص كذلك ولكن طلب مني الاستمرار على الحيطة من الشمس إلى أن يجرب معي علاج الجلدي، وبصراحة أقول لكي الحقيقة التي قالها لي طبيبي . . . !

-قل لي كل ما يجول في خاطرك فأنت مريضي الوحيد الآن كل الوقت لك .

-طبيبي تعجب جدًا من نتيجة استجابتي لبقية العلاج وعندما ذكرت له أني تعرفت عليكِ وعلى زين قال لي أن العامل النفسي له دور مهم في الاستجابة للعلاج .

-أنا وزين سنكون سند لك لا تقلق إلى أن تكون بخير وتمارس حياتك مثل الآخرين . . . ولكن قل لي منذ متى أصبت بهذا المرض . . . ؟

-قلت لكِ لا أتذكر تاريخ أي شيء .

-يعني ما هي المرحلة العمرية التي أصبت بالبورفيريا . . . ؟

-في مرحلة الشباب أيضًا .

-حسنًا هل يمكنك أن تحكي لي عن طفولتك أو فترة معينة في حياتك أثرت بك .

-لا أتذكر شيء أبدًا عن حياتي في طفولتي .

-كيف . . . ؟

-لا أدري . . . كل ما أتذكره أني في يوم كنت مع أمي في الحديقة وبمجرد أن فقت من نومي أمي عانقتني بشدة باكية . . .

قاطعته فريدة وسألته:

-ولِمَ كنت نائم في الحديقة . . . ؟

-أقصد أني كنت في غرفة في حديقة فيلتي على سرير وعندما أفقت أمي عانقتني وبكت وبدأت تقول لي "حمدًا لله على سلامتك" وهي تقبلني بلهفة .

أومأت له فريدة برأسها على أن يكمل فأكمل خالد شاردًا :

-نظرت لها بتعجب وسألتها : " من أنتِ . . . ؟ وأين أنا . . . ؟" .

مسحت دمعها المنهمر وقالت لي وهي تنظر لي بلهفة:

-أنا أمك يا حبيبي . . . وهذا بيتك يا ولدي .

نظرت لها متعجبًا وقلت لها وأنا أحاول أن أقوم وأجلس على السرير ولكني شعرت أن جسدي يؤلمني بشدة، ولكني جاهدت نفسي وأنا أسألها بتعجب:

-أمي . . . ؟ وهذا بيتي . . . ؟ أمي من . . . ؟ ومن أنا . . . ؟

بكت أمي وهي تحاول أن تجعلني أمدد وأنام مرة أخرى وهي تبكي وتبتسم لي بلهفة وهي تمسح على شعري وهي تقول لي:

-أرتاح يا حبيبي ومع الوقت سوف تبدأ تتذكر كل شيء .

أبعدت يدها عني وقلت لها بتشتت:

-من أنا . . . ؟ أريد أن أفهم الآن . . . ؟ ولِمَ جسدي يؤلمني هكذا . . . ؟

-أنت أبني حبيبي الذي أراد الله ألا يحرمني منه، وجسدك يؤلمك لأن . . .

لم تكمل كلامها ، فقلت لها بحيرة:

-لماذا قولي لي . . . ؟

-لأنك قمت بحادث وكنت بين الحياة والموت ولكن الرب استجاب لدعائي وعدت لي من جديد ومع الوقت ستكون بخير يا حبيبي .

شعرت أني اختنق من هذه الغرفة التي لا يضيئها شيء سوى ضوء البدر القادم من بابها ، قلت لها وأنا أسعل:

-أريد أن أخرج من هذه الغرفة أريد أن أتنفس .

أومأت لي أمي أنها موافقة، وهمت كي تنادي على البواب والخادمة كي يحملاني للخارج لأن صحتها لا تسمح لها بحملي .

وبمجرد أن سندني البواب من اتجاه والخادمة من الاتجاه الآخر وتحاملت على نفسي وأنا أسير ببطيء للخارج بدأت أتمالك قوتي، وبمجرد أن ملئ الهواء صدري شعرت أن الروح قد ردت بي من جديد وأنا أنظر للسماء ، هنا نظرت لي أمي بلهفة باكية وهمت تعانقني، هنا قلت لها بعد أن خرجت من حضنها :

-من أنا . . . ؟ أريد أن أعرف كل شيء .

مسحت دمعها وقالت لي:

-أنت خالد ولدي.

-قولي لي كل شيء عني. . . لا أريد أن أشعر أني تائه هكذا. . . ؟

وضعت يدها على صدري كي تهدئني وقالت لي بصوتها الحاني:

-سوف أقول لك كل شيء ولكن تعال أصعد غرفتك بالأعلى وبعد أن ترتاح سوف أحكي لك كل شيء.

صعدت أمي معي الغرفة ولكني لم أنم طيلة الليل، وأمي بدأت تنعس فقلت لها:

-عليكِ أن ترتاحي.

مسحت على شعري بلهفة وقالت لي:

-أنت راحتي يا ولدي، لا أريد شيء من الدنيا سواك.

أكدت عليها أن تذهب للنوم وقلت لها:

-أرجوكِ نامي الآن، وأنا لن أعرف أكمل نومي لأني يبدو أني نمت كثيرًا .

-صحيح نمت كثيرًا يا حبيبي ولكن كي أستطيع النوم تعالى نام معي في غرفتي .

-وأبي . . . ؟

-أبوك مات منذ عدة سنين .

قمت من سريري وقلت لها متسائلًا :

-ألن تحكي لي كل شيء كي أتذكر ما مررت به قبل الحادث .

سحبتني من يدي وقالت لي:

-أنسى الماضي يا ولدي، دعنا نبدأ حياة جديدة وإذا جال في خلدك سؤال مثل سؤالك عن أبيك ويمكنني أن أجيبك ولكن نصيحتي لك أنسى الماضي ودعنا نبدأ من جديد .

قالت له فريدة متعجبة:

-يعني أنت مصاب بفقدان الذاكرة أيضاً ولا تعلم شيء عن حياتك.

أومأ لها خالد أي نعم، عم الصمت قليلاً ومن ثم سألته بحيرة:

-هل يمكن أن تقول لي ما اسم أمك...؟

-أمي اسمها رحاب.

هنا صدمت فريدة وظلت شاردة لبعض الوقت فسألها خالد بحيرة...؟

-فريدة ماذا بك...!؟

ازدردت فريدة لعابها بعدما جف حلقها من الصدمة، وسألته:

-هل لديك أخوة يا خالد...؟

-أنا وحيد ليس لدي أخوة.

-يعني أمك لم تحكي لك أن لديك أخ يكبرك سنًا...؟

-قلت لكِ أن أمي لم تحكي لي شيء وطلبت مني نسيان الماضي.

-هل يمكن أن أعرف ما هو اسم أبوك يا خالد . . . ؟

-أمي قالت لي أن اسم أبي فتحي* .

هنا صاحت فريدة بصدمة:

-فتحي . . . !

قال لها خالد متعجبًا:

-هذا ما قالته لي أمي، ولكن لمَ صدمتِ هكذا . . . ؟

لمعت عيني فريدة وقالت له بلهفة الغريق الذي رأى أن هناك من سوف ينجده:

-أنا متأكدة أن لك أخ يكبرك سنًا .

نظر لها خالد بلهفة وأردف:

-حقًا . . . ؟

ومن ثم ابتسم وقال ساخرًا:

-ألا يكون زين أخي . . . !

ابتسمت له فريدة وخرجت من حالة الجد التي أصابتها وقالت:

-توقف يا خالد ، يبدو أن زين قد أصابك وصرت تمزح مثله .

تمالك خالد ضحكته وقال بلهجة يحاول أن تكون جد :

-حسنًا من هو . . . ؟

-لا لن أقول لك أي شيء عنه إلا بعد أن أتأكد إن كان هو أم لا ؟

-وكيف سوف تتأكدين . . . ؟

-هل ما زالت متعلقات والدتك موجودة في الفيلا . . . ؟

-نعم موجودة في صندوق كبير .

-هل يمكنك أن تأخذني لبيتك .

-أكيد ، ولكن متى . . . ؟

قالت له فريدة بلهفة وكأن روحها قد عادت لها أخيرًا:

ـحالًا .

***

# الفصل الرابع

## الصندوق

خالد وفريدة وصلا أمام الفيلا، وها هي فريدة تغلق باب سيارتها بقوة متعجلة، وخالد يلحقها متعجبًا وهو يقول لها:

-على مهلك يا فريدة لمَ أنتِ متعجلة هكذا . . . !

التفتت له فريدة بلهفة وقالت وهي تسحبه:

-سوف افهمك كل شيء بعد قليل لا تتعجل، بل الحقيقة سيفهم كلانا كل شيء بعد قليل.

تعجب خالد ولكن سرعان ما هم بفتح الفيلا، فالتفتت له فريدة متسائلةً:

-آه، أين الصندوق . . . ؟

أشار لها خالد تجاه الغرفة الموجودة في نهاية الحديقة، وبمجرد ما علمت فريدة المكان سبقته له مسرعةً، فأتبعها خالد مسرعًا كي يلحق خطاها .

حاولت فريدة فتح باب الغرفة ذا مقبض الأبواب القديمة، فنظرت متعجبة، فقال لها خالد ضاحكًا:

-هل يمكن أن تعطي لي الفرصة كي اسبقك وسوف أقوم لكِ بما ترغبين به.

ها هو خالد يخرج من جيبه مفتاح ذا الطراز القديم النحاسي، وبمجرد ما فتح الغرفة انبعثت منها رائحة عفنة جدًا لدرجة أن فريدة أوشكت على التقيؤ بسببها ولكن سرعان ما كتمت أنفاسها ومن ثم سعلت وقالت وكل ملامح التقزز قد رسمت على وجهها:

-ما هذه الرائحة يا خالد.

تمالك خالد نفسه وقال لها:

-بعد قليل ستهدأ الرائحة، يمكن سبب هذه الرائحة أني لم أقم بفتحها منذ موت أمي.

ضحكت فريدة ضحكة تهكمية وقالت:

-بعد قليل ماذا . . . ؟ هذه الرائحة تحتاج لسنة كي تتخلص منها الغرفة، الرائحة تشبه رائحة جثة متعفنة .

نظر لها خالد وعلى وجهه ملامح جد :

-ليس لهذه الدرجة .

نظرت له فريدة ممازحة إياه:

-أنت تقول هذا لأنك ترتدي كمامة .

لم يرد عليها خالد فرسمت ملامح الإحراج على وجه فريدة وقالت متمالكة الموقف:

-أمزح معك يا خالد، لمَ أنت جد هكذا . . . ؟ !

ظل خالد ينظر أمامه وهو يهم بالنزول على ركبتيه كي يقوم بسحب الصندوق من تحت السرير .

وقفت فريدة شاردة لا تدري ما الذي تريده وماذا سوف تستفاد في كل الحالات، ولكن فضولها قادها لهنا وتريد أن تعرف ما يقودها إليه .

أحياناً ما يقودنا إليه خاطرنا وقلبنا صحيح .

ها هو خالد يلتفت ويقول لها قبل أن يفتحه:

-هل تصدقين أني لم يأتي في بالي قط أن أفتح هذا الصندوق . . . ؟

نظرت له فريدة متعجبة وهي تهم بالنزول أرضاً بجواره وهي تقول له:

-ولكن لماذا . . . ؟

هم خالد بنزع كمامته وقال لها :

-لأن أمي لم ترغب بأن تخبرني شيء ، فلم أحب أن أبحث عن حياتي السابقة احتراماً لرغبتها ، فبمجرد ما ماتت أمي طلبت من الخدم أن يقومون بأخذ كل متعلقات أمي ووضعها في هذا الصندوق ولم أترك لي سوى صورتها المعلقة على الدرج.

نظرت له فريدة ومن ثم نظرت للصندوق بلهفة وقالت:

-وهل سنقوم بفتح الصندوق الآن أم ماذا . . . ؟

-آه أكيد . . .

لم يكمل خالد كلامه وقال وهو يضرب رأسه بكف يده:

-آوه، إن الصندوق مغلق بقفل .

-وأين هو مفتاحه . . . ؟

-صدقيني لا أعرف .

-يجب أن نبحث عنه الآن .

-ولكن أنا لا . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة خرجت من الغرفة مسرعةً وهي تقول بلهفة وهي تقف أمام باب الغرفة:

-يجب أن نبحث في كل مكان .

نظر لها خالد متعجبًا :

-ولكن لِمَ كل هذا . . . ! أنا صاحب الشأن ولا يشغلني إلى هذا الحد .

دخلت فريدة الغرفة وسحبته وقالت بلهفة صاحبها الجد :

-ولكن يهمني أنا ، يجب أن نعرف كل شيء عن ماضيك وعن عائلتك، لا يصح أبدًا أن تعيش جاهل كل شيء عن ماضيك وعن حياتك .

***

ها هو خالد دخل فيلته وأعطى أمر للروبوت للبحث عن مفتاح الصندوق وبالفعل صعدا وراء الروبوت، وها هو الروبوت يقوم بمسح كافة ارجاء غرفة رحاب بعينيه، لدرجة أن فريدة فقدت الأمل أنه غير موجود ولكن سرعان ما تجدد بها الأمل بمجرد ما سمعت صوت النتيجة الصادر من الروبوت:

-المفتاح. . . غير موجود في هذه الغرفة .

بمجرد ما أكمل الجملة، قلت همتها ولكن سرعان ما قالت لخالد بلهفة:

-لن يضر أن بحثنا في كل الفيلا أليس كذلك . . . !

رفع خالد كتفه بلامبالاة وأردف:

-أنا معكِ للنهاية .

بالفعل قام الروبوت بالبحث في كل ارجاء الفيلا بدون جدوى، وها هي فريدة وخالد في الحديقة .

فريدة شاردة تفكر بصمت فقطع خالد صمتها بصوته:

-في ما تفكرين يا فريدة . . . ؟

-لا أدري فيما أفكر، ولكن أشعر أن في هذا الصندوق شيء مهم بالنسبة لك ولي .

-ما رأيك في أن نكسره . . . ؟ !

نظرت له فريدة بلهفة كمن رأى النور من بعد الظلمة وقالت:

-نسينا أن نبحث في الغرفة الموجود بها الصندوق .

***

ها هو الروبوت يمسح الغرفة بعينيه وبمجرد ما سمعت فريدة الصوت النابع من الروبوت وضعت يدها على قلبها :

-المفتاح . . . هنا .

هم خالد مسرعًا بالبحث تحت السرير وبالفعل قد وجده .

أخذته فريدة من يده مسرعةً بلهفة وهمت بفتح الصندوق .

ها هي تنظر للصندوق بتعجب لأن الصندوق برغم حجمه الكبير لا يوجد به إلا بضعة أوراق .

سألته فريدة متعجبة وهي تبحث في الأوراق:

-هل هذه كل متعلقات أمك . . . ؟ !

-كما تعلمي بمجرد موت أمي طلبت من الخدم أن يجمعوا أشيائها ، يمكن البعض أخذ أشيائها أو قام بتوزيعها لا يهمني و . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة صاحت متعجبةً بمجرد ما رأت مجموعة من الصور :

-هل هذه صورة عائلتك . . . ؟

نظر خالد لما في يدها وقال متعجبًا :

-كما تعلمي أنا لم أرى صورة والدي، ولكن هذه المرأة تشبه أمي، يمكن هذه صورتها في شبابها ، وهذا الرجل على ما يبدو أكيد هو والدي، وأكيد هذا الطفل كنت أنا .

نظرت له فريدة بشرود غير مستوعبة ومن ثم قالت وهي تعيد نظرها للصورة:

-أنهم فتحي ورحاب اللذان أعرفهما .

نظر لها خالد مستغربًا :

-وما المميز في كلامك ذا، سبق وقلت لكِ اسم أمي وأبي وأكيد سبق ورأيتِ صورة أمي المعلقة على الدرج.

-لم أتعرف على رحاب من الصورة المعلقة على الجدار لأني لم أركز بها بسبب الإضاءة المتذبذبة يومها واليوم لم أنتبه لها لأني كنت أبحث عن ال . . .

قاطعها خالد متعجبًا:

-آه صحيح، لتوك قلتِ لي "أنكِ تعرفين والداي" . . . ؟ ولكن كيف تعرفين عائلتي . . . ؟ هل نحن أقرباء . . . !

لم تعره فريدة تقدير لسؤاله وقالت بلهجة غلبها الجد وهي تهم بالوقوف وفي يدها كل الأوراق والصور:

-هل يمكن أن أخذ تلك الأوراق كي أتطلع عليها في بيتي . . . ؟

-ولِمَ تستأذني وأنتِ بالفعل قد أخذتِها . . . !

ابتسمت له ولكن وراء ابتسامتها حيرة تغزو كل ملامحها ، وهمت بالخروج من الغرفة وهي تتمتم:

-سوف أتركك كي ترتاح قليلًا ، أراك غدًا .

قال لها خالد بلهفة وهو يهم كي يلحقها خارج الغرفة:

-لِمَ لم تجيبيني يا فريدة . . . ؟ ولِمَ لا نرى الصور والأوراق سويًا وتفهميني كل شيء . . . ! ؟

التفتت له فريدة وقالت:

-لا ، بل عليك أن ترتاح الآن وأنا كذلك سوف ارتاح، وبعد ما أرتب أفكاري سوف أخبرك بكل شيء .

***

# الفصل الخامس

## السر

ها هي فريدة تدخل غرفتها وهي تمشي شاردة الذهن، ومن ثم القت بالأوراق على المكتب والصور واضحة أمامها، تنظر للصور شاردة وتسأل في قرارة نفسها:

-أنا لا أفهم شيء، من خالد هذا . . . ؟ هل هو أخ لفارس . . . ؟ ولكني عندما عدت بالزمن لم يكن لفارس أي أخوة . . . ولكنه أقر أن من في الصورة هي أمه، ورحاب لم تنجب سوى من فتحي وأنجبت فارس فقط . . . !

آه، أنا في حيرة رهيبة كيف لخالد أن يكون هو فارس وفارس مات أمام عيني بل وبين يدي.

من هذا الخالد . . . من هو . . . ؟ يجب أن أعرف السر الذي وراءه . . . ولكن كيف لي أن أعرف وأنا قمت بتحطيم جهاز السفر عبر الزمن كما طلب مني زين.

ماذا عليّ أن أفعل . . . ؟ سوف أتصل بدكتور جون هو من صنع لي هذا الجهاز وهو قادر أن يصنع لي غيره .

لمست فريدة خاتمها كي تتصل برقم دكتور جون ولكن الهاتف مغلق وسمعت صوت الرسالة المسجلة:

-أهلًا أنا دكتور جون، أترك لي رسالة صوتية وسوف أعيد الاتصال بك في أقرب فرصة .

-دكتور جون، اشتقت إليك كثيرًا ، وأشعر بحزن رهيب يجتاح صدري لأنك لم تحضر زفافي وأنت تعلم جيدًا ماذا تعني لي، على العموم أنا في انتظار اتصالك، أحبك .

ها هي فريدة تخطو تجاه سريرها وتلقي بجسدها متعبة من كثرة التفكير وهي تتمتم لنفسها :

-بعد قليل سوف يتواصل معي جون وسوف يصنع الجهاز مرة أخرى وسوف أعرف الحقيقة كاملة .

***

ها هي فريدة تفتح عينيها بسبب صوت ارتطام شيء في زجاج شرفتها ، تفتح عينها فترى ذلك الطائر في شرفتها يحاول أن يخترق الزجاج وينقره بمنقاره، ونقره يزداد أكثر وأكثر إلى أن شرخ الزجاج قليلًا ، وفريدة الذعر احتل ملامح وجهها من بعد ملامح التعجب .

ها هو الطائر ينقر الشرخ أكثر فتحول الشرخ إلى كسر ، وكلما زاد الكسر أكثر كلما ازداد حجمه أكثر ، هرعت فريدة هاربة تجاه باب غرفتها وهنا قد تمكن الطائر من دخول الغرفة، وهي تحاول فتح بابها ولكن بلا جدوى وهي تصرخ من شدة الرعب الذي تعيش به، وفجأة بدأت تشعر بحرارة رهيبة تأتي من ورائها ، بمجرد أن التفتت رأت ذلك الطائر البرتقالي ذا الاجنحة النارية، أجنحة نارية بالفعل ليس مجرد وصف لون، لقد تمكنت الشعلات النارية من ريش جناحية، وعينيه تخرج شرر نار رهيب

تجاه فريدة، ولكن سرعان ما تتجنب فريدة تصويبه عليها ، وتلبد النار في الباب، ها هو الطائر يتحرك ويجعل ظهره للباب كي يقابل فريدة التي أصبحت تجاه شرفتها ، ولكنها لم تتمكن من العبور بسبب كثرة فتات الزجاج في الأرض، ولكن سرعان ما قررت أن تعبر فوق الزجاج وتقفز قفزة كبيرة على أمل أن تهرب من النار التي تخرج من عين الطائر ولبدت في سريرها .

سقطت فريدة في شرفتها جريحة القدمين بسبب فتات الزجاج المنثور في كل ارجاء الشرفة، وهي تلهث باكية تنظر لقدميها الدامية ومن ثم ترفع رأسها فترى أن النار قد لبدت في كل غرفتها والطائر يقف أمامها .

ترفع رأسها تنظر لسور شرفتها وهي تمسك بالقطعة الزجاجية من قدمها وهي تكتم نفسها وتهم بسحب الزجاج منها ، حينها طلقت صرخة قوية لحقتها نعيق الطائر الذي هم بإطلاق شعلة نارية أخرى من عينيه كي تلبد في الشجرتين اللاتي يحطن بشرفتها ، ومن ثم نعق كأنما يسخر منها وهي أمامه ضعيفة محاصرة غارقة في دمعها

ودمها، كأنه كان تارك لها فرصة للهرب ولكن كان يجب عليها أن تذوق ألم رهيب كي تهرب، وبعد أن يتلذذ بألمها يغلق في وجهها آخر سبيل للنجاة.

اقترب منها بجناحيه وهم بضمها كي تلبد النار بها وهي تصرخ ولكن صوت أجش قطع صراخها:

-نهايتك على يدي يا عجيبة.

***

-عجيبة.

فزت فريدة من نومها مفزوعة، ولكن سرعان ما التقطت أنفاسها ومسكت رأسها ونظرت لزين وقالت له متعجبةً:

-ومنذ متى تقول لي يا عجيبة...؟

نظر لها زين مستغربًا وقال:

-لم أقل لكِ يا عجيبة، بل قلت لكِ "لم أنتِ نائمة للظهر . . . عجيبة . . . !" أقصد أنكِ قلتِ لي أنكِ ستواظبين على مواعيد العيادة الجديدة .

ما زالت فريدة تنظر له بحيرة ولكن سرعان ما تفحصت خاتمها ولم تجد أي مكالمة أو رسالة من دكتور جون فقامت برفع شعرها بعصبية وقلق وسألت زين:

-زين ألا تعرف أي جديد عن دكتور جون بما أنك عدت لتوك من لندن .

جلس زين بجوارها وقال:

-كما تعلمي أن سفري سريع جدًا ، أكمل أمور مهمة في العمل وأعود لكِ من جديد يا عزيزتي .

لمست فريدة خاتمها مرة أخرى وملامح القلق احتلت وجهها وهي تقوم بتشغيل مكبر الصوت من الشاشة المنبثقة أمامها وهي تتصل بالعمة كرستين، أكملت الاتصال ولم يأتي أي رد .

قامت فريدة من سريرها ووقفت أمام زجاج شرفتها وهي تعاود الاتصال مرة أخرى وفي هذه المرة جاءها صوت العمة كرستين، صوت واهن مكسور:

-ألو.

مما جعل الخوف ران على قلب فريدة التي قالت بصوت مرتجف:

-عمتي كرستين. . . هل أنتِ بخير. . . ؟

سمعت فريدة صوت العمة كرستين وهي تبكي:

-أنا بخير يا فريدة. . .

-ماذا حدث يا عمتي. . . ؟ هل حدث لكِ شيء. . . ؟ ولِمَ جون لا يرد على اتصالي ولِمَ لم تحضرا زفافي. . . ؟

-جون. . . لقد. . .

قطع بكائها صوت فريدة القلق المتسائل:

-ما به جون . . . ؟ قولي لي الحقيقة . . . ؟ ما به . . . ؟

-لقد مات جون يا فريدة مات .

هنا لم تعد فريدة قادرة على أن تقف وخرت واقعة فاقدة للوعي .

***

ها هي فريدة تقف هي وزين وأمها وتين على باب بيت دكتور جون، ها هو الروبوت يفتح لهم الباب ويدخلوا غرفة الضيوف التي تجلس بها كرستين التي أصابها العجز أكثر بعد موت زوجها ، صارت مثل الوردة التي قطفت وألقت على الطريق كي تلقى مصرعها هي الأخرى .

هرعت فريدة إليها صارخة باكيةً في حضنها ، لأن كرستين وجون اعتبراها أبنتهما بعد ما أيقنا أنهما لن ينجبا أبدًا .

من ثم صعدت فريدة لغرفة جون ولمست صورته وهي تقول في قرارة نفسها وهي تبكي بحرقة:

-كنت أظن أني يتيمة بعد موت أبي ولكن اليوم لقد ذقت كأس اليتم الحقيقي، إن هذا الكأس مُر حقًا ، فقد الأب أصعب من السم، لأن السم يجعل المرء يعاني للحظات ومن ثم يرتاح للأبد ، ولكن كأس اليتم المرير يجعل الغصة تخنقك كل لحظة في يومك .

ها هي تأخذ صورة جون وتجلس على سريره وتقول له باكيةً:

-تعرف يا جون كنت أظن أني سوف أكون تلك الفتاة القوية دائمًا ولكن موت أبي كسر لي ساق وصرت عرجاء أمشي بصعوبة أدركت حينها أن أبي كان قوتي وسندي، ولكن من هون عليّ كسر ساقي هو أنت يا جون وصرت لي ساقي الأخرى بل وكنت لي السند والأب الذي أحتاجه، بل واختراعك لكي ارجع بالزمن لكي أقابل أبي شد لي ظهري الذي أنحنى بفراقه، ولكن ها أنا الآن بفراقك كسرت ساقي الأخرى وظهري قد أنحنى لأني لن يمكنني أن أرى أبي أو أراك مرة أخرى يا عزيزي .

أنا الآن يتيمة يا جون، أنا الآن يتيمة يا مراد ، أنا مكسورة ضعيفة أريد كما أن تأخذا بيدي كي أقف من جديد أو تأخذاني إليكما .

من ثم بكت بكاء هستيري، فدخل عليها زين وهم بضمها وهو حزين على حالتها ويقول لها مهونًا عليها :

-أهدئي يا فريدة لا تفعلي بنفسك هكذا أرجوكِ .

-أنا وحيدة يا زين، وحيدة وليس لي نصيب أن يكون لي أب مثل باقي البشر مكسورة الجناح أنا يا زين وتائهة .

-أنا بجانبك دائمًا يا فريدة، أنا ظهرك، أنا سندك لا تقولي هذا الكلام أرجوكِ .

***

ها هي فريدة تقف أمام قبر جون وتبكي بصمت وزين يربت على كتفها ويقول لها مهونًا عليها :

-هيا يا فريدة، يجب أن تعودي لحياتك في مصر وتكملي حياتك كما كان يتمنى والدكِ، صار لك شهر هنا إلى متى ستظلين هكذا . . . ؟

-متعبة يا زين، لقد فقدت آخر ما تبقى من طاقتي بفراق جون .

-هل تريدين أن تبقي في حالتك تلك، أم ستتركين نفسك في حالة صدمة لمدة أكثر من عام مثل عندما مات أبيكِ، فريدة أنتِ كبرتِ وتعلمي جيدًا أن عليكِ أن تواجهي الحياة بمصاعبها ، لا تدعيها تهزمك هكذا ، عودي تلك الفتاة المشاغبة مرة أخرى لا تنطفئي يا فريدة، حياتنا مظلمة من دونك، دعي ضوئك يشع مرة أخرى يا شمسنا .

نظرت فريدة نظرة من وجد النجدة بعدما أوشك على الموت والتقاط أخر أنفاسه .

***

فريدة هاتفها يومض باتصال من خالد ولكنها لا ترد عليه منذ آخر لقاء لهما .

ولكن سرعان ما يقطع تفكيرها صوت جرس الباب وكان القادم هو خالد وبمجرد دخوله لغرفة الضيوف همت فريدة بالخروج فنادى عليها زين متسائلًا :

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة، إن خالد جاء إلى هنا مخصوص كي يطمئن عليكِ .

جاء صوت فريدة الخافت من بعيد من دون حتى أن تلتفت لأي منهما :

-أنا متعبة، أريد أن أرتاح.

شعر خالد بالإحراج بسبب عدم استقبال فريدة له فتمالك زين الموقف وهم مرحبًا بخالد وأجلسه بجواره على الأريكة، ولكن خالد سرعان ما شرد عن حديثه مع زين وهم بإرسال رسالة لفريدة.

-فريدة لِمَ لا تردين على اتصالاتي وحتى لقائي بكِ تتجنبيه، هل صدر مني أمر أزعجكِ لهذا الحد، في كل الحالات أنا آسف عن كل ما صدر مني بقصد أو من دون قصد، وصدقيني سوف أبتعد ولن أضايقكِ ثانيةً.

من ثم هم واقفًا فجأة فقال له زين متعجبًا:

-لِمَ أنت متعجل هكذا يا صاح...؟

هرع خالد مغادرًا وقال معتذرًا:

-اعذرني، يجب أن أذهب الآن.

-هل سوف أراك لاحقًا...؟

-أتركها تأتي على حسب الظروف.

من ثم رحل، وقف زين متعجبًا متمتمًا في قرارة نفسه:

-ماذا يحدث لهما . . . ؟ أشعر أني مثل الأطرش في الزفة .

ها هي فريدة تفتح الدرج الخاص بها وتخرج تلك الصور وتنظر بحيرة وتسأل نفسها :

-كيف لي أن أعرف الحقيقة وراء خالد إن ظهوره في حياتي للغز رهيب ولقد أعتد أن أحل أي لغز يقابلني ولكن كيف . . . ؟

هنا قطع شرودها صوت أحد يطرق على باب غرفتها من ثم دخلت أمها وبيدها كتاب كعادتها وسألتها بقلق:

-فريدة، لمَ تركتِ خالد هكذا ولم تحسني استقباله . . . !

تنفست فريدة الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-لن تتوقفي أبدًا يا وتين عن إقحام أنفك في حياتي أليس كذلك . . . ؟

-فريدة لا تغيري الموضوع وتهربي من الإجابة، هيا قولي لي السبب .

ابتسمت فريدة وقالت مغيرة الموضوع:

-ها قولي لي يا وتين ماذا تقرأين اليوم . . . ؟ ابهريني .

-تغيرين الموضوع للمرة الثانية يا فريدة . . . !

رفعت فريدة حاجبيها وقالت بثقة:

-تربيتك يا وتين وعليكِ أن تشربي من نفس الكأس التي تجعليني أشرب منه .

-كان يجب عليّ أن اسميكِ عنيدة لا فريدة .

من ثم تنفست الصعداء وقالت:

-حسنًا ، ها أنا أقرأ رواية .

-دعيني اطلع عليها .

ها هي فريدة تقرأ اسم مؤلف الرواية ومن ثم التمعت عينيها وقالت بلهفة:

-إن الرواية ل"رانيا رمضان" تلك المؤلفة التي تقتني أغلب أعمالها .

أومأت وتين رأسها موافقة وقالت بثقة:

-أنتِ تعلمين يا فريدة إنها من المؤلفين المفضلين لدي .

شردت فريدة في الرواية التي بين يديها وفتحت الصفحة الخاصة بسنة الإصدار وقالت بتعجب:

-إن هذه الرواية صدرت منذ عامان، هذا يعني أنها على قيد الحياة .

-أي نعم على قيد الحياة إن هذه المؤلفة في مثل عمري تقريبًا .

أومأت فريدة برأسها وابتسمت لأمها ، فنظرت لها أمها بحيرة وسألتها :

-ما الذي يدور في خلدك يا فريدة .

ابتسمت فريدة لوتين وأمسكت لها أنفها وقالت لها :

-سوف أخبرك بكل شيء إن توقفتِ عن فضولك ذا وهيا بنا ننزل لكي نأكل أنا جائعة جدًّا .

من ثم همت تجاه الباب بعفوية تتناقض مع ردة فعلها منذ قليل مع خالد ، فنظرت لها أمها متعجبة وقالت بنفاد صبر:

-أقسم أني أنجبت مجنونة للحياة لا طبيبة نفسية .

***

بعد منتصف الليل، ها هي فريدة تتحرك في السرير غير قادرة على النوم بسبب كثرة التفكير فقررت أن تجلس على السرير وتتصفح مواقع التواصل الاجتماعي في الشاشة المنبثقة من خاتمها ، وفجأة التمعت في ذهنها فكرة أن تبحث عن حساب رانيا رمضان المؤلفة ولكن سرعان ما أبعدت الفكرة عن بالها وقالت:

-ما هذا السخف يا فريدة . . . ؟ ما هو الذي سوف تفيدك به رانيا هذه المرة . . . ؟ في المرة السابقة عدت لعام 2020 كي أقابلها لكي استشيرها في مجال لها علم به، بينما الآن ما الفائدة من أن أقابلها في الواقع وليس لي إمكانية السفر عبر الزمن كي أكمل ما سوف أبدئه .

وهل يا ترى لو قابلتها في الوقت الحالي أي بعد مرور أكثر من ربع قرن هل سوف تتذكرني . . . !

لا أدري ولكن بداخلي شعور يقول لي أن اتواصل معها واحتمال كبير أن تتذكرني لقد كنت بطلة لأحد أعمالها في يوم من الأيام، وحاليًا هي بعمر أمي أكيد سوف تفيدني بخبرتها في الحياة.

ها هي فريدة تبحث عن الحساب الذي قرأته على ظهر الغلاف.

وجدت الحساب ولكنه فارغ تمامًا، قالت فريدة في قرارة نفسها متعجبة:

-يا لها من غريبة، لَديها حسابات على مواقع التواصل ولا تستخدمها . . . !

من ثم ركزت في الكلمة التعريفية الخاصة بالمؤلفة: " معكم رانيا رمضان بنت البروفيسور أديبة وشاعرة ومفسرة أحلام وعاشقة للماورائيات، هذا الحساب ما هو إلا همزة وصل بيني وبينكم كي تشاركوني قصصكم المميزة وأظهرها للنور فأنا بكم وإليكم دائمًا " .

هنا التمعت فكرة أخرى في عقل فريدة وقالت:

-أوه إنها عاشقة للماورائيات، لذا سوف اتواصل معها وأحكي لها بعض الأمور التي أمر بها وأكيد سوف تساعدني.

ارسلت فريدة رسالة لرانيا:

-أهلًا رانيا أقصد أستاذة رانيا، سامحيني أني لم أقل لقبك في المرة الأولى ولكن أتمنى أن تتذكريني أنا فريدة التي كنت أتي إليكِ من المستقبل عندما كنتِ في بداية شبابكِ، كنا صديقتين ولكن بما أني الآن فقدت جهاز السفر عبر الزمن صرت غير قادرة أن اقابلك في تلك الفترة التي أعتدتِ أن تريني بها، لذا قررت أن أتواصل معكِ في الواقع ضروري، أريد أن استشيرك في أمور كثيرة أمر بها يا رانيا، أرجوكِ ردِ عليّ ،أنا في حاجة إليكِ.

ظلت فريدة تنظر للرسالة على أمل أن تراها رانيا ولكن بلا جدوى، قررت فريدة أن تنام ولكن لم تستطع.

الوقت أوشك على الفجر وما زالت فريدة تفكر، ولكن سرعان ما قطع شرودها صوت رسالة، فلمست خاتمها بسرعة وكانت الرسالة من خالد، فتنهدت بنفاد صبر ولم تعر الرسالة انتباه، بعد قليل سمعت صوت رنين خاتمها انبثق من الخاتم شاشة تحمل اسم حساب رانيا فهرعت فريدة خارجة من غرفتها مسرعةً وبمجرد خروجها ردت على الاتصال فظهرت أمامها امرأة أوشكت على الخمسين من العمر تعجبت فريدة من رؤيتها وقالت:

-رانيا . . . ! سعيدة جدًا لرؤيتكِ . . . ؟

-لقد رأيت الصور الموجودة على حسابك وتأكدت أنكِ فريدة، تلك الرسالة لم تكن كفيلة أن اتواصل معكِ فلدي عدد كبير من القراء الذين يعرفون قصتك ومن السهل عليهم اختلاق هذه الرسالة.

-سعيدة جدًا لتواصلك معي يا رانيا، ولكن هل يمكن أن أتواصل معكِ الآن، أم أتواصل معكِ في وقت مبكر . . . ؟

نظرت لها نظرة تعجب وقالت بسخرية:

-يبدو أني تسرعت واتصلت بكِ يا فريدة لأنكِ لو كنتِ فريدة صديقتي لكنتِ علمتِ أني كائن ليلي.

ضحكت فريدة وهي تهم بالجلوس على أريكة غرفة الجلوس وقالت:

-أعلم يا رانيا ولكن قلت في قرارة نفسي أن الوضع قد تغير بحكم السن و. . .

-السن. . . ؟ أتقصدين أني صرت عجوز. . . ؟ حسنًا، يبدو أني تسرعت بالرد عليكِ.

-أمزح معكِ يا رانيا، على العموم دعيني أدخل لكِ في الموضوع، أنا أريدك في أمر ضروري هل يمكن أن أقابلك.

-تنورينني أكيد ولكن ها أنا ذا معكِ. . . !

-لا أريد أن أراكِ وأريكِ شيء مهم وأحكي لكِ موضوع غريب بشكل لا يتصوره عقل.

–ما دام لا يتصوره عقل أكيد يمكن أن تأتي لبيتي سوف أرسل لكِ موقع عنواني الجديد في القاهرة سأكون في انتظارك غدًا السابعة مساءًا .

***

## الفصل السادس

### الحل

ها هي فريدة تجلس أمام رانيا في حديقة بيتها ورانيا تقول لها بحيرة:

-لا أفهم يا فريدة ما الذي تقولينه . . . كيف تقولين لي أن فارس مات أمام عينيكِ وها هو خالد يدعي أن رحاب وفتحي هما والديه، كيف له أن يكون هو فارس وفارس إذا تم إنقاذه لكان عمره الآن أوشك على الخمسين .

هنا قالت لها فريدة بحيرة:

-ولكن يمكن لمرض البورفيريا دور في هذا بأنه لا يشيب ويهرب من الشمس لأنها تسبب له حروق جلدية و . . .

-حسنًا ، سوف أسايركِ أن المرض هو سر شبابه إلى الآن، ولكنه مات يا فريدة مات أمام عينيكِ بل ودفنته أمه في حديقة بيتها ورأيتِ ذلك بعينكِ عندما عدتِ بالزمن .

هنا ضربت فريدة رأسها وقالت بتعجب:

-آه صحيح، لقد دفنته في الحديقة، وهو قال لي أن أول شيء يتذكره في حياته هو خروجه من غرفة ما في الحديقة.

-إن ما يدور في عقلك الآن يا فريدة لا يصدقه عقل كيف لهذا أن يحدث . . . !

-كيف هذه أريدك أن تساعديني بها، يجب أن نعرف ونتأكد مما مر به فارس، يجب أن نجد الحلقة المفقودة في حياته، هل خالد هو فارس، أم خالد شخص نصاب أو مخادع ولكن لَم يفعل ذلك . . . أم احتمال آخر ؟

ظلت رانيا شاردة تفكر لا ترد على فريدة، ولكن فريدة نادت عليها كي تنتبه لها:

-رانيا، أنا أتحدث إليكِ . . . ؟

التمعت عيني رانيا وقالت بحماسة:

-وجدتها، سوف تعرفين الحلقة المفقودة.

-ولكن كيف . . . ؟

-لا تقلقي، دعيني ارتاح اليوم وفي الغد سوف تأتين لي في نفس الموعد وسوف تجدين الحل معي.

-ولكن ما هو. . . ؟

-صدقيني أنا لم أخذلكِ من قبل، خذِ كلامي ثقة.

***

فريدة في المساء تقف في شرفتها وتنظر لفيلا خالد بحيرة، الفيلا مغلقة مظلمة تمامًا بعدما وعدها أنه سوف يبتعد عنها، ها هي تفكر في قرارة نفسها:

-عليّ أن اقتحم الفيلا ولكن لمَ. . . ؟ لا أدري ولكن لا يضر. . . !

فريدة تخرج من فيلتها وتتجه ناحية فيلا خالد وتهم بتسلق سور الفيلا وكانت مطمئنة لأنها تعلم أن أجهزة خالد أغلب الأحيان معطلة، ها هي تمشي في حديقة الفيلا وتشعر بشعور مقبض وكئيب بسبب الظلمة الموحشة، ومن ثم وصلت لتلك الغرفة وأخذت تتذكر مكان قبر فارس، ولكن سرعان ما

شعرت بحرارة رهيبة وراء ظهرها ، وبمجرد أن التفتت رأت ذلك الطائر الضخم الناري، وهو يهم بإضرام النار عليها ، ولكنها هرعت صارخة هاربة، فلبدت النار في غرفة الحديقة، وفريدة تنظر بندم للغرفة المحترقة وهي تصرخ وكأن طرف الخيط التي كانت تريد أن تمسك به قد أختفى من يدها .

ها هو الطائر يقترب منها وهي تنظر له وتعود بظهرها للوراء وهي تصرخ إلى أن ارتطمت ببيت الكلب فسقطت أرضاً فصارت تزحف هاربةً بعد ما فقدت قدرتها على الوقوف مرة أخرى، والطائر يمشي أمامها راغبًا في أن تعود بنفسها إلى مقر النار في تلك الغرفة، وها هي تعود بظهرها وكل ملامح الذعر قد سيطرت عليها ولكن بمجرد أن أوشكت على أن تلامس النار رأت شاب يقف وراء الطائر، لم تتضح ملامحه بسبب اللهيب المنبعث من جناحي الطائر .

الطائر يرفع جناحيه وينعق نعيق قوي كان كفيل أن تفقد وعيها بسببه .

***

-فريدة، فريدة . . .

فتحت فريدة عينيها ونظرت بحيرة وتسألت:

-زين . . . ؟ ما الذي أتى بك إلى هنا . . . ؟

-جئت لأني سمعت صراخكِ وأتيت مسرعًا كي أنقذكِ .

ها هي تنظر حولها وتقول بدهشة صارخةً:

-النار، إنها حقيقة يا زين، هل رأيتها . . . ؟

-رأيت ماذا . . . ؟

-ذلك الطائر الناري .

-فريدة تعالي معي، يجب أن ترتاحي، لا يوجد أي طائر ناري هنا .

-يا زين ألا ترى النار . . . !

-نعم أراها .

-إذن ما رأيته كان حقيقي .

-نعم حقيقي لأنكِ من فعلتِ ذلك .

-فعلت ماذا . . . ؟

-أنتِ من أحرقتِ الغرفة يا فريدة، لا أدري لمَ فعلت هذا . . . ! ماذا فعل لكِ خالد كي تقومين بهذا ال . . .

أبعدت فريدة يد زين عنها وقالت له بريبة:

-هل تريد أن تقنعني أنني جننت يا زين . . . ؟

من ثم امسكت رأسها كمن تذكر شيئًا وقالت بكره له:

-أه تذكرت لقد رأيتك وراء الطائر، رأيت ضحكتك و . . .

-فريدة لقد جئت لتوي كي أنقذك، لماذا أضحك وأنتِ في مثل هذا الموقف، وأنظري حولك، سوف تكتشفين أنكِ من اضرمتِ النار في المكان، يجب أن تتابعي مع طبيب نفسي إن حالتك تسوء وصرتِ تمشين أثناء نومك وتوهمك إني شخص سيء زاد عن حده.

بدأ الروبوت في إطفاء الحريق بإشارة من زين وها هو يهم زين بالتقرب من فريدة كي يحملها ولكنها تمنعه:

-ابتعد عني يا زين، لا تقترب مني.

-حسنًا ولكن يجب أن تعودي للبيت وترتاحين.

هم زين بحملها وهي تنظر له بحيرة وتشكك، من ثم قطع الصمت صوتها وهي تسأله:

-أنت لا تصدقني يا زين . . . ؟

-أنا أصدقك دائمًا .

-ولكن لِمَ لا تصدقني هذه المرة .

-لأني رأيت بعيني ما يثبت عكس كلامك .

نظرت له فريدة بحزن ولم تكلمه فقال لها :

-سأظل بجوارك دائمًا يا فريدة إلى أن تكوني بخير .

***

فريدة مع رانيا وامرأة أخرى في غرفة الجلوس في بيت رانيا .

-هل تشكين حقًا في زين يا فريدة . . . ؟

-أنا حكيت لكِ ما مررت به يا رانيا ، ظهوره كان مفاجئ في حياتي ، والكوابيس زادت في حياتي بمجرد ما تقرب مني ، وفكرة الشبه بينه وبين جواد رهيب و . . .

-نعم بما إنه يشبه جواد إذن فهو يشبه فارس .

-صحيح وهذا ما جعلني أحبه، أني رأيت به فارس الذي فقدته ومات بين يدي .

-يعني مجرد كوابيس تجعلك تهدمين كل شيء تجاه زين .

-أكيد أحلامي لها معنى ودلالة يا رانيا .

هنا قطع كلامها صوت تلك المرأة الأخرى .

-ولكن يمكن ظنك في زين خاطئ، والذي يثبت ذلك وجودك في الحديقة و . . .

قاطعتها فريدة بانفعال:

-يمكن هو من وضع تلك الأشياء كي يجعلني اقتنع أني مجنونة وأسير أثناء نومي .

-لن يضر يا فريدة إن تابعتي مع طبيبة نفسية إن خالة زوجي طبيبة معروفة جدًّا و . . .

هنا قاطعتها رانيا وقالت موضحة بعدما رأت الانفعال احتل وجه فريدة:

-ريحانة يا صديقتي، إن فريدة طبيبة نفسية كذلك وتعلم . . .

هنا قاطعها صوت فريدة وهي تقول بانفعال:

-هل هذه هي التي سوف تساعدني يا رانيا ، جئتِ بها كي تتهمني بالجنون .

-لا بل كانت تقصد أن تقدم حل منطقي في البداية فقط .

مسكت فريدة رأسها وقالت:

-لا أدري يا رانيا ، لمَ الكل يدافع عن زين، أمي وأنتما ، كلكم مصرين أن تشعروني أني ظالمة بظني به لو رأيتم ما رأيته لكان كلامكن غير هذا الكلام .

قاطعتها ريحانة وقالت بثقة:

-ولكني ما زلت عند رأيي بكِ يجب أن تتابعي مع طبيب نفسي، لأن حالتك الآن تكثر بها الهلوسة زائد شكك المستمر فيمن حولك، في البداية كان زوجك والآن جارك خالد ، عقلك يختلق لكِ نظرية مؤامرة ليس لها وجود في الواقع .

نظرت فريدة كمن خسر النقاش لرانيا وقالت لها :

-وهل أنتِ معها ومع زين كذلك أني مجنونة . . . ؟

تنهدت رانيا وقالت:

-صدقيني أنا لا استبعد أي احتمال سوف نعرف بعد قليل .

نظرت لها فريدة بحيرة:

-ولكن كيف . . . ؟

-أوه ألا تعرفين ريحانة، إنها إحدى بطلات رواياتي، هي بطلة رواية "المهدي المنتظر" وميزتها يا عزيزتي هي تمكنها من الاسقاط النجمي .

-وهل سوف أتمكن من فعل ذلك معها . . . ؟

-لا، لا يمكنكِ ولكنها يمكنها فقط السفر بالروح .

-حسنًا يا ريحانة، ما أريده منكِ هو معرفة ما حدث لفارس منذ موته، ومن هو خالد ذا . . . ؟

نظرت ريحانة بحيرة لفريدة وسألتها :

-ماذا سوف أعرف عن شخص مات ودفن . . . ؟

ضربت فريدة رأسها بعصبية:

-هذا ما أريد أن أعرفه . . . اعتبِرِني مجنونة وسايريني أرجوكِ، أنا في حيرة وأريد أن أرتاح من هذا الأمر أولًا .

***

# الفصل السابع

## سفر الروح

### "ترويه ريحانة"

وقفت أمام رحاب المنهارة الباكية بجوار قبر أبنها الوحيد ، ولكن سرعان ما يقطع بكائها صوت امرأة ذات لكنة غريبة، يبدو أنها من دولة أفريقية ما واللهجة المصرية صعبة عليها بعض الشيء .

-كفي عن البكاء يا سيدتي أرجوكِ إن البكاء لن يرجع لكِ شيئًا .

استمرت رحاب ف البكاء وقالت بحرقة:

-يا ليت الدمع يرجع لي أبني، مستعدة أذرف دمعي ودمي وما لي من أجل أن يعود لي مرة أخرى ولكن يا حسرتاه، فقدته إلى الأبد ، كتب عليّ أن أحرم منه دائمًا .

-ولكن إن قلت لكِ يا سيدتي أن لدي طريقة كي يعود لكِ ولدك للحياة مرة أخرى هل ستصدقينني . . . ؟

تحولت ملامح رحاب إلى ملامح الصدمة وقالت بغضب:

-هل جننتِ أم إنكِ تستغلين لحظة ضعفي وبكائي وتظنين أنني جننت . . . ؟

-حاشَ سيدتي، ولكن أنا نيتي صادقة، لا أقدر أبدًا أن أراكِ تتعذبين بسبب فراق ابنك وأنا أعرف الحل وأحجبه عنكِ .

بدأت نظرات رحاب تتحول وكأنها صدقت كلامها وسألتها :

-وما هو هذا الحل . . . ؟

-يوجد ساحر من "توغو" وأنا أعرفه شخصيًا ، إنه ذائع الصيت في بلدي ويأتي لمصر مرة واحدة في العام، أي بعد شهر من وقتنا الحالي .

مسحت رحاب دمعها وقالت وهي تزدرد ريقها :

-وما الذي يقدر عليه هذا الساحر يا ألوما . . . ؟

–سوف أشرح لكِ كل شيء يا سيدتي، إن بلدي توغو معروفة بالسحر الأسود لأن ديانة الفودو منتشرة عندنا بشدة وإن كنتِ لا تؤمنين بالسحر إذا رأيتِ بعينك ما يحدث في بلدي لسوف تؤمنين به عين اليقين .

–ولماذا سوف أؤمن بقدرة السحر ماذا يحدث هناك . . . ؟

جلست ألوما تحت قدم رحاب وبدأت تحكي لها :

–في توغو عندنا لكل شيء حل وعلاج عن طريق السحر، وأدوات السحر تباع في الأسواق مثل الأعشاب في العطارة في مصر هنا ، والسحرة في بلدنا نلجأ لهم كما تلجئون هنا إلى الأطباء .

–وهل السحر عندكم له جدوى أم مجرد دجالين كما الحال هنا . . . !

–نحن أصل السحر يا سيدتي، السحرة في بلدي لم يختاروا أنفسهم كي يصبحوا سحرة بل الآلهة اختاروهم كي يكونوا يدهم في الأرض كي يساعدوا الناس .

–الآلهة . . . ! هل لديكم أكثر من إله . . . ؟

-في ديانة الفودو يكثر عدد الآلهة عن أربعين إله، وكل إله له دور يلجأ له الساحر على حسب الموضوع الذي جاء له به المحتاج.

-يعني الساحر عندكم قادر على فعل أي شيء .

-نعم يمكنه من خلال الآلهة أن يفعل أي شيء، يوجد الكثير من الفنانين والسياسيين يلجئون لسحرة الفودو من أجل مصالحهم الشخصية .

-يمكن أن أصدق أن الساحر قادر على أن يعطي المرء النجاح أو المال أو الحب ولكنه غير قادر على رد الحياة مرة أخرى لمن فقدها .

-ولكني لم أقل إن الساحر هو من يرد الروح، قلت لكِ أن السحرة في بلدنا يتم اختيارهم من قبل الآلهة وكل شيء يتم بيد إله من الآلهة لا بيد السحرة، السحرة ما هم إلا حلقة وصل فقط، ومعروف أن الآلهة هم من وهبونا الروح وهم من يأخذونها متى يريدون .

-عقلي غير مدرك ما تقولينه لي يا ألوما . . . !

–ما هو الصعب يا سيدتي، كل ما في الأمر أنكِ سوف تجهزين القربان المطلوب من الساحر، ولا تسأليني ما هو القربان أنا لستُ بساحرة، وإن كنتِ غير مؤمنة بالموتى الذين يعودون للحياة مرة أخرى أكيد في مرة من المرات شاهدتي فيلم للموتى الأحياء أي "الزومبي" المشهورة جدًا في السينما الأمريكية.

رسمت ملامح الذعر على وجه رحاب وقالت صارخةً:

–هل تظنين أني جننت كي أوافق أن يتحول ابني لمسخ . . . ؟

–أبدًا يا سيدتي، أنتِ أسئتِ فهمي، إن ما ترينه في الأفلام ليس له علاقة بالواقع أبدًا، سوف أشرح لكِ.

أكيد تعرفين أن الكثير من الأفارقة تم أسرهم كعبيد في أمريكا فبالتالي انتشرت ديانة الفودو في أمريكا اللاتينية وصارت تمارس طقوس السحر الأسود وانتشرت ومن ضمن هذه الطقوس عودة الموتى للحياة من جديد.

يعود كما كان لا كما في الأفلام التي تظهرهم مثل المسوخ.

لم ترد عليها رحاب وظلت تفكر، فنادت عليها ألوما :

–ها يا سيدتي، هل ترغبين بهذه التجربة . . . ؟

تنهدت رحاب وقالت بنفاد صبر:

–أنا امرأة وحيدة وفقدت آخر من لدي في الحياة فلم يعد لي ما أخسره فلم أعد باقية على شيء، سوف أقدم على هذه الخطوة عسى أن يرجع لي فارس مؤنسي وسندي في الحياة.

***

ها هي الأيام تمر وجاء اليوم الموعود وذهبت رحاب وألوما إلى بيت متهالك معباً بالكثير من الناس ولكن كالعادة بسبب مال رحاب الكثير كان كفيل أن تدخل فور وصولها بعدما خرج من بالداخل.

رحاب تمسك بيد ألوما وقد أوشكت على فقدان الوعي لأن المكان مقبض للغاية والرائحة به خنيقة جدًا، ولكنها تمالكت نفسها وبمجرد أن دخلت رأت عجوز شمطاء تجلس على الأرض فنظرت رحاب بتعجب لألوما وهمست لها:

-ألم تقولي لي أنه ساحر لا ساحرة.

قبل أن تنبس ألوما ببنت شفة نطقت الساحرة وقالت بثقة:

-أنا هنا كي أشرح المطلوب للناس لأن الساحر لا يتحدث العربية.

-ولكني أنا أ . . .

قاطعت الساحرة صوت ألوما وقالت بسخرية:

-أعلم أنكِ من نفس بلد الساحر وتفهمينه جيدًا ولكن أنا هنا كي أساعد الساحر في بعض الأمور لا قول الطلبات، لأنه لو يرغب بتغير صوته ولغته لفعل، ولكن ليس كل شيء يجب ذكره.

من ثم نظرت لرحاب المرتجفة وقالت لها ساخرة من خوفها:

-لمَ أنتِ خائفة هكذا، الدار أمان، المكان مكاني وأنتِ تحت حمايتي، اطمئني .

فجأة بدأ يتضح هيئة شخص يجلس بجوار الساحرة، رجل أسود اللون يرتدي سلسلة من اسنان الحيوانات، وفي أنفه حلقة ضخمة عظمية مما زادت من ملامحه رعبًا، ففزت رحاب من مكانها، ولكن سرعان ما وقفت مكانها بمجرد ما سمعت صوت الساحر الذي ظهر من العدم .

فترجمت لها ألوما بسرعة:

-يقول لكِ لا تتحركِ من مكانكِ وعليكِ أن تلتزمي باحترامه ما دمت بحاجة إليه .

تصلبت رحاب مكانها وأومأت برأسها أي موافقة، فجاءها صوت الساحر وترجمت ألوما في ذات اللحظة:

-أنت ترغبين في أن يعود لكِ ابنك من جديد، لذا عليكِ أن تجلبي للإله ما يريد .

أومأت رحاب أي موافقة وعينيها تذرف الدمع من شدة الخوف، فأكمل الساحر كلامه وترجمت ألوما :

-يجب أن نحضر نسر ذهبي وبغاء برتقالي وغراب أسود قبل منتصف الليل .

ازدردت رحاب ريقها وقالت باكيةً:

-ولكن كيف لي أن أجدهم بكل هذه السرعة .

-سوف أحضرهم أنا بطريقتي ولكن أريد خمسة مليون لكي نبدأ في الطقوس .

-لا يهمني المال، سوف أعطيك ما ترغب به ولكن أعد لي ابني .

-سيعود لكِ ولكن علينا أن نذهب حالاً لبيتك كي نبدأ بالطقوس .

***

ها هي رحاب والساحر والساحرة وألوما في جراج بيتها ، من ثم وضع الساحر خمس شمعات وفي المنتصف وضع صحن صفيحي به الكثير من الفحم الذي أشعله بمجرد نظرة من عينيه هو والشمعات الخمس وبدأ يرمي بشيء اشبه بالرماد كريه الرائحة، بسبب انبعاثه في الجو كان كفيل أن تحدث رجفة في المكان واهتزاز شعلة الشمعات بل أدى تمامًا لإطفائها ، بعدها بلحظة واحدة عادت الشمعات كما كانت

مضيئة وفي منتصف الصحن المعدني الضخم نسر ذهبي وببغاء وغراب، وبنظرة من الساحر كانت كفيلة أن تضرم النار بهم، والساحر يتمتم بكلمات لم تفهمها حتى ألوما .

كانت الكلمات تزيد من أجيج النيران في تلك الطيور، وبعد قليل أمسك الساحر بقطة سوداء ظهرت من العدم بين يديه، قام بطعن رقبتها بقوة بناب حيوان من السلسلة التي يرتديها كانت كفيلة أن تنهي حياة القطة في لحظة، من ثم قام بإخماد النيران بدم ذلك القط، من ثم سحب يد رحاب التي صرخت من هول منظر الساحر وما يحدث أمامها، أمسك بيدها وشق كفها بناب ذا سن حاد، عصر يدها بقوة وهي تصرخ، فأخذت قطرات دمها تسقط على ذلك الخليط بين الرماد والدم .

وهو مستمر في أن يتمتم بكلام غير مفهوم غير عابئ برحاب أو بصراخها .

من ثم وضع بضع قطرات من سائل ما في زجاجة كانت معه ومن ثم بدأ يمزج الرماد والدم والماء سويًا وهو مستمر في قول تعاويذ مختلفة بسببها تتذبذب الشموع بسبب هبوب الكثير من الهواء وكان هذا دليل على وجود أطياف للجن في المكان .

ها هي ألوما تمسك يدها كي تطمئنها ، من ثم ترك الساحر ما بيده وخرج للحديقة كي يجلب جثة فارس ولكن بمجرد أن خرج رأى تلك الغرفة الموجودة في الحديقة فجأت له فكرة، فنادى على الموجودين في الجراج كي يخرجوا ، من ثم بدأ بإخراج جثة فارس المتآكلة، سألته رحاب بخوف:

-ماذا تفعل بجثة ابني .

لم يرد عليها وأخذ يخطو تجاه تلك الغرفة ووضع الجثة التي تم تكفينها على السرير ومن ثم أخذ يفتح الكفن عنه، وبدأ يدهن جسده بذلك المزيج الذي احضره من الجراج وهو يتمتم بطلاسم إلى أن أكمل دهنه للجثة تمامًا ومن ثم نظر لرحاب وقال لها :

-ابنك سوف يكون معكِ مثل اليوم من الشهر القادم .

بمجرد ما سمعت رحاب ما ترجمته ألوما تركت يدها وتوقفت عينيها عن البكاء وظلت تنظر لجثة ولدها المتآكلة المدهونة بذلك المزيج والأمل قد تجدد في روحها أن يعود إليها من جديد .

من ثم هم الساحر بالخروج من الغرفة واتبعته تلك الساحرة العجوز ولكنها توقفت عند الباب والتفتت لرحاب وقالت موضحةً:

-آه عليكِ ألا تصلي ولا تتوضئي ولا تذكرين أدعية أو شيء من هذا القبيل لا أريد أن أوضح وأنتِ تفهميني جيدًا، لا تخربي كل المجهود بفعل أحمق منك.

من ثم ابتسمت بسخرية لرحاب الذاهلة مما مرت به.

-وبالفعل يا فريدة إنه استيقظ ووجد نفسه في تلك الغرفة كما ذكر لكِ وكان فاقد للذاكرة، هو صادق في كل هذا ولكن كان هناك أمر غريب يجب أن أقوله لكِ لأنه يؤكد شكوكك تجاهه، إنه من الموتى الأحياء هذا أمر غريب ولكن ما هو أغرب أنه ظل فترة من دون طعام كل الطعام كان لا يستسيغه و . . .

قاطعتها فريدة وقالت:

-نعم، أنا أعلم أنه لا يأكل مثلنا ولكني ظننت أن هذا بسبب مرضه، بل الحقيقة أن قصته لا يصدقها عقل.

-على العموم تبقى أمر لم أذكره لكِ في يوم انفعل خالد بشدة على أمه لأنه كان جائع جدًا وأمه لم تكن تعرف ما هو المناسب إليه و . . .

من ثم قطع كلامها صوت الرنين القادم من سلسلتها ، فلمستها وردت على المتصل:

-حسنًا ، سوف أتِ حالًا .

من ثم همت مسرعة، فقالت لها فريدة بصوت عالٍ كي تسمعها لأنها ابتعدت عنها :

-أشكرك كثيرًا يا ريحانة .

ردت عليها ريحانة ولكن صوتها كان خفيض جدًا ، من ثم نظرت لرانيا وقالت لها متعجبةً:

-آوه كيف لها أن تعرف كل ذلك في تلك المدة الوجيزة من دون أي أجهزة مجرد أنها تتمدد هكذا وتعرف ما تريد .

-هذه هبة ربانية وكما تعلمين أن الروح لا يؤثر بها الزمن، الزمن لا يعني شيء في عالم الأرواح الحر الذي يتميز بأنه بلا قيود عالمنا نحن .

-ترى ما هو الذي كانت تريد أن تحكيه . . . ؟

-في أقرب فرصة سوف اتواصل معها وسأعرف لكي كل شيء ، ولكن الآن بعد الذي علمتيه ماذا سوف تفعلين . . . ! إن فارس هو خالد ولكنه من الموتى الأحياء .

ابتسمت فريدة لرانيا وقالت لها :

-بل إنه عاد للحياة من جديد من أجلي، وهو ليس من الأموات الآن بل صار خالدًا ولن أحرم منه مرة أخرى .

-هل تؤمنين بأن فارس عاد للحياة من جديد . . . ؟

-هذا ما رأته ريحانة وأنا أصدقها وأصدق ما رأته عيناها وكأنما رأيته أنا .

-الآن صارت ريحانة جميلة وتصدقينها لأن الموضوع على هواكِ .

-نعم أصدقها ولكن هل تظنين أن أمه أسمته خالد لأنه سيكون خالدًا ، أم سيكون له حياة أخرى .

-أنتِ منذ قليل قلتِ إنه خالدًا وسيكون معكِ إلى الأبد . . . !

-صحيح هذا ما قلته، ولكن أنا أسألك، ما رأيك . . . ؟

-أظن أن الخلود فقط لله ولكن يمكن ولا استبعد دور دم ذلك القط أن له دلالة، هل يمكن استخدمه الساحر لأن معروف للقطط سبع أرواح و . . .

-لا يهم، المهم أن فارس قد عاد لي من جديد .

-أنتِ متزوجة بزين يا فريدة أظن أن فارس صفحة وانتهت وفي كل الحالات هو لا يتذكرك .

-زين . . . ! أنا لم أحب زين قط، أحببته فقط لأني رأيت أن به الكثير من الشبه بفارس، أحببته من أجل فارس ولم أحبه هو قط ولا تنسي أن هناك الكثير من الشكوك حوله بسبب الأحلام التي أراها ، لا تنسي أن جواد توعد لي، وفارس وعدني بأني سأكون له ومعه دنيا وآخرة، وها هو قد صدق وعده وعاد لي ولكني خائفة أن يصدق جواد كذلك في وعده ويعود لكي ينتقم مني .

-ولكن هذا لا يعني أن زين هو جواد .

-يجب أن اقابل ريحانة مرة أخرى كي تساعدني في هذا الأمر .

***

# الفصل الثامن

## العودة

ها هي فريدة تصل لفيلتها ، فوجدت زين في استقبالها وملامح القلق على وجهه:

-هل أنتِ بخير يا فريدة . . . ؟

ظلت فريدة شاردة في عيني زين وهي تقول في قرارة نفسها :

-لا يوجد أحد تحمل تقلباتي مثل زين، يجب أن أعطيه فرصة أخرى ولا أهدم كل ما بيننا بسبب تخاريف .

ها هو زين يقترب منها ويهزها ويقول لها متعجبًا :

-فريدة حبيبتي هل تسمعيني . . . ؟ !

عادت فريدة لتركيزها وأومأت برأسها أي لا، فأخذ بيدها وأجلسها على الأريكة وقال لها بحنو:

-هل واجهتي كابوس أو موقف ما في خلال يومك . . . ؟

-أتظن أن الجنون قد تمكن مني يا زين . . . ؟

تحسس زين وجهها برفق وقال لها :

-لم أظن هكذا أبدًا كل ما قلته لكِ أنكِ مجهدة بسبب ما مررت به وتحتاجين إلى الراحة والمتابعة مع طبيب نفسي .

شردت فريدة في عينيه وقالت في قرارة نفسها :

-يبدو أنهم جميعًا على حق، يبدو أني متعبة ولا يجب عليّ أن أحكم على زين من مجرد أحلام أو كوابيس وأفعاله في الواقع تثبت حسن نيته تجاهي .

-فريدة، هل أنتِ معي . . . ؟

أومأت فريدة برأسها أي نعم ولكن في ذات اللحظة رأت خاتم زين يومض من دون أن ينبعث منه تلك الشاشة المعلنة عن اسم المتصل، سرعان ما تحولت ملامح فريدة إلى ملامح الشك وسألت زين الذي لمس خاتمه مرتين فأنهى الاتصال:

-من المتصل يا زين . . . ؟ ولِمَ فعلت هذه الخاصية مرة أخرى . . . !

أزدرد زين لعابه وقال وهو يبتسم ابتسامة نابعة من التوتر:

-أوه لقد نسيت أن ألغيها من الأساس يا حبيبتي .

-إذن دعني أرى من المتصل .

هم زين بلمس خاتمه كي يفتحه وفي تلك اللحظة جاءه اتصال مرة أخرى، فهم من مكانه مسرعًا وقال لفريدة وعلى وجهه ذات الابتسامة:

-حسنًا يا عزيزتي، سوف أرد على هذا الاتصال وأعود إليكِ مرة أخرى وسوف أنفذ لكِ مرادكِ .

ظلت فريدة تنظر له بصمت إلى أن خرج من الغرفة، فمددت فريدة جسدها على الأريكة وأخذت تفكر:

-ترى مع من يتحدث زين . . . ؟

من ثم ضربت رأسها وقالت بتعجب:

-لِمَ صرتِ تشكين في كل شيء وتعطين الأمور أكبر من حجمها . . . ! يبدو أن ريحانة عندها حق في حالتي، يجب أن أتغير وأعود مثل ما كنت، يجب أن أتوقف عن الشك .

بدأت فريدة تنعس وهي تكلم نفسها :

-يجب أن أتوقف عن الشك، يجب أن . . . . . .

***

ها هي فريدة تستيقظ من نومها ، تعدل من جلستها وتقول في قرارة نفسها وهي تمسح بيدها على وجهها كي تزيل ما تبقى من النوم:

-يبدو أني عندما قررت أن أتوقف عن الشك وفكرة عودة فارس لحياتي من جديد جلبت لي الراحة وبعدت الكوابيس عني .

من ثم لمست فريدة خاتمها وارسلت رسالة صوتية لفارس:

-فارس، أقصد يا خالد أريد أن اقابلك ضروري اليوم في العيادة، سأكون في انتظارك عصرًا كي أوضح لك كل شيء عن ماضيك .

مر بعض الوقت ولم تصل لفريدة أي رسالة فقررت أن تكمل نومها وتحاول أن تصل لفارس بعد استيقاظها .

***

فريدة في العيادة تنظر لساعتها وهي تفكر هل سيأتي فارس أم لا . . . ؟

من ثم سرحت في تلك اللوحة الموجودة وراء كرسيها التي تظهر طائر الفينيق الناري وتفكر في قرارة نفسها :

-لقد قال لي فارس إن ذلك الطائر يعبر عن . . .

-أسطورة البعث بعد الموت، يبدو أن هذه اللوحة تعجبك بشدة يا دكتورة فريدة . . .

التفتت فريدة لمصدر الصوت وملامح الدهشة قد رسمت على وجهها وهمت واقفة وقالت:

-فارس لقد عدت من جديد .

-لم ابتعد إلا بناء على رغبتك، لا أدري ما هو سبب تجاهلك لي من الأساس، لا أدري لمَ تغيرتِ معي منذ موضوع الصور ذا .

من ثم ضرب رأسه وقال لها :

-أه وما قصة فارس ذا الذي تقولين اسمه بدلاً من اسمي، إذا كان لكِ أن تخطئي في اسمي فقولي لي يا زين لا فارس وذلك للشبه الكبير بيننا .

أشارت له فريدة كي يجلس وهي تبتسم له ولكنه مستمر في تساؤلاته:

-أم إن هناك شخص أخر يشبهني اسمه فارس . . . ؟

ضحكت فريدة وقالت:

-شيء كهذا .

نظر لها فارس بدهشة وسألها:

-تمزحين معي . . . أليس كذلك . . . ؟ ثلاث اشخاص يشبهون بعضهم في نفس المكان، إن هذا اشبه بفيلم هندي بعض الشيء .

تمالكت فريدة ضحكتها وقالت بجدية:

-إن الأمر ليس كذلك، ولكن سوف أسألك سؤال بسيط وأريد أن أعرف رأيك . . . هل تؤمن بالبعث بعد الموت . . . ؟

-أكيد أؤمن بالبعث ولكن لِمَ هذا السؤال . . . ؟

عدلت فريدة من جلستها وقالت:

-أظن أنك لم تفهم سؤالي جيدًا، أنا أقصد هل تؤمن بالبعث، أي أن يعود الميت للحياة من جديد و . . .

-نعم أؤمن يا فريدة.

-أنت لم تفهم مقصدي لأنك قاطعتني، أنا أقصد أن يعود الميت للحياة حاليًا في هذه الدنيا لا أقصد يوم البعث والنشور لكل من في القبور.

ابتسم لها فارس وقال لها بثقة:

-أقسم لكِ لقد فهمت مقصدكِ من البداية، نعم أصدق وأؤمن بهذا.

-وكيف لك أن تصدق مثل هذا الأمر . . . ؟ هذه الفكرة لا يصدقها عقل.

-أنتِ سألتني عن رأيي وهذا هو، يوجد الكثير من الأفكار اللاتي أؤمن بها إلى أن يثبت العكس، على العموم فكرة الإيمان بها أفضل بكثير من فكرة نكرانها.

ضحكت فريدة وقالت ساخرة:

-إن أولئك الذين ينكرون وجود الإله والبعث وكل تلك الأمور أولئك في مأزق رهيب، هؤلاء مثل بعض الطلاب الفشلة الذين لا يرغبون في الدراسة فكل ما عليهم

أن يتمنوا ألا يمروا بامتحان أو ألا يكون هناك امتحان من الأساس ولكن هيهات لا مفر من الامتحان يا عزيزي ودع النكران يفيدهم حينها .

-صحيح لذا الإيمان أفضل من النكران، والاستعداد أفضل في كل الأحوال .

-ولكن الإيمان أيضاً يجب أن يكون مبني على أسس واقتناع، لا مجرد الإيمان بسبب الخوف من فكرة العقاب والعذاب في الحياة الآخرة .

أومأ لها فارس رأسه فقاطعته فريدة ساخرة:

-أنا أقول لك ذلك لا من أجل أن تومأ لي برأسك، بل أريد أن أعرف ما الذي دفعك كي تؤمن بأن هناك بعث، وخاصة البعث في هذه الحياة .

-كما تعلمين يا فريدة، أنا ليس لدي أصدقاء ومنذ أول يوم أتذكره في حياتي وأنا لم يكن لي صديق سوى زين هو أول من تقرب مني ومن ثم أنتِ، فصرتما أنتما أول صديقين لي، ولكن قبل ذلك كنت أشغل وقتي بالقراءة فقط .

-أوه بسبب قراءتك كل هذه المدة لديك معلومات كثيرة.

-مهما جرعت من بحر العلم أشعر أني ما زلت عطشان ولم أجترع منه ما يكفيني أبدًا.

-أكمل لي يا فيلسوف زمانك أكمل.

-أنا شخص بسيط، لست فيلسوف أبدًا ولكن سوف أقول لكِ ما الذي دفعني على التصديق بهذه النقطة، إن فكرة البعث في هذه الحياة ما هي إلا معجزة في بعض الأديان وأمر طبيعي في بعض الديانات الأخرى.

مثلًا في الهندوسية والبوذية يؤمنون بتناسخ الأرواح وعودة الروح من جديد لهذه الحياة لعدة حيوات مختلفة مرة كرجل أو امرأة أو حيوان أو نبات.

قطاعته فريدة بجدية:

-ولكني لا أتحدث عن تناسخ الأرواح أو عودة الروح من جديد أنا أقصد . . .

-أعلم تقصدين عودة المرء بنفس الروح والهيئة التي كان عليها، أنا فقط أسرد لكِ كل ديانة بمعتقدها، ولكن الذي تتحدثين عنه ذكر في القرآن الكريم، ولكن القرآن

عكسها كمعجزة إلهية مثلًا في قصة عزير الذي مات لمئة عام هو وحماره وأعاده الله للحياة من جديد كمعجزة لإثبات قدرة المولى على بعث الموتى، وهنا عاد الإنسان ألا وهو عزير والحيوان ألا وهو الحمار وكذلك طعامه وشرابه أي النبات، في هذه القصة إثبات على حدوث هذه المعجزة، وكذلك توجد قصة أخرى تثبت هذه المعجزة وأنا أقول لكِ أن الإسلام يذكر أنها معجزات إلهية، قصة النبي إبراهيم عندما أراد أن يطمئن قلبه تجاه البعث فطلب منه الرب أن يقسم الطير إلى عدة أجزاء وبأمر المولى عاد الطير كما كان، وفي هذه المعجزة اثبات لقدرة الرب على البعث حتى وإن كانت الجثة غير موجودة في مكان واحد بل بأمره يجمع شتاتها من جميع البقاع كي تبعث من جديد .

-صدقت ولكنها تظل معجزة .

-وكل ما هو معجزة ربانية يجب الإيمان به، دعيني أكمل لكِ مثلًا ديانة الفودو المنتشرة في . . .

قاطعته فريدة بلهفة:

-هل تؤمن بهذه الديانة . . . ؟

-مجرد ديانة قرأت عنها مثل باقي الديانات .

-أقصد هل تؤمن بما يفعلونه ومعتقداتهم .

-لا استبعد أي شيء في الحياة، ولكن تلك الديانة لا تمثلني .

-يعني هل تؤمن بقدرة بعض السحرة على إعادة بعض الموتى للحياة من جديد .

-السحرة لا يمكنهم فعل شيء ، الديانة والمؤمنين بها يقولون إن من يفعل ذلك هم الآلهة، السحرة ما هم إلا وسيط، يعني مثلًا بما إنكِ مسلمة هذه الفكرة لديهم تشبه القصة التي وردت في سورة البقرة عن قتيل بني إسرائيل وعندما أمر الرب أن يذبحوا بقرة وبالفعل عندما جلبوا تلك البقرة ذات المواصفات المطلوبة عاد الميت للحياة من جديد وأعترف وقال من هو قاتله وفي هذه القصة نقول الرب هو من بعث الروح مرة أخرى لا نقول نبي الله موسى من رد الروح، وهذا مثال آخر على بعث الروح في هذه الحياة .

ازدردت فريدة ريقها وقالت:

-وهل ستصدقني إن قلت لك أنك متت وبعثت للحياة من جديد . . . ؟

رسمت ملامح الصدمة على وجه فارس وقال متعجبًا:

-ما الذي تقولينه . . . ؟

***

## الفصل التاسع

## الذاكرة

سردت فريدة كل شيء لفارس عن حياته* فقال لها فارس متعجبًا :

-لذلك كنت أشعر بأني أعرفك، ولكن لا أدري ما هو سبب هذا الشعور .

-نعم كنا سويًا في الماضي في مغامرة أشبه بالخيال .

-ولكن هل تتذكرين أول يوم قابلتك به أنتِ وزين عندما كنتِ داخل السيارة، يوم الحادث . . . !

-نعم أتذكره .

-في ذات اليوم حلمت بكِ .

دهشت فريدة وقالت:

-وأنا أيضًا ولكن هل يمكن أن تحكي لي حلمك بي .

-حلمت كأني في جِنان واسعة وحولي فتيات حسناوات أشبه ب . . .

-بحور العين، وأنا كنت ارتدي زي مثل زي الملكات، فوجدتني أنا وأجلستني بجوارك على كرسي أشبه بالعرش، أليس كذلك . . . !

-ولكن كيف عرفتي ما رأيته في منامي، هل هذا الموقف حدث في الماضي بيننا ويتكرر الآن . . . ! ؟

-لا بل هذه نفس الرؤيا التي رأيتها في ذات اليوم .

امسك فارس رأسه وقال بتعجب:

-أنا لا أصدق، كيف لي أن أموت وأعود للحياة مرة أخرى بمعجزة بل وأقابلك مرة أخرى، إن هذا أشبه بأسطورة يجب أن تروى .

ضحك فارس وقال لها :

-تخيلي يا فريدة أن هذه الرؤيا التي رأيناها لا تكون مجرد رؤيا بل جزء من ذاكرتنا لأحدى حيواتنا في الماضي أنا وأنتِ .

-أتقصد أننا على مر العصور يجمعنا القدر .

-ولِمَ لا، أنا لا استبعد أي شيء .

-أوه لهذا عندما عدت بالزمن، شيء ما جذبني لدخول هذا البيت، وكان السبب

الحقيقي الذي يجذبني إليه هو أنت، وحينها عندما تكرر لقاءنا لم أكن أدري لمَ أنا أقحمت نفسي في حياتك ولمَ أرغب في مساعدتك . . . ؟ !

يعني السبب هو أن روحي تعلقت بروحك في زمن من الأزمان .

–حتى أنا عندما قابلتك أول مرة عن قرب عندما زرتني مع زين في البيت، صرت أشعر أن حالتي تتغير، كانت روحي تتأثر بشكل كبير بسبب حضورك .

–يعني هذه الحالة الأشبه بحالة الصرع لم يكن بسبب مرضك . . . ؟

–للحق لا، ولكن روحي شعرت بأن هنالك شيء اخترقها فأحياها أو شيء كهذا .

–أوه لذلك لاحظت أنا وزين اختلاف في ملامحك وظننا أن هناك تحسن بسبب راحتك النفسية معنا .

–وظنكم صحيح، قربكم مني غير بي الكثير، وبخصوص هذا الأمر أريد أن أعترف لكِ بشيء .

–أنا كلي أذان صاغية .

-أنا كذبت عليكِ.

نظرت له فريدة بتعجب:

-كذبت عليّ... !كيف...؟

-كذبت عليكِ بشأن اكتشاف طبيبي الخاص لعلاج حسن من حالتي، بل الحقيقة أنا من بعد لقائي بكِ صرت لا احتاج لجلسات العلاج الخاص بنقل الدم، لم أعد شاحبًا لم أعد متعبًا بمجرد قربك مني لبضع لحظات، لذلك قررت أن أقابلك في كل مرة تأتي لي فرصة للقائك، وبالفعل اكتشفت أثرك عليّ.

فتحت فريدة فمها مندهشة من ثم سألت بجدية:

-ولِمَ أنا بالتحديد...؟

-لأن مقابلاتي للناس كانت محدودة ولم ألحظ هذا الأثر على حالتي من قبل، ولا تقولي لي أن زين هو من بادر وقد يكون له تأثير...

-كيف علمت...؟

-مجرد تخمين، هذا الظن استبعدته وتأكد أنكِ وحدكِ السبب لأني قابلت زين عن قرب قبل أن تأتي لزيارتي بأسبوع تقريبًا ولم ألحظ أي تغيير لحالتي، بل يوم ظهورك كان صدمة لروحي، ولكنها صدمة أحيتني فعليًا .

-أن ما نمر به لا يعقل يا فارس .

-أعلم أنه لا يعقل، ولكن بما أنه حدث إذن فإنه يعقل، ولكن أنا متعجب جدًا لِمَ كنتِ منفعلة في هذا اليوم . . . ؟

-لأن يومها رأيت ملامحك وظننت أني جننت لأنك تشبه فارس جدًا ولكن اليوم الذي وجدت به تلك الصور أثبتت لي كل شيء .

-حسنًا، بعد أن تذكرتني ماذا سنفعل وهذا بعد أن علمت بأني قد أحببت زين لمجرد أنه يشبهك .

-لن نفعل شيء .

صدمت فريدة وقالت متعجبة:

-ماذا تقصد بأننا لن نفعل شيء يا فارس . . . ؟

-يجب أن تعلمي أنا الذي بحاجة إليكِ أكثر من حاجتكِ إليّ، ولكن يجب أن تعلمي شيء يا فريدة أن ترضي بقدرك وبزين، إن زين هو نعم الرجل ونعم الصديق والأخ لي، هو أول من تقبلني وأصر على التقرب مني كي يخرجني من قوقعتي، ولولاه لما كنا سويًا الآن.

انفعلت فريدة وقالت بغضب:

-لا بل القدر هو من جمعني بك هذه المرة مثل ما جمعني بك في المرة السابقة.

-عندكِ حق، ولكن ما تفكرين به غير صحيح أبدًا يا فريدة، من فتح لي ذراعه وبيته لن أطعنه وأغدر به وأخذ حب حياته لأنه كان لي في الماضي، يجب أن نترك الحياة تستمر كما كتبها القدر.

هنا قطع كلامهما صوت فتح الباب ففزعت فريدة بمجرد أن رأته.

نظر زين لفارس وقال متعجبًا ولكن لحق تعجبه تهليل بسعادة:

-أوه خالد . . . نورت العيادة يا رجل.

ابتسم له فارس وقال:

-هذا نورك يا زين، ولكن من الآن قل لي يا فارس .

نظر له زين بتعجب ومن ثم نظر بحيرة لفريدة ومن ثم سأل فارس:

-ألم تقل لي أن اسمك خالد يا رجل . . . ؟

ضحك له فارس وقال له:

-اعتبر إنه كان اسم الدلع لي .

-حسنًا يا فارس ولكن لِمَ لم ترد على اتصالاتي . . . ؟

-لم أرغب أن أشعر أني ثقيل عليكم .

-لا تقل هذا الكلام مرة أخرى يا رجل، أنت أخي ولكي نجعل علاقتنا وطيته يجب أن يكون بيننا "عيش وملح" .

هيا يا فريدة لكي نأكل سويًا .

هم فارس من مكانه وقال:

-صدقني لست بجائع أبدًا .

من ثم نظر لفريدة وقال مبتسمًا :

-سبقتك يا صديقي .

***

ها هي فريدة في شرفة بيتها تنظر لفيلا فارس شاردة تفكر به ولكن سرعان ما قطع شرودها خروجه لشرفته، فهمت فريدة بدخول غرفتها ، وبمجرد أن دخلت غرفتها استقبلت رسالة من فارس:

-أعلم أنكِ كنتِ تفكرين بي كما كنت أفكر بكِ .

التفتت فريدة ودخلت شرفتها من جديد فنظرت لفارس بحيرة ومن ثم أرسلت له رسالة:

-ولِمَ أنت متأكد هكذا . . . ؟

-لأن روحك إن لم تنادي على روحي لما كنت خرجت وقابلتك الآن، روحي وروحك مرتبطان سويًا ، كلانا توأم شعلة، كلانا منجذب للآخر وكأننا خلقنا لبعضنا .

-ولكنك رفضت أن نغير قدرنا ونكون سويًا .

-ومن قال لكِ أننا لن نكون سويًا بل سنكون قريبين لبعضنا البعض ولكن بشكل يحترم ما قدره القدر .

-لماذا تظن أني أقول لك هذا الكلام وفي الغد سوف ننفصل أنا وزين وسنكون سويًا ، يجب أن تعلم أن علاقتي بزين بعد الزواج صارت متذبذبة بعض الشيء ، وللصدق أشعر أحيانًا أني ظلمته لأني أحببته فقط لأنه يشبهك لا لكونه هو، وبمجرد ظهورك في الواقع صرت أشعر بداخلي أني هكذا أخنه حتى بظني، لذا أريد أن أقرر وأن تكون مشاعري حقًا للشخص الذي نبض له قلبي منذ البداية ألا وهو أنت .

-دعي اقدارنا تسير كما كتبت لنا ، يجب أن نتحمل مرارة القدر أفضل بكثير من اجتراع الحميم بسبب اختياراتنا .

ظلت فريدة تنظر له بصمت من دون أن ترد على أخر رسالة له، فأرسل لها رسالة أخرى:

-فريدة، لِمَ لا تردين عليّ فيما تفكرين . . . ؟

لا تفكرين كثيرًا لقد أوضحت لكِ أنا صرت في الحياة لا أرغب في شيء سوى وجودكِ فقط، وفكرة وجود زين أشعر أنه نعمة جميلة لكلانا ويجب أن نحبه كما يحب كلانا .

حينها دخل زين الشرفة وراء فريدة وأشر لفارس وقال له:

-تعال يا فارس نسهر سويًا .

أشر له فارس أي أنه موافق، من ثم نظر زين لفريدة وقال لها برومانسية:

-كنت متأكد أني سوف أجدك هنا، صرت أحفظك يا حبيبتي .

نظرت له فريدة وقالت بحيرة:

-ولكني مهما حاولت لا أفهمك أبدًا يا فارس، أقصد يا زين .

تلعثمت فريدة وشعرت بحرج ولكن سرعان ما قال زين متعجبًا :

-يبدو أن الشبه بين كلانا جعلك لا تفرقين .

-لا، لم أقصد أبدًا أن . . .

سحبها زين من يدها بعفوية وقال بابتسامته المعهودة:

-لا يهمك يا عزيزتي، أعرف أنكِ متعبة هيا بنا كي تخرجين من قوقعة تفكيرك ونقضين وقت جميل معنا .

***

## الفصل العاشر

## وهم أم حقيقة . . . !

فريدة وفارس وزين جميعهم في الحديقة يضحكون سويًا إلى أن ومض خاتم زين

فلمست فريدة الخاتم فانبثقت منه شاشة تحمل اسم ليندا ، فنظرت بحيرة لزين :

–من هذه ليندا التي تتصل بك الآن يا زين . . . ؟

توتر زين من ثم ابتسم وقال:

–ماذا بكِ يا حبيبتي . . . ؟ إنها ليندا صديقتك .

–غريبة، ولِمَ تتصل بك ومنذ متى . . . ؟

–يمكن تتصل لأنها تريد أن تطمئن عليكِ .

–ولِمَ لم تتصل بي مباشرة . . . ؟

–يمكن لم تستطع أن تصل لكِ، على العموم اسأليها يا عزيزتي، المهم أني لغيت تلك الخاصية .

من ثم غمز لها ، فوكزته فريدة وابتسمت له، فقام زين وقال لها :

–سأقوم باتصال وأتِي في الحال .

من ثم نظرت فريدة لفارس متعجبة:

-ألن تشرب العصير حتى يا فارس . . . ؟

-لا احتاج لشيء ما دمت أمامي .

-هل تريد أن تقنعني أنك لن تأكل أو تشرب أبدًا ما دمت معك .

-صحيح .

-وهل هذا يصدقه عقل . . . ؟

ابتسم وقال لها :

-وهل الميت يعود للحياة . . . ؟ !

عاد زين بعد ما أنهى مكالمته سريعًا ، فقام فارس مستأذنًا كي يرحل فذهب معه زين كي يوصله:

هنا ظلت فريدة تنظر لفارس وهو يهم بالرحيل وتسأل نفسها متعجبةً:

-آه يا ربي ما هذا الذي أمر به . . . ؟ لو كان فارس الذي حكي لي قصة بعثه للحياة مرة أخرى لم أكن لأصدقه ولكن ريحانة لا تربطني بها أي صلة، مجرد أنها قالت لي ما

رأته وكفى، ولكن كيف له ألا يأكل أو يشرب، يعني في السابق صدقت أنه يعيش على جلسات علاجية، بينما الآن كيف له أن يكتفي بي . . . ؟ يعني إن لم أكن معه سيعود كما كان شاحب أغلب الأحيان . . . ؟

-فريدة حبيبتي هل ستظلين شاردة هكذا . . . ؟ أرجوكِ أريحي عقلكِ قليلًا .

قالت فريدة في قرارة نفسها :

-كل ما يريده زين أن أتوقف عن التفكير وكفى وكأنني أفكر بعقله .

قال لها زين وهو يقوم بسحبها كي تقف معه:

-كثرة التفكير هي التي تسبب لكِ الإجهاد ، هيا معي كي نرتاح في غرفتنا .

نظرت فريدة لعينيه وقالت في قرارة نفسها :

-عليّ أن أعطي فرصة لزين، خاصة وأن فارس وموضوع عدم تناوله للطعام أو أن يشرب حتى يجعلني أضع عليه علامات تعجب واستفهام .

ها هي فريدة تصل غرفتها مع زين، من ثم تفق من شرودها على صوت زين الذي يهمس لها :

-هل تعلمين أني اشتقت إليكِ كثيرًا . . . ؟

تنهدت فريدة وقالت:

-وأنا اشتقت لنفسي كذلك .

-سترتاحين يا حبيبتي صدقيني، سلمي نفسك لي وكل شيء سيكون على ما يرام .

***

فريدة تستيقظ وهي تشعر بأن هناك ألم في بطنها ، تفتح عينيها فتجد ذلك الطائر ولكن بحجم أصغر ينقر في بطنها وثوبها تلطخ بالدم، وبمجرد أن نظرت له نظر لها بحدة وطعنها منقاره فانشقت بطنها فخرج منها حميم، ظلت تصرخ بقوة من شدة الألم . . .

ها هو زين يضرب فريدة على وجهها وهي تصرخ بقوة، إلى أن فتحت عينيها :

-فريدة، توقفي عن الصراخ يا فريدة، أنا هنا بجانبك .

فتحت فريدة عينيها تلهث وتنظر بقلق وخوف لزين، فلمس وجهها برفق:

-لا تقلقي يا حبيبتي، أنا هنا معكِ، لا تقلقي من شيء .

أبعدت فريدة يده عنها ومسحت وجهها وقالت:

-لا أدري لمَ عادت الكوابيس لي . . . ؟

-أتقصدين أني السبب وفي كل مرة أقترب منكِ بها يحدث معكِ هكذا . . . ؟

-لا يحدث هذا دائمًا ولكن لا أدري ما سبب تلك الكوابيس . . . ؟

سحب زين الغطاء عن جسده ونام على جانبه الآخر وهو يقول بصوت قد غلبه الحزن ونفاد الصبر:

-يجب أن أوضح لكِ أن ما ترينه أغلب الوقت ليس بكوابيس أنتِ الآن كنتِ معي بمجرد ما أغمضتِ عينكِ صرختي، يجب أن تتعالجي يا فريدة، أريد حبيبتي ترجع لي من جديد .

***

ها هي فريدة تصل لعيادتها وتجلس على كرسيها وتتأمل في لوحة طائر الفينق، وتشرد وتقول في قرارة نفسها:

-لماذا أرى هذه الكوابيس . . . ؟ ما الفائدة منها . . . ؟ لم استفد منها شيء إلا إنها زعزعت علاقتي بزين . . . ! وما فائدة ظهور فارس في حياتي مرة أخرى . . . ما المغزى من الذي أمر به الآن . . . وما هو هذا الطائر الذي اراه في احلامي . . . ؟ على ماذا يدل . . . ؟ هل يمكن أن يرمز لفارس لأن هذا الطائر رمز للبعث مرة أخرى، ولكن إن كان يدل على فارس عليّ أن أحذر منه لأن هذا الطائر يحاول قتلي . . .

كيف لم انتبه لهذه النقطة . . . !

يعني احلامي تسببت بأن أشك في زين والآن فارس . . . ؟ !

أغمضت فريدة عينيها وقالت بتعب وهي تلمس جفنيها المتعبان:

-يبدو أنكِ متعبة يا فريدة . . . أفضل شيء أن ابتعد قليلًا وأكون بمفردي كي أصل لقرار .

بمجرد ما التفتت بكرسيها فزعت فريدة:

-صرتِ تخافين مني يا فريدة . . . !

تنهدت فريدة وقالت:

-لا أبدًا، أنا لا أعرف ما هو الخوف . . . ؟ لم أكن أظن أن تأتي لي باكرًا هكذا للعيادة .

أقترب فارس وجلس على الكرسي أمامها وقال:

-رأيتك تخرجين باكرًا فقررت أن أتِ وأكون معكِ، ولكن أرغب أن تسامحيني أني دخلت هكذا من دون استئذان ولكني وجدت كل الأبواب مفتوحة و . . .

قاطعته فريدة بتنهد وتعب:

-لا يهمك يا فارس . . .

ولكن قطع كلامها صوت زين الذي دخل العيادة:

-كنت أعلم أنكِ هنا يا . . .

قطع صوته الملهوف بمجرد ما دخل مكتب فريدة ورأى فارس معها ، ولكنه تمالك حيرته وقال بصوت هادئ متعجب وهو يجلس على الكرسي المواجه لفارس:

-أظن أنكما صرتما مقربان جدًا ، هذه ثاني مرة أتِ للعيادة وأجدك مع فريدة .

-مجرد صدفة يا زين لا أكثر ولا أقل .

نظر زين لفارس نظرة ريبة ومن ثم نظر لفريدة بلهفة:

-أعلم أنكِ حزينة مما صدر مني بالأمس، وبمجرد أني رأيتكِ لستِ بجواري فقررت أن أتِ لهنا ونفطر سويًا .

ابتسمت له فريدة، فهم زين بوضع الطعام على الطاولة الموجودة بين الكرسيان وقال لفارس:

-هيا تفضل معنا يا فارس . . .

هم فارس من مكانه وقال بابتسامة:

-لا أشكرك يا زين، أترككما على راحتكما الآن .

نظر زين بحيرة لفارس وقال:

-ماذا يجري يا رجل لِمَ صرت هكذا عندما أحضر ترغب في أن ترحل .

من ثم ضحك متعجبًا وقال وهو ينظر لفريدة:

-عندما تحضر الشياطين تذهب الملائكة . . . !

ضحك فارس وقال له:

-يا رجل يقولون عندما تحضر الملائكة تذهب الشياطين .

ضحك زين وهو يهم من مكانه ويمسك بفارس كي يجلس على الكرسي مرة أخرى:

-يا رجل لا أستطيع أن أقول عنك أنك من الشياطين أنت مثل أخي .

هم كي يأخذ كرسي آخر وجعل فريدة تجلس عليه، ومن ثم قال لهما :

-هيا نفطر سويًا . . .

وبالفعل بدأت فريدة بالأكل وزين كذلك، ولكن فارس لم يمد يده حتى . . .

هنا ضحك زين وهو يمسك بلقمة في يده وهي ينظر لفارس:

-يا رجل مد يدك معنا لا يصح أن تجلس وتنظر فقط، أتعلم من هم لا يستطيعون مد أيديهم كي يأكلون . . . !

ابتسم له فارس وقال له:

-الملائكة كما شبهتني منذ قليل يا أخي .

ضحك زين وأكل لقمته وهو يهز رأسه أي نعم، ولكن قطع نظراتهما صوت فريدة:

-لقد شبعت .

نظر لها زين بحيرة:

-ولكنكِ لم . . .

همت فريدة من مكانها وهي تقول في عجالة:

-يجب أن أخرج الآن يا زين عندي مقابلة مع صديقة لي .

ترك زين الأكل من يده ونظر بحيرة وحزن كمن ليس بيده حيلة .

***

ها هي فريدة تركب سيارتها وتقودها بسرعة وتصل لبيت رانيا وتتصل بها :

-رانيا أريد أن أقابلك ضروري . . . ؟ أنا أمام بيتك .

ردت رانيا بصوت ناعس:

-ولكني لست في بيتي في القاهرة، أنا في الإسكندرية ؟

-أريد أن أقابلك ضروري يا رانيا .

-حسنًا سوف أرسل لكي عنواني الجديد في الإسكندرية وسأكون في انتظارك .

***

ها هي فريدة وصلت ل"شاليه" أمام البحر مباشرة، رأت أمام باب الشاليه رانيا في انتظارها تؤشر لها، اقتربت منها فريدة وقالت لها بحيرة:

-رانيا أنا أشعر بحيرة رهيبة. . . أحتاج أن أحكي معكِ.

-حسنًا تفضلي لا يصح أن تظلي هنا هكذا.

أشارت فريدة كأنها تشعر بخنقة رهيبة وقالت:

-أفضل أن نتكلم أمام البحر.

-وهو كذلك، أنا معكِ.

***

تنفست فريدة بعمق وهي تتأمل في البحر ومن ثم نظرت لرانيا وقالت:

-هل يمكنك أن تدعي ريحانة كي أقابلها مرة أخرى، أنا في حيرة رهيبة. . . ؟

-أنا اتصلت بها عندما طلبتِ مني أن أعرف باقي ما حدث، وبالفعل ردت عليّ.

قالت فريدة بلهفة:

-وماذا قالت لكِ . . . ؟

-قالت لي عليكِ أن تحذري . . .

نظرت فريدة بحيرة:

-أحذر من ماذا . . . ؟

-لا أدري يا فريدة . . . لم تكمل كلامها .

-ولِمَ لم تكمله . . . ؟

-الاتصال انقطع .

-أتصلي بها مرة أخرى .

رفعت رانيا حاجبها متعجبة ساخرة:

–على أساس لم أفعل ذلك . . . أنا أحاول أتصل بها يوميًا منذ ذلك اليوم . . . لذلك لم أتصل بكِ . . . قلت سوف أتصل بكِ إذا تمكنت من الوصول لريحانة .

–هل تعرفين بيتها . . . ؟

–نعم أعرفه وسألت عنها ولكن لا يوجد أحد يعلم أين ذهبت هي وأسرتها . . . يمكن سافرت الله أعلم وهذا سبب عدم وصولي لها .

أمسكت فريدة برأسها ومن ثم نظرت للبحر وتنفست الصعداء كي تهدأ من التوتر وبعد تفكير طويل وهي مغمضة العينين قالت بلهفة:

–ريحانة قالت إن لها خالة طبيبة نفسية يمكن أن تساعدنا في الوصول لريحانة .

–بالفعل وصلت لعيادتها ولكنها لا تعلم أي شيء عن ريحانة وأخبرتني أنها ستبلغني في حالة تواصلت معها ريحانة .

تنهدت فريدة بصوت فاقد الأمل:

–آآآآآآه، ماذا أفعل الآن . . . ؟

أمسكت رانيا يدها وقالت لها :

-لا تفعلي شيء .

نظرت لها فريدة بحيرة:

-إن الشك أشتعل في كل جوارحي ولا أدرى ماذا أفعل . . . ! ؟ أريد أن أرتاح يا رانيا ، أريد أن تخمد نيران جوارحي .

-حسنًا يا فريدة يمكنكِ أن تحكي لي ما حدث معكِ وأنا يمكنني من واقع خبرتي في الحياة أن أساعدك .

حكت فريدة الجديد الذي مرت به، ورانيا تنصت لها فقط، وبعد أن انتهت من الحديث نظرت لها رانيا وهي تمسك بيدها كي تهدأ من حيرتها :

-سأقول رأيي لكِ وسوف أتخيل أني مكانكِ تمامًا ، لو كنت مكانك لأعطيت فرصة لزين، إنه شاب حنون وتحمل تقلبات مزاجك وشكك وقدر كل ذلك بسبب حبه لكِ .

انسان تحمل شكك تجاهه بسبب مجرد أحلام، والآن تريدين أن تهجرينه لأنكِ وجدتِ حبك الأول . . . !

هل زين ذنبه أنه أحبكِ كي تجعلينه يعاني هكذا . . . ؟

ولن أتكلم عن فارس وحالته الغريبة سواء في عودته أو تصرفاته، أنا أتكلم وأنا أعتبره أنسان مثله مثلنا ويأكل مثلنا ولا يوجد حوله أي شكوك لا تخترينه لأنكِ متزوجة وزوجك يحبك، احترمي اختيار القدر يا فريدة، ولا تتبعي الضلالات والأوهام . . .

قطع كلامها صوت رنين هاتف فريدة، فنظرت لها رانيا "أي من المتصل" ابتسمت فريدة وقالت:

-زين . . .

ابتسمت لها رانيا وهمت من مكانها وهي تقول:

-دعي القدر يسير كما هو، وعليكِ بالرضى وكما قلت لكِ لا تصدقي الضلالات .

أومأت فريدة لرانيا بابتسامة، ومن ثم همت بالرد على الاتصال:

-ألو . . .

-فريدة حبيبتي، أين أنتِ الآن . . . ؟

-مع صديقتي يا زين .

-هل يمكن أن تعودي لقد حضرت لكِ مفاجأة . . . ؟

-وما هي هذه المفاجأة . . . ؟ !

ضحك زين وقال لها :

-ألن تتوقفي عن طبعكِ ذا . . . ! لا لن أقول لكِ يجب أن تري بعينيكِ الجميلتين .

تنهدت فريدة وقالت له:

-ولكن يا زين أرغب في أن أبعد ليومين أو ثلاثة كي أعود بحال أفضل .

قال زين بأسى:

-هل ستتمكنين من البعد . . . ؟

تنهدت فريدة وقالت بأسى:

-أعرف أنك تعبت من وضعي ولكن أحتاج أن أصفي ذهني قليلاً .

تنهد زين فاقد الأمل:

-حسنًا يا فريدة كما تشائين .

***

بعد مرور ثلاثة أيام قررت العودة لفيلتها ولكنها لم تجد أحد في الفيلا، اتصلت بأمها وهي تشعر بقلق ولكنها لم تجب على الاتصال .

من ثم قررت فريدة أن تتصل بزين ولكن زين كان مشغول حاولت ثلاث مرات ولكن بلا جدوى، فقررت أن تذهب لفيلا فارس وها هي تنتظر كي يجيبها ويفتح لها الباب، ولكن بلا جدوى، فقررت أن تعود لفيلتها وألقت بجسدها على السرير ولكن فجأة سمعت رنين هاتفها وكانت أمها فهمت فريدة جالسة:

-أين أنتِ يا وتين . . . ؟

-لِمَ أنتِ قلقة هكذا يا فريدة . . . ؟ أنا وجدتكِ سافرتِ أنتِ وزين فقررت أن أسافر لأهلي في دمنهور أفضل من وحدتي التي تقتلني .

غضبت فريدة:

-لا تقولي هذه الكلمة مرة أخرى يا وتين لو سمحتِ، أنا متعبة للغاية ولا أستطيع أن أسمع كلام يصيبني بغصة تخنقني أكثر مما أنا عليه .

-ماذا بكِ يا بنيتي . . . ؟ قولي لي .

تنهدت فريدة وقالت:

-أنا بخير يا أمي ما دمتِ أنتِ بخير .

-مصرة تقولي لي يا أمي وهذا الأمر يزيد شكوكي يا فريدة .

تنهدت فريدة ضاحكةً:

-وتين توقفي عن مزحك ها ، آه ولا تنسي العلاج في الموعد .

-حسنًا يا ماما فريدة .

ضحكت فريدة وقالت:

-بربك توقفي يا وتين .

-حسنًا يا عزيزتي انتبهي لنفسك ولزين .

***

ها هي فريدة تقوم من على السرير وتقف أمام شرفتها الزجاجية وتنظر بحيرة لفيلا فارس المغلقة تمامًا ، فهمت بجعل شاشة خاتمها تنبثق متأهبةً لكتابة رسالة لفارس ولكنها قررت ألا ترسل له شيء وقالت في قرارة نفسها :

-عليّ أن أحترم القدر لن أرسل له شيء هو مجرد جار لا أكثر .

قطع تفكيرها وشرودها صوت رسالة، فاقت من شرودها وقرأتها :

-"فريدة خذي حذرك"

فريدة حاولت أن تتصل بزين كي تفهم مقصده من الرسالة ولكنه لا يرد .

أرسلت فريدة له رسالة:

-"يجب أن توضح لي لِمَ يجب أن أخذ حذري ومن ماذا . . . ! ولِمَ لا تجيب على اتصالي . . . ؟" .

من ثم قررت أن ترتاح قليلًا حتى يتصل بها زين يوضح لها سبب الرسالة .

من ثم غاصت فريدة في نوم عميق بسبب كثرة التفكير والتشتت التي تمر به .

ها هي فريدة نائمة على سريرها ، وتشعر أن هناك شيء يلمس وجهها برفق، شيء ناعم يلمسها ، شيء أشبه بنعومة الريش .

فتحت عينيها بتعب، فرأت أن ريش بالفعل يلمس وجهها . . . !

فزعت فريدة عندما رأت ذلك الطائر على سريرها بجوارها يتأمل بها ويلمس وجهها بريش جناحه الناري.

همت فريدة جالسة تنظر له بفزع وحيرة من نظرة عينيه، كانت تشعر إن الطائر ينظر لها بعينين دامعتين.

ها هو يقترب منها وبدأت فريدة تتأثر بنظرة عينيه وقل الفزع من قلبها، ورأت في عينيه تلألؤ رهيب أتبعه تساقط لدموعه بمجرد ما رأت فريدة دموعه خبئ رأسه في حضنها، ضمته فريدة وهي تلمس ريشه برفق كي يهدأ، أغلقت فريدة عينيها عندما بدأت تشعر بالراحة والطائر في حضنها، ولكنها سرعان ما فتحت عينها مفزوعة:

-ما هذا . . . ؟ ما هذا الذي يحدث هنا . . . ؟

رأت زين يقف أمامها مصدوم، فقالت له بحيرة:

-متى عدت . . . ؟

اقترب من السرير وهو مستشاط غضبًا:

-هل تريدين أن استأذنكِ قبل أن أعود كي تحونيني براحتكِ . . . !

من ثم أمسك بفارس وهم بضربه بشده، نظرت فريدة بجوارها رأت فارس يسحب من جوارها فصرخت عندما رأته بجوارها وهمت من السرير تتراجع بظهرها تنظر لزين وهو يضرب فارس بكل قوته الذي لا يدافع عن نفسه حتى، فبدأت فريدة تصرخ وتقول وهي تهذي:

-هذا حلم . . . أكيد هذا حلم وسوف أستيقظ الآن . . .

بدأت تضرب وجهها بقوة وهي تقول صارخة باكيةً:

-استيقظي يا فريدة استيقظي . . .

ترك زين فارس ملقى أرضًا ونظر لفريدة بنظرة غضب وأقترب منها وأمسك شعرها وقال لها باحتقار:

-توقفي عن جنانك المصطنع ذا يا خائنة، ماذا تظني أني مغفل لهذه الدرجة كي تستمري في كذبك حتى بعد أن وجدتكِ معه في هذا الوضع . . .

فريدة تصرخ من قبضته ولكنه مستمر في سحبها من شعرها أكثر ورماها أرضاً وهو يقول لها باكيًا:

-لهذا كنتِ تصطنعي المشاكل كي أبعد عنكِ ويخلى لكِ الوقت معه.

رفعت فريدة شعرها الطويل من على وجهها وقالت صارخةً باكيةً مدافعةً عن شرفها:

-لم أخنك يا زين... ؟ ولم أصطنع شيء إنه كان مجرد طائر وجدته بقربي.

اقترب منها زين وسحبها من شعرها وقال لها باكيًا غاضبًا:

-هل تظنين أن بإمكانكِ أن تستغلي حبي وتفعلي ما تشائين، يمكن أن أسامحكِ في أي شيء إلا الخيانة، إلا الخيانة.

من ثم أوقفها أمامه وظهرها للشرفة وبدأ يخنقها بكل قوته وفريدة تحاول أن تدافع عن نفسها وتقول بصوت مخنوق:

-لم أخنك صدقني، كان مجرد طائر صدقني...

من ثم التفت بفريدة ويديه ملتفه حول عنقها ، من ثم تحولت نظرة فريدة من نظرة من يقاوم الموت إلى نظرة المصدوم من شيء من الخلف .

نظر زين لفستان فريدة الذي بدأ يُلطخ بالدم فتركها من بين يديه وهو ينظر بحيرة لجسمها من ثم نظر لفارس الماثل أمامه وهو ينظر لجسدها الملطخ بالدم وليده ذات المخالب الطويلة مثل السكاكين . . .

كلاهما نظرا لفريدة التي كانت تنظر لهما بشرود باكيةً من الألم، هم زين مسرعًا كي يمسك بفارس ولكنه سرعان ما تحول أمام عينيه إلى ذلك الطائر وفر هاربًا من الشرفة .

هنا نظر زين باكيًا متعجبًا من تحوله لطائر من ثم ضم فريدة صارخًا :

-فريدة، أنظري لي، ستكونين بخير . .

هم يحملها بين ذراعيه وضمها لصدره وطار بجذائه من الشرفة لأقرب مشفى، وهو يبكي بحرقة ويتمتم باكيًا :

-لا تتركيني يا فريدة، لا تتركيني .

***

# الفصل الحادي عشر

## كشف المستور

ها هو زين يفتح باب غرفة فريدة، تظهر فريدة شاحبة ملقاة على سريرها ومعلق لها محلول، وبمجرد ما دخل الغرفة والتقت عيناه بعيني فريدة، أشاحت بنظرها عنه مسرعةً فتحرك تجاهها باكيًا:

-فريدة، حبيبتي، أرجوكِ أنظري لي . . .

تبكي فريدة ولا تنظر له فيجثو زين أرضًا باكيًا تجاهها:

-أرجوكِ يا حبيبتي سامحيني، إن الموقف لم يكن هين عليَّ أبدًا .

تنفست فريدة بعمق كي تتمالك نفسها وكي لا تبكي، من ثم أمسك زين يدها:

-أرجوكِ سامحيني، تذكري لي أي لحظة حلوة .

أشاحت فريدة بنظرها عنه، فهم من مكانه كي يواجهها مرة أخرى متلهفًا لرؤية وجهها وهو ينظر لها بابتسامة مكسورة:

-إن كنتِ لا تريدين أن تسامحيني لشخصي أنا ، فلتسامحيني من أجل أبننا القادم في الطريق .

صدمت فريدة وقالت:

-أبننا . . . ؟ كيف ومتى . . . ؟

اقترب منها زين وقبل يدها :

-تخيلي أن الأطباء يقولون إننا لمحظوظون لقد نجا أبننا ولقد نجيتِ يا حبيبتي .

-منذ متى وأنا هنا . . . ؟

-يومان فقط والحمد لله ها أنتِ معي الآن .

سحبت فريدة يدها من يده ونظرت له محتقرة إياه:

-وما الذي يجعلك سعيد بالطفل الذي في بطني، ما الذي يؤكد لك أنه أبنك . . . ؟

-لأني أثق بكِ يا فريدة . . .

ضحكت فريدة ضحكة تهكم وهي تذرف الدمع:

-هههه، أضحكتني يا زين . . . تثق بي أنا . . . ! من هو الذي كان يريد أن أموت بين يديه .

-كنت غبي يا فريدة صدقيني لم أكن بوعيي لم أدرك ماذا أفعل من هول الصدمة ولكني رأيت برهان براءتك بعيني وتحول فارس ذا إلى ذلك الطائر .

-لم يعد لتصديقك لي قيمة، إذا كنت صدقتني في تلك اللحظة لكان هذا سببًا لعودة علاقتنا مرة أخرى ولكن بعد الذي فعلته أعتبر أن كل شيء بينا انتهي .

-أرجوكِ يا فريدة فرصة واحدة لا من أجلي أنا بل من أجل طفلنا .

-للأسف لا أثق بمن يشك بي .

-هل تريدين تركي كي تذهبي لفارس . . . ! ؟

-مازلت على نفس ظنك يا زين .

تنفس زين وقال كمن استجمع قواه:

-للعلم فارس هذا لغز كبير ولقد اكتشفت عن حقيقته أمور وما زلت سأعرف عنه المزيد .

نظرت له فريدة بغضب وحيرة:

-ماذا تقصد . . . ؟

سأحكي لكِ ما حدث . . .

بمجرد أن وصلت هنا صرخت بمن في المستشفى كي يلحقوا حالتك حينها أغلقتِ عينيكِ ولم تعدي تردي عليَّ، هموا بسرعة بوضعك على ناقلة ولكن منعني رجل أمن من الدخول معكِ، أبعدت يده عني وقلت بغضب:

-أبعد يدك عني، يجب أن أدخل معها، إن زوجتي تضيع مني .

هم رجل أمن أخر بأن يمسك بيدي الأخرى، استمررت في المقاومة:

-ابتعدا عني، أتركاني أذهب إليها . . .

ولكن سرعان ما وقعت على ركبتي نادمًا باكيًا:

-أنا السبب في كل ذلك، أنا السبب لم أستطع أن أدافع عنكِ . . .

فجأة رأيت حذاء رجل يقف أمامي وكزني بالعصا كي أنظر له، بمجرد ما رفعت رأسي رأيت أمامي رجل شرطة ينظر لي بنفاد صبر:

-يا إلهي يبدو إنه يوم متعب، ماذا حدث هنا . . . ؟ الرجال اليوم قرروا قتل زوجاتهم، ما صدقت أن أنهيت استجواب الرجل الأول ها قد جاءني الثاني .

هيا قم من على الأرض وتوقف عن تمثيل هذا الدور، يوجد الكثير غيرك أبدع في تمثيله .

وقفت وقمت بمسح دموعي وقلت:

-ولكني لا أمثل أنا . . .

هم الضابط بالتحرك تجاه غرفة بالجوار وأشار لرجال الأمن أن يلحقا به ويأخذاني معهما، صرت أنظر بحيرة لكل من بالمستشفى وأقول مدافعًا عن نفسي:

-لم اقتلها، لم أفعل شيء . . .

قال لي أحد عمال المشفى مطمئنًا إياي:

-لا تقلق إنه مجرد استجواب .

استمررت أدافع وأقاوم وأقول:

-لم أفعل شيء، أتركوني وشأني، دعوني أذهب لحبيبتي.

قطع كلامي صوت الضابط الذي ضرب بكل قوته المكتب وقال بصوت حازم:

-لا أريد أن أسمع صوتك إلا عندما أسمح لك بهذا . . .

توقفت عن كلامي بمجرد ما رأيت غضب الضابط، فقال الضابط بحزم:

-مفهوم . . . ؟

أومئت له أي نعم ومن ثم أجلسني أمين الشرطة على الكرسي فازدرتُ ريقي وقلت بصوت مهزوز وحزين:

-ولكن يا حضرة الضابط أنا أريد أن . . .

طرق الضابط المكتب مرة أخرى وقال بجدة:

-أنا هنا من يتكلم أو يأذن بالكلام.

أومئت برأسي موافقًا، من ثم هم الضابط بإشعال سيجارة من ثم بدأ في استجوابه:

-لِمَ قتلتها . . . ؟

-لم أقتلها، إذ كنت من قتلها لما كنت جئت بها إلى هنا كي تنقذوها .

نفث الضابط دخان سيجارته بثقة وقال:

-هذا تفكير ذكي من بعض الرجال كي يبعدوا الشك عنهم، ولكن في النهاية يكونوا هم من قتلوا زوجاتهم.

-أقسم لك لم أقتلها .

قال الضابط بنفاد صبر:

-حسنًا احكِ لي ما حدث بالتفصيل.

حكيت له كل ما حدث فضحك الضابط ساخرًا ومن ثم أطفئ سيجارته وتحولت ملامح السخرية إلى غضب:

-هل تستخف بي . . . ؟ رجل يتحول لطائر . . . ؟ يعني تريد أن تخرج من جريمة القتل بسبب خيانة زوجتك لك بأن تدعي الجنون، كان غيرك أشطر يوجد كثيرون مثلوا هذا الدور ونهايتهم كانت أنهم تعفنوا في السجن وآخرين أُعدموا .

بكيت وأنا أدافع عن نفسي:

-أقسم لك أني صادق في كل كلمة قلتها لك، أقسم لك .

هم الضابط من مكانه وقال لأمين الشرطة:

-ضع في يده القيود وتعالى ورائي كي نذهب به هو والحثالة الآخر لقسم الشرطة .

بدأت ادافع عن نفسي وأنا اتحرك وأقاوم وأقول:

-خالد هو من قتلها ، فارس هو السبب، ابحثوا عن فارس أو خالد .

كانوا الناس ينظرون إليَّ، منهم من ينظر لي نظرة شفقه ومنهم من ينظر إليَّ نظرة أني مجرم وهذا جزائي .

***

بمجرد أن ركب الضابط سيارة الشرطة وأمر ساعته التي تنبثق منها شاشة به عدة برامج خاصة بالشرطة "برامج ذات إرسال مشفر" :

-لقد تركت أميني شرطة لحراسة امرأتين تعرضتا لمحاولة قتل على أمل أن يتم إنقاذ أي منهما ، سوف أصل للقسم ومعي المتهمان، سوف أسلمهما أريد أن يستعد فريق البحث الجنائي كي نبحث في موقعي الجريمة .

قاطعته فريدة بضجر :

-زين ما الفائدة من هذا كله . . . ! هل تريد أن تثبت لي أنك تحبني . . . ؟

-حبي لكِ لا يحتاج إثبات يا فريدة، بل وغيرتي تلك كانت أكبر دليل على حبي لكِ .

-ماذا تريد مني الآن . . . ؟

-أريد أن أقول لكِ أن الشرطة بحثت عن خالد كما قلت لهم أنه هو الذي قتلك ولكن هنا كانت الصدمة.

-ما هي الصدمة...؟

-لا يوجد أي دليل على وجود خالد من الأساس، وإن البيت من الأساس مهجور منذ عدة سنوات.

صدمت فريدة، ومن ثم ازدردت لعابها:

-كيف...؟ ومن هو الذي كنا نزوره في بيته وكان يزورنا...؟

-أنا صدقتكِ حينما تحول لطائر وهذا أثبت لي أنكِ لم تكوني تعلمي بوجوده معكِ ولكن أنا شكي به كان قبلها يا فريدة وعرفت عنه شيء لن تصدقيني إن قلته لكِ.

-شيء مثل ماذا...؟

-أرجوكِ أن تفهميني جيدًا ولا تسيئي الظن في نيتي...

-قل يا زين .

-حسنًا سوف أحكي لكِ كل ما أعلمه عنه .

بصراحة هل تتذكرين عندما قرر خالد أن يرحل من البيت بعد أن احرجتِه أمامنا لم أشك بشيء أبدًا ظننت حينها أنه شعر بالخجل ورحل، ولكنه لم يعد يكلمني أساسًا وبمجرد رجوعك لحياتك وعيادتكِ ذهب إليكِ مباشرة، حينها تأكدت من مكانتي الصحيحة في حياته، أنا لست صديقه بل أنا مجرد مغفل يربطه ويقربه لزوجته ويستغفله .

توترت فريدة وقالت بغضب:

-ما الذي تتفوه به، إنه نقي شريف في نيته .

-وما أدراكِ أنتِ بنيته . . . ؟

-هو قال لي . . .

ولكن سرعان ما سكتت عندما علمت أنها في مأزق .

-قال لكِ ماذا يا فريدة أكملي .

استجمعت فريدة أفكارها بسرعة وقالت:

-لقد قال لي أننا له أصدقاء وأخوه .

قال زين بتهكم:

-وهل تظني بفعلته تلك أنه صادق في كلامه ونقي وشريف في نيته . . . ؟ ! إنه خائن ائتمنته على بيتي وعرضي ولكنه لا يؤتمن له، لم يكفه ذلك بل كان يريد قتلي أنا ، يريد قتلي كي تكوني له فقط، كنت أظنه مريض اكتئاب فقط أو غريب الأطوار يحتاج من يظل بصحبته كي ينعشه ويخرج من قوقعة ظلمته ولكن حقيقته أنه مريض بالحقد ، إنه يريد أن يحل محلي ويأخذ حياتي .

ظلت فريدة شاردة في زين سارحة مع كلامه الذي يؤيده العقل والمنطق، ولكن سرعان ما أكمل زين وقال:

-ها ماذا فعلت عندما شككت به . . . ؟

أومأت له فريدة أي ماذا . . . ! ؟

-سافرت للندن كي أقابل ليندا وأحكي لها ظنوني . . .

قاطعته فريدة بغضب مكبوت:

-يعني ليندا هي التي تتواصل معها كل تلك الفترة . . . !

-نعم هي، كنت أتواصل معها من حين لآخر كي أحكي لها تطورات حالتك، ولكن سفري للندن كان لسبب آخر .

-ما هو . . . ؟

-كنت أريد جهاز للسفر عبر الزمن في أسرع وقت كي أعرف ما ينوي له خالد تجاهك .

-وهل تمكنت من الحصول على جهاز . . . ؟

-نعم تمكنت من الحصول عليه قبل الحادثة مباشرة وعندما رأيت ما رأيته عندما استخدمت الجهاز قررت الرجوع لمصر مباشرة كي أحذركِ، ولكن الذي رأيته أمامي صدمني ونسيت نفسي و . . .

-زين يكفي، مما كنت تريد أن تحذرني . . . ؟ !

-خالد قاتل، بل الحقيقة إنه وحش ومن ضمن ضحاياه أمه . . .

صدمت فريدة وذرفت عينيها الدمع وقالت مصدومةً باكيةً:

-لا أصدق ما أسمعه، لا أصدق كل ما يحدث لي ،لا أصدق .

-إن لم تعدي تثقي بي يا فريدة يمكنكِ أن تسأليه .

مسحت فريدة دمعها وقالت:

-وكيف لي أن أسأله . . . ؟ لقد قلت لي أنه ليس له أي وجود .

-إنه يريدك لذا سوف يظهر من أجلك و . . .

قطع كلامه دخول أمين الشرطة وهو يقول ها مسًا :

-هيا يا سعادة البيك، الباشا على وصول .

نظر زين لها وقال لها بحزن:

-أرجوكِ يا فريدة كوني معي كي أحميكِ مما هو قادم .

-لا لن أكون معك مرة أخرى يا زين .

بكى زين وقال بحسرة:

-يعني سوف تتركيني أتعفن في السجن بتهمة أني حاولت قتلك، أو أكون في مصحة عقلية لأني توهمت معكِ عشيق لا وجود له ولكنكِ الوحيدة التي تعلمين بوجوده وتشهدي على ذلك معي، أنا تم إطلاق سراحي ولكني ما زلت تحت المراقبة والضابط سيحسم الأمر بشهادتكِ .

-سوف أخرجك منها يا زين لا تقلق سوف تغلق القضية، العشرة التي بيننا لن تهون عليَّ أبدًا .

-هذا يعني أنكِ موافقة أن نكمل حياتنا سويًا مع أبن . . .

قاطعته فريدة بحدة:

-لا لن أكون معك، إلى هنا وكفى يا زين .

-أريد حمايتكِ يا حبي . . .

-لا تكملها ، أنا قادرة على حماية نفسي .

هنا سحبه أمين الشرطة وهو يتمتم:

-الباشا وصل المشفى لا تضعني في مشكلة .

نظر لها زين وهو يخرج من الغرفة وهو يقول لها بلهفة:

-عيني ستظل عليكِ يا فريدة، سأحيطك دائمًا .

***

دخل الضابط غرفة فريدة وهو يمشي بتبختر وثقة، من ثم جلس على الكرسي المجاور لها، من ثم لمس ساعته فانبثقت منها شاشة فاختار منها برنامج خاص لتحويل التحقيقات الصوتية إلى كتابية، وسألها:

-هل تعلمين من الذي حاول قتلك . . . ؟

-لا أدري لم أرى أحد .

-من كان معكِ لحظة وقوع الجريمة . . . ؟

-لم يكن معي أحد .

-هل تشكين بأحد . . . ؟

-لا أشك بأحد . . . ولا أريد أن أشك ها أنا بخير لا يوجد داعي لكل هذا .

-ولكن زوجك هو من احضرك لهذا المشفى ويلقي الاتهام على شخص اسمه خالد وكنيته فارس . . . !

-أنا صاحبة الشأن يا حضرة الضابط ولا أريد أن يتهم أحد .

-ولكن هذا يعني أنكِ معرضة لتكرار نفس الهجوم مرة أخرى . . . !

لم ترد فريدة وأكتفت بالصمت فقال الضابط وهو يهم بالوقوف والبرنامج مستمر بتحويل المحادثة على الشاشة:

-يعني صمتكِ ذا يدل على أنكِ لا ترغبين في استمرار القضية والبحث عن القاتل أو حتى حمايتكِ .

أومئت فريدة أي نعم، فقال الضابط وهو يهم بالحركة:

-حسنًا ، كما تشائين .

أغلقت القضية على رغبة المعتدى عليها فريدة مراد الحبشي .

الضابط/ مصطفى السياف .

***

## الفصل الثاني عشر

### القاتل

عادت فريدة لبيتها بعد عدة أيام من ذاك الحادث التي مرت به، وبمجرد ما دخلت بيتها زعمت على تفتيش بيتها كي تسكت عقلها من كثرة التساؤلات اللاتي تدور به.

أمرت الروبوت أن يبحث لها عن جهاز للسفر عبر الزمن، وبالفعل بدأ الروبوت بمسح الطابق الأول بأشعة عينيه ولكن لا أثر له.

قررت أن تصعد للطابق الثاني وقالت في قرارة نفسها بثقة:

-آخر مرة عندما وقع الحادث كان زين لتوه راجع من السفر وأكيد كان معه هذا الجهاز، احتمال أجده في غرفتي.

وبالفعل صعدت وأمرت الروبوت بنفس الأمر وبدأت تبحث معه من لهفتها ولكن بلا جدوى.

شعرت فريدة بالتعب فقررت أن تجلس على سريرها وهي تنظر لشرفتها وعينها على فيلا فارس وهي تشعر بتردد رهيب، من ثم نظرت للأرض وهي تشعر بأن ليس بيدها حيلة .

ولكن سرعان ما سمعت صوت جعلها تنتبه بسرعة:

-هل يمكن أن أدخل يا حبيبتي . . . ؟

فزت فريدة بغضب وقالت:

-لا يحق لك أن تدخل هذا البيت بعد فعلتك تلك . . . أرحل من هنا .

هم زين بدخول الغرفة وشرع يقترب منها بأسى:

-أنا زوجك حبيبك وأب طفلك .

-لم تعد زوجي، سوف تطلقني، ولا تذكر سيرة الطفل مرة أخرى، لا تجعلني أنتقم منك فيه، أنا نادمة لأن هناك ما يربطني بك .

بدأ زين يبكي وقال:

-كيف تمكنتِ من كرهي هكذا . . . ؟

-أفعالك هي السبب .

من ثم مسح دمع عينيه وهو ينظر للغرفة بقلق التي قلبتها فريدة فوضى وهي تبحث عن الجهاز وقال لها :

-ماذا حدث في الغرفة يا فريدة، هل تعرضتِ لأي شيء . . . ! قولي لي . . . أنا هنا لكي أحميكِ .

ابتعدت عنه فريدة بكره وقالت:

-أنا بخير بك أو من دونك . . . كل ما في الأمر كنت أبحث عن شيء .

-وما هو هذا الشيء يمكنني أن أساعدك .

-كف عن تودك ذا، إنه يجعلني أشمئز منك أكثر .

-تشمئزين مني أنا يا فريدة . . . ! أنا حبيبك الذي فتحتي له قلبك من أول لقاء، صرتِ تشمئزين مني . . . ؟ !

-كف عن الدراما يا زين . . . تلك الدموع لن تشفع لك بعد فعلتك تلك، ولكي أكون صريحة معك، كنت أبحث عن جهاز السفر عبر الزمن كي أتأكد من صدق كلامك الذي أشعر بنسبة كبيرة أنك قلت كل هذا بسبب غيرتك وسوء ظ . . .

-توقفي يا فريدة، استحالة أشك في حب حياتي، عليكِ أن تقولي إني شككت في خالد لا بكِ أنتِ .

-النتيجة واحدة يا زين لا يوجد مبرر لفعلتك .

-هل يمكن أن تسمحي لي أن أوضح لكي سبب ظني ذا . . . ؟ !

-لا يوجد سبب سوى عدم الثقة . . .

أمسك زين يد فريدة وأجلسها على السرير وجلس بجوارها وقال لها :

-أرجوكِ اسمعيني يا فريدة، لا تتبعي صوت عقلكِ دائمًا لأنه ليس على صواب في كل الأحيان .

تنهدت فريدة ومن ثم أكمل زين كلامه:

-بدأ شكي في خالد منذ أول يوم دخلت بيته، بيته غريب جدًا وكنت أشعر أنه غريب الأطوار لا بيته فقط، وعند دخولي لبيته أول مرة لاحظت كلب في حديقته وعند خروجي لم أجده أبدًا .

حاولت فريدة الدفاع عنه ولكن سرعان ما اسكتها زين وقال لها :

-لا تقاطعيني، دعيني أكمل، وفكرة عدم معرفته أي شيء عن حياته وأهله إنه لأمر غريب ولكن ما هو أكثر غرابة رفضه للأكل أو الشرب حتى، كل هذا اعتبرته مجرد بشر فالناس يختلفون عن بعضهم، ومن ثم تودده لكِ وقربه منكِ جعلني أبدأ اتشكك في صدق إخلاصه لي وأنه يكن مشاعر تجاهك، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على شكي به لا بكِ أنتِ ومنذ ذلك الحين قررت الحصول على هذا الجهاز كي أتأكد من أمر مشاعره لكِ ولكن هل تتذكرين عندما قررت السفر منذ عدة أيام عندما اتصلت بكِ وقلت لكِ أني جهزت لكِ مفاجأة . . . !

أومأت فريدة رأسها أن نعم من ثم نظرت له بحيرة وهي تنصت له:

–يومها اشتريت لكِ كلب هدية وعندما حل المساء، تركته في بيته وصعدت كي أنام.

ولكن بمجرد ما بدأت نومي سمعت زمجرة الكلب ولكن سرعان ما اختفى صوته.

هرعت مسرعًا وفتحت الشرفة ونظرت لبيت الكلب الذي وجدته فارغًا وفي غمضة عين رأيت رجل ظهر في عتمة الليل في منتصف الطريق، وفي غمضة عين اختفى، وبعدها رأيته في حديقة فيلا خالد.

ولكن سرعان ما اختفى عن نظري، ظللت أنظر لفيلته لا أفهم ما أراه.

حينها قررت أن أنزل وأذهب لبيت خالد.

كان نظام بوابته معطل لدرجة أن باب البوابة كان مفتوح بمجرد أن قمت بلمسه فتح مباشرة، بدأت ادخل وأنا قلبي ينتفض لا أدري ما أنا بفاعل...! وبمجرد ما اقتربت من باب الفيلا الداخلي بدأت أسمع صوت طرقات أي صوت فأس يطرق الأرض، بدأت أتبع الصوت إلى أن وصلت أمام باب يؤدي لسلالم بدروم، حينها قررت أن أنزل ولا أدري لماذا أتبع عقلي...!

وبمجرد ما نزلت الغرفة لم أجد أحد ولم أجد شيء، ولكن سرعان ما شعرت بضربة عصا قوية أفقدتني الوعي.

ولم أفق لنفسي إلا ووجدتني على سريري هنا وبجواري خالد وهو يقول لي:

-أعذرني يا زين عن ما صدر مني، كنت أظنك أحد أقتحم منزلي.

عدلت من نومتي وجلست وأنا أقول له بحيرة:

-ماذا كنت تفعل في البدروم في ذلك الوقت. . . ؟

-إنه بيتي يا زين كنت أقوم ببعض عمليات الترميم به لا أكثر ولا أقل، كما تعلم إن فيلتي تحتاج الكثير من الإصلاحات.

من ثم نظر بحيرة وسألني:

-ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح هو، ما الذي أتى بك إلى منزلي من دون سابق ميعاد، لا أقصد شيء يا صاح إنه بيتك أعلم ذلك ولكني تعجبت.

-لقد فقدت كلبي وجئت لفيلتك كي اسألك إن كنت رأيته ولكني تعجبت من صوت الطرق ذا فأتبعته.

من ثم ازدرت لعابي، وبعد ما أطمئن عليَّ رحل وحينها قررت السفر وحصلت على الجهاز وعلمت جرائم خالد بداية من أمه واشخاص وعدة حيوانات كثر وكل تلك الجثث مدفونة في ذاك البدروم .

نظرت له فريدة وقالت له بحزم:

-أعطي لي هذا الجهاز أريد التأكد بنفسي، لا يمكننا أن نترك ذلك المجرم في الحي هكذا .

وقف زين بحزم وقال بغضب:

-لن أعطيكِ الجهاز مرة أخرى، ألا تري حالتك كيف أصبحت بسببه، لا لن أدع حالتك تسوء أكثر من ذلك يجب أن تأخذي كلامي ثقة وتتحد سويًا ونبلغ عنه الشرطة وسيكون هذا البدروم دليل جرائمه وسوف تبحث الشرطة عنه في كل ارجاء البلاد لأنه ليس له أثر هنا .

همت فريدة بمد يدها في جيب زين كي تبحث عن الجهاز وهي تقول بحزم وغضب:

-أعطي لي الجهاز هذه المرة وكفى .

وبالفعل أخرجته من جيبه فسحبه زين من يدها وقال بحزم وهو يقوم بتكسيره أرضاً :

-لن أدع تلك المغامرات تدمر ما تبقى من عقلك يا فريدة .

نظرت فريدة بدهشة وغضب للجهاز المهشم أرضاً وقالت بغضب:

-قمت بتكسيره لأنك كاذب .

هم زين بالخروج من الغرفة وقال كمن فقد الأمل:

-لقد تعبت أوضح لكِ يا فريدة، إذا كنت كاذب في نظرك فيمكنكِ أن تسأليه أو أن تري بنفسك .

***

ظلت فريدة شاردة في فيلا فارس من ثم قررت أن ترسل له رسالة:

-فارس أريد أن أقابلك من أجل موضوع ضروري .

تمر الساعات ولكن لا يوجد رد من فارس .

حل المساء وفريدة قلقة في سريرها ، لذا قررت أن تذهب وتتأكد بنفسها .

همت فريدة بالخروج من فيلتها وها هي تمشي تجاه فيلا فارس وقد غمرها القلق، ولكنها لا يمكنها أن تجمح فضولها بتاتاً .

وبمجرد ما لمست البوابة فتحت مباشرة أي كأنها تحاول دخول بيت مهجور متهالك كل شيء به معطوب .

ها هي تقدم على دخول الفيلا المظلمة وتتذكر كلام زين وكلما اقتربت أكثر كلما زاد شعورها بصدق كلام زين ولكن تريد أن تسكت آخر نبض من قلبها ينادي بصدق فارس .

ها هي تعتمد على ضوء خاتمها وبدأت في نزول البدروم "القبو" .

بدأت تقول في قرارة نفسها :

-احذري يا فريدة، يجب أن تنتبهي كي لا يحدث بك ما حدث لزين .

من ثم تنفست بعمق وأردفت:

-ولكن الأدهى أن يحدث لي ما حدث لأمه ولا أدري من غيرها .

بمجرد نزولها للقبو أخذت وضع الاستعداد وجعلت ظهرها يواجه المكان الفارغ في الغرفة ووجهها تجاه الباب كي تتأكد من عدم وجود أحد .

أخذت تنظر جيداً وبالفعل لم يوجد أحد بالغرفة سواها ، فازدردت ريقها ، من ثم قررت أن تستخدم الفأس وتقوم بالحفر كي ترى بعينها .

ها هي تحفر أكثر وأكثر ولكنها لا تصل لي شيء ، قررت أن تتوقف كي تلتقط أنفاسها وبدأت الظنون تتغير في عقلها وتقول:

-يبدو أن زين أختلق بعض الأمور في حق فارس كي أشك به، ولكن زين لا يعلم أني بما فعله فارس وتعرضي لهذا الموقف بسببه كرهته هو أيضاً ، ولكن كذب زين زاد كرهي له أكثر .

فريدة عليكِ أن تكملي الحفر ولا تحكمي الآن، توقفي عن التسرع في الحكم، هيا فلأبدأ .

وبالفعل ها هي تكمل الحفر، تحفر بكل قواها أكثر وأكثر إلى أن وصلت لشيء معدني ارتطم بالفأس .

هنا تعجبت فريدة من وقع الصوت على مسامعها وقالت في قرارة نفسها بحيرة:

-أنا هنا أبحث عن جثث تدين فارس، لم أكن أظن أني جئت لكي أجد كنز .

ومن قال لكِ أنه كنز يا حمقاء، فلتكملي الحفر وكفي عن التفكير قليلاً .

بدأت فريدة بإزالة ما تبقى من تراب إلى أن ظهر أمامها مباشرة طبقة كبيرة جدًا مصنوعة من حديد، هنا الشكوك تحولت من كونه صندوق كنز إلى شيء لا تعلم ماهيته، جلست وأخذت تنظر للحفرة التي أمامها ولتلك الطبقة الحديدية .

بعد وقت من النظر وجدت أن لها حدود، أي أنها أشبه بالباب، فقالت في قرارة نفسها بلهفة:

-نعم إنه باب . . .

ولكن سرعان ما خمدت نار لهفتها وقالت بتعجب:

-ولكن إن كان باب فكيف لي أن أفتحه وهو من دون مقبض حتى .

أخذت تنظر حولها فوجدت عتلة، فقامت بغرسها في أحد أطراف الباب وقوة بنيان فريدة ساعدتها على رفعه، كان الرفع بصعوبة ولكنها تمكنت وأمسكت بطرف الباب وقامت بفتحه على آخره فصار موازيًا للحفرة التي قامت بها .

بمجرد ما فتحت الباب هبت رائحة عفنة جدًا ، رائحة أشبه برائحة الجيف والجثث، رائحة جعلت فريدة تتقيأ .

حاولت فريدة أن تتمالك نفسها وتكمل ما بدأته، فقامت بخلع قميصها وثنيه وربطه حول وجهها مثل الكمامة كي يقيها من تلك الرائحة .

حاولت أن تسقط ضوء خاتمها كي ترى ما الموجود داخل هذا المكان، ولكنها لم ترى بوضوح من عل، فقررت أن تنزل للأسفل ولكن عمق المكان كبير جدًا، فقالت في قرارة نفسها :

-يمكنني أن أقفز بداخله ولكن كيف لي أن أصعد ، يجب أن أجد سلم .

أخذت تبحث حولها في البدروم إلى أن وجدت السلم، كان سلم طويل وثقيل جدًا ولكنه مفيد للوصول لهذا العمق، تحاملت فريدة على حمله وقامت بإنزاله وتثبيت

طرفه العلوي على أحد أطراف الحفرة التي قامت بحفرها ، وتبقى جزء من السلم على ارتفاع بسيط بجوار الحفرة، حمدت فريدة الرب على انها وجدت السلم، همت بالنزول وهي تقول في قرارة نفسها :

-هذه أول مرة أجد للبدروم بدروم .

ها هي تنزل وكلما اقتربت من الأرض يرتعش جسدها أكثر وأكثر .

بدأت تمشي في ممر فارغ مظلم لا يضيئه سوى ضوء خاتمها الذي أخذ يخفت شيئًا فشيئًا وذلك لأن بطاريته ضعيفة، فقالت فريدة حينها بغضب:

-ليس وقتك أن تنفد الآن، أكمل معي قليلًا أرجوك .

إلى أن وصلت لغرفة مغلقة، فهمت بفتح بابها ، وهنا كانت الصدمة .

من هول ما رأته فريدة سقطت أرضًا غير مصدقة ما تراه عينها .

لم تعد قدمها قادرة على حملها فبدأت تزحف وهي تنظر لتلك الغرفة المعبئة بالهياكل العظمية، هياكل عظمية مختلفة الأشكال .

تحاول فريدة أن تلتقط أنفاسها وهي تزحف ولكن سرعان ما أوقف تحركها وجود جسد خلفها .

رفعت فريدة رأسها كي ترى من خلفها ولكن سرعان ما يسقط على عينيها ضوء البدروم الذي فتح لتوه .

شوش الضوء رؤيتها لأن عينها اعتادت الضوء الخافت، ولكنها تمكنت من الرؤيا بمجرد أن قام بسحبها تجاهه .

ولكن بمجرد ما واجه وجهها وجه فارس رسم الفزع على وجهها وقامت بإبعاده عنها فبمجرد ما ترك يدها فقدت توازنها مرة أخرى وسقطت وبدأت تزحف للخلف تجاه السلم وهي تصرخ وتقول:

-ابتعد عني، أنت قاتل، أنت مجرم .

أخذ فارس يقترب منها ببطء وهو ينظر لها بتعجب ويقول:

-إذا كنت قاتل لَم لَم أقتلك بعد . . . !

-يمكن لأنك تكن تجاهي مشاعر وبسبب مشاعرك تلك جعلتني أظهر بصورة غير شريفة أمام زين . . . لمَ جعلت الأمور تنتهي بهذا الشكل .

-يبدو أنكِ لا تفهمين الأمور كما تظنين .

حاولت فريدة أن تتمالك نفسها بمجرد ما ارتطم جسدها بالسلم، حينها همت مسرعةً كي تصعد وتهرب، ولكن قبل أن تضع قدمها حتى على أول درجة في السلم كان فارس أمامها وضرب السلم فسقط أرضاً ، حينها التفتت فريدة له وهي تتوسل له:

-أرجوك دعني أخرج من هنا وأعدك بأني لن أخبر أحد بما رأيته .

-لن أدعكِ تخرجي من هنا قبل أن تفهمي الحقيقة كاملة .

بدأت فريدة تلتقط أنفاسها بصعوبة وتقول بوهن:

-أرجوك، دعني أخرج من هنا ، لم أعد قادرة على التنفس، أشعر بالدوار، أنا حامل . . .

من ثم خرت واقعة، فلتقطها فارس وطار بها ، ومن ثم أخذ يصعد بها على الدرج ببطء وهو يتأمل ملامحها ، إلى أن وصل غرفته فقام بفرد جسمها على السرير وإزالة القميص من على وجهها .

جلب بعض الماء وحاول إفاقتها به، بعد ما فتحت عينيها قال لها برفق:

-اشربي الماء يا فريدة والتقطي أنفاسك، لا يمكن للمرء أن يعرف الحقيقة من منظور واحد ، وأنتِ أكثر واحدة تعلم ذلك*

حاولت فريدة أن تعدل من وضعها وجلست وهي تنظر له بريبة وهي تشرب الماء ، من ثم قطع فارس تساؤلاتها الداخلية فأردف:

-لا أدري ماذا أقول لكِ . . . ! هل أقول الحقيقة بأني بالفعل قاتل . . . ؟ أم أدافع عن نفسي وأنكر هذا الجرم الذي أرتكبه بدون إرادة مني . . . !

-يعني الحقيقة أنك قتلت أمك يا فارس . . . ؟

-نعم، قتلتها .

-هذا يعني أنك كذبت عليَّ . . . !

-لا يمكنك أن تقولي إني كذبت، يمكنك أن تقولي إني أجلت الموضوع إلى أن يحين الوقت المناسب الذي تفهمين فيه ما أقوله لكِ .

-لا يوجد مبرر للكذب يا فارس، أنا طلبت منك أن تصارحني بكل شيء في حياتك، ولكنك عاملتني كأني مغفلة كبيرة .

-عليكِ أن تكوني رحيمة يا فريدة في حكمك على من حولك، لا تكوني صارمة هكذا، على الأقل أعطي لي فرصة كي أدافع عن نفسي وأحسن صورتي أمامك .

عليكِ أن تسألي نفسك أولًا لِمَ قتلت أمي من الأساس، هل هذا في نظرك أمر طبيعي . . . ؟

لا تقاطعيني يا فريدة دعيني أحكي لكِ كل شيء ولك الحرية الكاملة في ردة فعلك .

بعد عودتي للحياة مرة أخرى، حاولت أمي أن تجعلني آكل معها ولكن بلا جدوى، فشلت في أن يستقر الطعام في جوفي، أغلب الطعام لا أستسيغ رائحته، والبعض حاولت أن ابتلعه ولكن بضع ثوان واتخلص منه .

حينها أمي بدأت تتعب عندما رأتني وأنا أذبل أمامها ولا تدري ماذا تفعل لي، حينها قررت أن تجلب لي طبيب كي يتابع حالتي، قرر الطبيب أن يستخدم المحاليل كي تعوضني عن قلة أكلي، ولكن مرور المحلول في عروقي كان يحرقني ويأكل في جسدي، كنت أصرخ بهستيريا، وقمت بإزالته من يدي، وانفعلت على الطبيب فقرر الرحيل بعد الذي فعلته معه.

حينها قررت أمي أن تسأل الخادمة عن الساحر الذي أعادني للحياة مرة أخرى ولكنه لا يأتي إلا مرة واحدة في السنة، لذا قررت أن تذهب للساحرة التي كانت تعينه، فقالت لها تلك الساحرة العجوز الشمطاء:

-ابنك لن يأكل الطعام العادي مثل باقي البشر، أبنك خالد والخالدين ليسوا مثلنا، إن غذائهم اللحم وشرابهم الدم.

-لحم ودم ماذا . . . ؟

-على الأقل عند كل اكتمال قمر يتم قتل أي روح له.

-روح مثل ماذا . . . ؟

-هل تعلمين القربان . . . ؟

اومأت أمي بقلق أي نعم فأكملت الساحرة كلامها :

-عليكم بتقديم قربان بقتل روح واحدة ويفضل أكثر لو كان إنسان بالغ من ثم الأطفال، وأقل القليل روح حيوان ولكن التأثير ليس بقوي مثل روح البشر .

-ألم تقولي لي أنه خالد بل إنه سيكون أبدي في هذه الحياة .

-كل شيء وله ثمنه وتضحياته يا رحاب .

-وإن لم أفعل ذلك ماذا سيحدث . . . ؟

-إن لم تفعلي ذلك سيفعل هو بنفسه بشكل خارج عن إرادته كي يستمر في الحياة، أقل كمية جثة مع كل قمر وهذه الجثة ستكون كفيلة أن تكفيه لمدة شهر ولن يحتاج لشيء، ولكن إن كانت هذه الجثة جثة حيوان صغير فسيحتاج لشرب الكثير من الدم إلا . . .

-إلا ماذا . . . ؟

-إلا أنه سوف يواجه الكثير من التعب والإرهاق والشحوب وهكذا أكون شرحت لكِ المطلوب، أنتهي وقتك . . .

-ولكني لا يمكنني أن أفعل ذلك . . .

-من بدأ شيء عليه أن يكمله، ومن فعل شيء عليه أن يتحمل عواقبه، وأنتِ من طلبتي تحضير الروح من جديد فتحملي .

خرجت أمي وهي في حالة صدمة لا تدري ماذا تفعل، صارت تمشي وهي تجر أقدام الخيبة والذل والندم على فعلتها تلك وهي تقول:

-ما الذي فعلته . . . ؟ اعترضت على قدر الله وها أنا أعاني مما اقترفته يداي .

قررت أمي أن تشتري لحم طازج من أجلي ولكن للأسف لم استسيغه أبدًا، فقررت أمي أن تطلب ممرضة لكي ترعاني وتجلب معها دم من أجلي .

قررت أمي أن تقبل أن تجلب لي الدم يوميًا على أمل ألا تقتل أحد من أجلي .

حاولت أمي أن تخرج معي وكي نتقبل الواقع الجديد فخرجنا للسينما ، ولكن للأسف حينها لم أكن أتمكن من التحكم في ذاتي، في أول يوم لي في الخارج تعرضت لموقف،

الفتاة التي كانت تجلس بجواري، نظرت لها فظنت مني أني أحاول مغازلتها ، ولكني انقضضت على رقبتها فصرخت بشدة فهمت أمي مسرعةً وقامت بسحبي وهي تعتذر للناس باكيةً:

-أعذروني، أعذروني، أبني ليس على ما يرام، أبني مريض، لم يقصد ما فعله، أرجوكِ سامحيني يا بنيتي، اتصلي بي يا بنيتي وسوف أعوضك كما تشائين .

من ثم أخرجت كارت خاص بها وأعطته للفتاة وهي تهرع وهي تشعر بالخزي وهي تسحبني مثل الطفل الصغير رغم ضخامة بنيتي .

خرجت وأنا في حالة صدمة من نفسي بمجرد ما رأيت انعكاس صورتي ووجهي ملطخ بالدم .

عدت للبيت وحينها أدركت أمي أن ممارستي للحياة الطبيعية يعتبر خطر جسيم لمن حولي .

ظللت حبيس غرفتي، أشرب بعض الدم، هزيل حزين وحيد بسبب غرابة طبعي، وتعب أمي تعبني أكثر، الندم الذي في عينيها وحزنها على حالي جعلاني أكره نفسي أكثر.

شعور مؤلم جدًا عندما تصير مصدر الألم لمن يحبك وهو كان يظن أنك ستكون له مصدر السعادة.

الخزي مميت يا فريدة مميت.

يجب على البشر بدلًا من أن يسألوا الشخص المكتئب بتعجب: "لِمَ أنت مكتئب...؟"

بل عليهم أن يسألوا برحمة: "ما الذي جعلك مكتئب...؟!".

كل شيء وله سبب يا فريدة.

استمر الوضع هكذا إلى أن أكتمل القمر وهنا تحولت مثل المجنون، لم أستطع أن أجمح نفسي، هنا أول من رأيته كان أمي ولم أفكر حينها في كونها أمي بل أريد أن أسكت الصوت الذي بداخلي.

هنا أمي صرخت عندما رأتني أقترب منها ولكن سرعان ما همت الخادمة كي تدافع عن أمي وكانت هي أول ضحاياي .

أمسكت بها وقمت بمص دمها من رقبتها إلى أن فارقت الحياة، وبمجرد أن فقد جسدها قواه وخرت على الأرض جثوت على جثتها وبدأت في نهش لحمها ، وأمي واقفة تنظر لي وهي تصرخ وتبكي بندم على الوحش التي جلبته للحياة، وسرعان ما رأيتها تتحرك هاربة خارج البيت، فتركت الجثة التي بين يديي، ولحقت بها ، كنت أعلم أنها فاض بها وسوف تبلغ الشرطة عني لأني كنت سوف اقتلها هي الا أن الخادمة ضحت بنفسها بدلًا منها .

وقبل أن تصل لباب الفيلا كنت قد لحقت بها وقتلتها .

لم يتبقى في البيت سوى البواب فخرجت للحديقة وقمت بقتله كي لا يتبقى أحد ويكون شاهد على ما حدث .

منذ ذلك اليوم وأنا وحيد ، أخاف من الخروج كي لا اؤذي من حولي، وأخاف أن أحب فيأتي يوم وأقتل أحبتي .

قاطعته فريدة وقالت:

-يعني يمكنك أن تقتلني أنا أيضاً، لا أمان لمن قتل أحد وأنت لم تقتل أي أحد أنت قتلت أمك التي فعلت المستحيل كي تعود لها من جديد .

-ولكن لقد مرت سنوات كثيرة على ذلك الحادث، وتغيرت كثيرًا وصرت مدرك حالتي جيدًا، صرت أضحي بأقل القليل كل شهر مجرد قط أو كلب، وأرضى أن أكون متعبًا هالكًا أغلب الأحيان بدلًا من أقوم بجريمة أخرى.

وهذا كان حالي إلى أن قابلتك حينها شعرت أن قوتي تزيد بقربك مني، تأثيرك عليَّ أشبه بتأثير شرب الدم، لدرجة أني ظننت أن هذا الشهر لن أمر بتلك الحالة التي تدفعني لقتل ضحية جديدة ولكن للأسف أنتِ لم تكوني موجودة فاضطرت أن أقتل مرة أخرى.

-وكان الضحية هذا المرة كلبي . . . !

-على الأقل كلبك لا زوجك.

-لا تقل زوجي كل شيء انتهى بيننا بعد الذي فعلته يومها ، لمَ فعلت هذا الفعل الشنيع لمَ . . . ؟ !

-سوف أحكي لكي السبب، أولًا أنا لم أتِ إليكِ كي أضعك في هذا الموقف مع زوجك، بل الحقيقة أنا جئت لكي . . . .

توترت فريدة وقالت:

-لكي ماذا يا فارس . . . ؟

-لكي أقتلك . . .

حاولت فريدة أن تقوم من السرير ولكنها لم تستطع بسبب ألم جسمها وفارس أمسك بيدها كي لا تقوم فقالت صارخة عاجزة:

-لم يكن عليَّ الوثوق في قاتل مثلك .

فقال لها فارس ساخرًا :

-إذا كنت أريد قتلك فأنتِ أمامي لمَ لم أفعلها . . . ؟

تعقلي يا فريدة وأفهمي ما أقوله لكِ .

بعد جريمة قتلي الأخيرة وقفت أمام مرآتي وكنت أنظر لنفسي بندم رهيب وتمنيت من داخلي ألا أستمر في هذا الوضع باقي عمري، حينها تحرك انعكاسي ونظر لي نظرة شر كلها ثقة وقال لي:

-إن دم البشر أو الحيوانات لا يشبع غريزة الجوع بداخلك سوى شهر واحد فقط وكما تعلم أنت خالد فأحسب معي كم عدد الضحايا التي سوف تحتاجها طوال حياتك. ولكن هناك حل دائمًا لأي مشكلة.

حينها سألته بتردد:

-وما هو...؟

-أن تقتل فريدة، فريدة ليس مجرد اسم لها فقط بل هي فريدة كذلك، حتى دمها فريد، فما بالك بلحمها، مجرد هالة روحها وطاقتها تغنيك عن شرب الدماء، فما بالك بدمها ذاته.

صرخت به وقلت بغضب:

-هل جننت...؟ هل تريدني أن أقتل حبيبتي...؟!

خرج انعكاسي من المرآة وهو يضحك في وجهي ساخرًا وبدأ يحوم في غرفتي ويظهر في انعكاس المرآة خلف صورتي:

-ضحية واحدة ومن بعدها حياة طبيعية مستقرة، أم ضحايا كثر وحياة أشبه بحياة الجرذان لباقي عمرك الأبدي. . . !

حينها انفعلت جدًا فكسرت المرآة وبمجرد ما التفتت رأيته أمامي وقال بسخرية:

-ضحية واحدة، ضحي بفريدة من أجلك، من أجل حياتك، من أجل أرواح آخرين.

وبالفعل عند رجوعك من شهر العسل فكرت أن أذهب لبيتك وأقتلك، ولكني اكتشفت بأني ضعيف أمامك يا فريدة، الموت أهون عندي من أن أقتلك فلم استطع يومها سوى بجرحك جرح بسيط في رقبتك ورحلت، والمرة الثانية عندما دخل زين وكنت أمص دم اصبعك و. . .

هنا نظرت له فريدة بكره وقالت بغضب:

-يعني أنت كنت تعلم بأني حبيبتك، كنت تعلم وتتذكر كل شيء عني وعن حياتك.

هم فارس بالاقتراب منها ولمس خدها وهو ينظر لها نظرة حب وهو يهمس لها :

-وكيف لي أن أنساكِ يا عجيبتي . . . ولكني لم أرغب أن أوضح لكِ ذلك وذلك احترامًا لكِ ولحياتكِ الحالية، فأسرت حبي في قلبي .

هنا دخل زين وبمجرد دخوله ارتبكت فريدة وفارس فقال زين بكره وغضب وهو يهم تجاههما :

-كنت أعلم أنكِ هنا ، بمجرد وصولي للبيت وعدم وجودك به في هذا الوقت المتأخر قلت أكيد أنكِ عند عشيقك يا سافلة .

همت فريدة من الفراش بصعوبة وهي تبكي:

-أنت حقير يا زين، أنت مريض ولديك اسقاط، أنت الخائن لذلك تظن أني خائنة مثلك أيها الوقح .

هنا هم فارس وأمسك بزين بغضب:

-زوجتك شريفة يا عديم الشرف .

ضحك زين ضحكة تهكم وهو لا يقاوم قبضة فارس له:

-هههه صحيح، شريفة هي من تنام في سرير رجل غير زوجها ، ماذا عليها أن تفعل أكثر من ذلك كي أشك بها . . . ؟

هم فارس بضرب زين بقوة ومن قوة اللكمة سقط زين أرضاً ومازال في نفس الحالة الهستيريا من الصدمة وهو ينظر لفريدة التي تبكي من المشهد الذي يحدث أمامها :

-أيتها الشريفة قولي لي، من أب الطفل الذي في بطنك . . . ؟

هنا لكمه فارس لكمة أخرى بغضب وهو يصرخ به:

-توقف يا زين عد لرشدك وكف عن تفوهك بهذا الكلام، كلانا لم نخنك .

ضحك زين بتهكم وقد خانته دموعه:

-تخيل يا خالد بعد الموقف الذي حدث منذ كم يوم لمت نفسي وكنت أظن أني ظلمتها ، وبمجرد أن علمت أن هناك رابط بيننا قلت لنفسي أن نعطي فرصة لزواجنا ، ولكن بعد الذي فعلته اليوم هذا يثبت خيانتها لي وأنت خنتني يا من كنت أظنك أخي .

أمسكه فارس من ياقته بشدة وهو يهم بجعله يقف:

-أنت لا ترى الموضوع من الموضع الصحيح .

ضحك زين وهو يقوم بإزاحة يد فارس عنه بكره وتهكم:

-مطلوب مني أصدقكما وأكذب عيني مرتين ها . . . ! ؟

هنا صرخت فريدة وهي تبكي وهي تهم بالخروج من الغرفة:

-لا أريدك أن تصدق شيء ، أريدك أن تطلقني وألا أراك مرة أخرى في حياتي .

هنا أمسك زين بيدها كي يمنعها من الخروج وهو يبكي ويضحك بتهكم:

-لا تريدين أن تري وجه حبيبك وزوجك . . . !

من ثم ضحك بتهكم ساخرًا بشدة وأكمل كلامه:

واحتمال يكون أب طفلك . . . !

هههههه تخيلي كم الحمق والحب الذي أحبه لكِ لدرجة أني مستعد أن أكون متعلق بكِ إلى أن يأتي هذا الطفل للحياة ويثبت أني أبوه كي لا ينتهي حبنا . . .

من ثم بكى بهستيريا :

-لا أقبل أن ينتهي حبنا يا فريدة، حبنا أقوى من أي شيء .

حاولت فريدة بكل قوتها نزع يده عن ذراعها وقالت بكره:

-بعد الذي فعلته اليوم أنت أطفئت أخر شعلة أمل لعلاقتنا، وصدقني من يشك في شريكة حياته مرة سيظل عمره كله فاقد الثقة بها، علاقتنا انتهت يا زين . . . انتهت.

فقال لها زين بغضب وهو يصرخ بها:

-أتريدين هجري من أجل هذا الخائن القاتل غريب الأطوار . . . !

هم فارس بإمساك زين مرة أخرى وهو يدافع عن نفسه:

-أنا لست . . .

ولكن قبل أن يهم بأي هجوم صرخت فريدة بهما:

-زين لم يتهمك بشيء كي تهم بضربه أنت كاذب ومخادع وقاتل . . . أنا لا أعرفك، أنت لست فارس الذي أعرفه، أتركني وشأني لا أريد أن أراك أنت كذلك.

من ثم همت بالخروج من الغرفة وهي تتمتم باكيةً:

-كلاكما كاذبان مخادعان . . . أكرهكما بشدة أكرهكما.

هنا أبعد زين عنه ولحق بفريدة عند باب الفيلا:

-لن أدعكِ تكوني لغيري يا فريدة، أنتِ لي أنا فقط .

لكمته فريدة بكلتا يدها على صدره كي يبعد عنها من ثم قالت وهي تمشي تجاه فيلتها :

-أبتعد عني، لا أريد أي أحد لا أنت ولا غيرك .

وقف زين وقال بصوت عالٍ:

-لن أتركك يا فريدة، ولن تغيبي عن عيني لحظة، لن أتركك، أتفهمين .

***

# الفصل الثالث عشر

## الجريمة

بمجرد أن دخلت فريدة بهو فيلتها تمكن منها التعب بشدة، فلمست خاتمها كي يأتي إليها الروبوت وبمجرد حضوره سقطت أرضاً وقالت هامسةً وهي تحاول ألا تفقد وعيها:

-أتصل بأمي وأخبرها أني أحتاجها حالاً .

***

ها هي فريدة تقف أمام مرآة ضخمة ذات إطار مشغول يدوياً بتصميم يعود للحضارة الإسلامية، من ثم تنظر لنفسها وتتأمل فستانها الأبيض الطويل وقد خطف نظرها تلك السلسلة ذات دلاية البومة ذات الحجر الروبي، تنظر لها بلهفة وهي تلمسها، من ثم تنظر في انعكاس المرآة فترى حديقة خضراء واسعة من ثم يظهر وراءها نفس الشاب ذا ملابس الملوك، فتلتفت له فيبتسم لها فيهم بسحب يدها بلهفة وهي تتبعه مبتسمة ولكنها تنظر له نظرة معناها: "إلى أين . . . ؟" .

فيقف مرة واحدة ويبتسم لها ومن ثم يؤشر للسماء كي تنظر، فترى حصان أبيض ذا أجنحة كبيرة يهم بالهبوط.

وما زالت تنظر بلهفة وهي تشعر بكم كبير من السعادة بسبب جمال ذلك الحصان، كان حصان أشبه بالأحصنة الأسطورية فائقة الجمال.

وبمجرد هبوط الحصان، حرك الشاب يده لأعلى فبدأت فريدة بالارتفاع عن الأرض فبدأت ملامح القلق ترسم على وجهها وخاصة أن توازنها أختل، فنظر لها الشاب مبتسمًا مطمئنًا إياها فطمئنت، فقام بتحريكها إلى أن ركبت الحصان، من ثم صعد على الحصان أمامها، فأمسكت به بشدة وهي في قمة السعادة، بدأ الحصان في العدو وضحكات فريدة تزداد أكثر وأكثر من نشوة السعادة، ومن ثم قفز الحصان وطلق جناحية للريح وأرتفع عاليًا إلى أن وصل فوق البحر، هنا انبهرت فريدة من جمال المنظر، ولكن هذا الشعور لم يدم طويلًا، لأن السماء الصافية بدأت تتحول إلى سماء مليئة بالغيوم وأخذت تلك الغيوم تزداد ظلمة شيئًا فشيئًا هنا بدأت فريدة تقلق وتتمسك بالشاب بقوة لأن الرياح قد اشتدت، فأمر الشاب الحصان بالعودة لمكان

آمن يهبطون به، وبالفعل غير الحصان تجاهه ولكن فجأة ظهرت دوامة كبيرة في عمق البحر، كانت الدوامة تجذبهم لأسفل، كان الحصان يقاوم ألا يقع بها، يرفرف بكلا جناحيه، يحاول ويحاول وفريدة تصرخ وهي تتشبث بالشاب و . . .

-فريدة، فريدة، استيقظي يا حبيبتي . . .

فتحت فريدة عينيها وهي تلتقط أنفاسها وقالت بلهفة:

-أنا هنا، أنا بخير.

همت أمها بالمسح على شعرها وقالت بحنو:

-كنتِ تصرخين في نومك يا عزيزتي، يبدو أنكِ متعبة جدًا.

-كيف جئت لسريري يا أمي . . . ؟

-روبوت قام بنقلك لأنكِ فقدتِ الوعي، وبمجرد أن أتصل بي تركت أهلي في دمنهور وجئت إليكِ، ماذا بكِ يا بنيتي طمئنيني عليكِ . . . ؟

-أنا بخير يا وتين، كل ما في الأمر أني في بداية الحمل.

هللت وتين وقالت بطريقة غير مصدقة وهي في قمة السعادة:

-حامل، منذ متى تعلمين . . . ؟

-لا يهم منذ متى يا أمي، المهم أنكِ علمتِ الآن .

-كم اتمنى أن يكون طفلك ذا بال طويل عنكِ يا فريدة .

ابتسمت فريدة بسمة مكسورة أنبتت بداخلها نبتة صغيرة وسط حطامها الداخلي وقالت بلهفة:

-اشتقت إليكِ يا وتين، اشتقت إليكِ بشدة .

ومن ثم خانتها دموعها وذرفت من عينها فقامت وتين بلهفة وعانقتها :

-وأنا أيضاً اشتقت إليكِ كثيرًا يا بنيتي .

تشبثت بها فريدة بشدة مثل الطفلة وهي تبكي بحرقة:

-أرجوكِ يا وتين لا تتركيني، ليس لي سواكِ، لا تتركيني .

مسحت أمها على شعرها وهي تعانقها وقالت بصوت مرتجف:

-سأظل معكِ إلى الأبد يا بنيتي، روحي مع روحك إلى الأبد .

***

بعد مرور بضعة أسابيع وصلت رسالة لفريدة من ليندا :

"فريدة يجب أن نتكلم، يجب أن أطمئن عليكِ"

فقامت فريدة بالرد عليها برسالة أيضًا :

"أنا بخير يا ليندا، وأنا لست مجنونة كما وهمتي زوجي بأني أحتاج لعلاج نفسي، لا أدري لمَ فعلتِ هذا . . . ! هل كنتِ ترغبين في زعزعة صورتي في نظر زين فيلجأ لكي فتتقربين منه وتكوني أنتِ في نظره العاقلة المنقذة وأنا المجنونة، على العموم أنا وزين انفصلنا فهو لكِ الآن، وإن كنتِ قلقة عليّ فأنا في وضع أفضل منكِ بكثير" .

ردت ليندا برسالة:

"ما الذي تقولينه ذا . . . ؟ ألن تتوقفي عن جنانك ذا . . . ؟ كنت أظن أن بعد مرور كل تلك الفترة تحسنت حالتك ولكن يبدو أن الوضع لم يتغير، أنا آتية إليكِ يا فريدة، لن أتركك هكذا مرة أخرى" .

ردت فريدة برسالة:

"وجودك غير مرحب به هنا ، لا أنتِ ولا أي شخص يتشكك بقواي العقلية" .

***

بعد مرور بضع ساعات ها هو جهاز إنذار الفيلا يصدر تنبيه بقدوم أحد ما، يظهر على الشاشة المنبثقة من هاتف فريدة شاشة منقسمة بينها وبين ليندا، فقالت فريدة بغضب:

-ألم أقل لكِ لا تأتي إلى هنا .

تمالكت ليندا نفسها وقالت:

-اعتبري أن هذا أخر لقاء بيننا يا فريدة، ولكن يجب أن أشرح لكِ بعض الأمور، صدقيني لمصلحتك .

قامت فريدة بفتح البوابة فدخلت ليندا، وبمجرد ما وصلت ليندا أمام باب الفيلا الداخلي وقفت فريدة أمام باب الفيلا بحزم وقالت:

-قولي ما عندك يا ليندا .

نظرت لها ليندا بتعجب وقالت:

-هنا . . . ! على الباب . . . !

ومن ثم قامت بإزاحة فريدة ودخلت مجلس الضيوف وجلست وقالت بثقة:

-أجلسي يا فريدة دعينا نتكلم بهدوء .

ضحكت فريدة بتهكم:

-هههه، آه تمثلين دور الطبيبة النفسية وأنا المريضة المجنونة .

أشارت لها ليندا كي تجلس وقالت:

-اعتبريني أنا المجنونة يا فريدة وسايريني .

جلست فريدة بضجر وقالت:

-قولي ما عندك يا ليندا ، ولكن أسرعي لأني متعبة ويجب أن ارتاح .

تعجبت ليندا وقالت متسائلة:

-متعبة، ما بك . . . ؟

-أنا حامل، وأحتاج لقدر كاف من الراحة .

مسحت ليندا بيدها على وجهها ومن ثم تنفست بعمق وقالت بنفاد صبر:

-يبدو أن حالتك ازدادت سوءًا يا فريدة .

وقفت فريدة وصرخت غاضبة:

-لِمَ أنتِ مصممة أن تجعليني أقتنع أني مجنونة، في البداية أقنعتي زوجي زين والآن تريدين أن تسيطري على تفكيري.

وقفت ليندا بحزم وأمسكت بكلا ذراعي فريدة وقالت بغضب:

-لأن زين لا وجود له، أنتِ موهومة.

صدمت فريدة لوهلة ومن ثم عادت لرشدها وقالت بغضب وهي تبعد يد ليندا عنها:

-توقفي أنتِ عن ظنكِ بي أني مجنونة، كيف تنكرين وجوده الآن وأنت رأيته معي في لندن عدة مرات. . . ! ؟

حسنًا سوف أثبت لكِ أن زين له وجود وإنه كان زوجي وأب ابني.

من ثم تحركت تجاه الباب وأكملت كلامها:

-سوف أحضر لكِ أمي كي تشهد لكِ بصدق كلامي. . .

أمي، وتين. . . تعالي إلى هنا. . .

اقتربت منها ليندا وقالت:

-لن تأتي يا فريدة، لن تأتي لأنها ماتت منذ أكثر من عام.

التفتت لها فريدة وهي مصدومة وقد امتلأت عينيها بالدمع، وقالت ناكرة:

-توقفي عن كذبكِ يا ليندا، توقفي، أمي هنا، كانت معي منذ قليل، سوف أريكِ بنفسي.

همت فريدة بالتحرك وهي في حالة إنكار وهي تتجه للطابق العلوي وهي تقول لليندا:

-سوف أثبت لكِ أنكِ على خطأ وأني على ما يرام، كل ما في الأمر أن أمي متعبة بعض الشيء ويبدو أنها نائمة.

ها هي ليندا تتبعها وهي تقول لها:

-فريدة أرجوكِ صدقيني، أنا هنا كي أساعدكِ.

هنا فتحت فريدة غرفة أمها ووقفت مذهولة، دخلت ورائها ليندا ومن ثم نظرت لفريدة بيأس وقالت وهي تلمس يدها:

-أرجوكِ يا فريدة عودي معي وستكونين بخير، كل ما في الأمر أنكِ تحتاجين لعلاج و . . .

تركت فريدة يد ليندا وقالت بجدة وهي تخرج من الغرفة:

-أترِكِ يدي لا تتصنعي أنكِ يهمكِ أمري .

وأخذت تنادي على أمها :

-وتين، أين ذهبتِ يا وتين .

من ثم نظرت لليندا وقالت:

-يبدو أنها خرجت من البيت ولم أشعر بها ، بعد قليل ستعود .

لمست ليندا سلسلتها فانبعثت شاشة منها وفتحت صورة وقالت لفريدة:

-وتين هذا قبر والدتك، وهذه صورتكِ وأنتِ بجوار قبرها ، أنتِ من طلبتي مني أن ألتقط لكِ تلك الصورة، أنظري .

وقفت فريدة تتأمل الصورة وهي مصدومة وعينيها تذرف الدمع وهي تقرأ اسم والدتها وتاريخ وفاتها وقالت بعد أن أعادت تركيزها ومسحت دمعها :

-كاذبة، إن هذه الصورة ليست حقيقية، أنتِ من قمت ب . .

صرخت بها ليندا وقالت:

-ولِمَ أفعل ذلك في صديقتي وأختي لِمَ . . . ! ؟

-هذا السؤال تسألينه لنفسك ليس لي أنا وهيا أخرجي من بيتي . . .

-فريدة لا يصح الذي تقولينه لي، أنا أريد مصلحتكِ .

بدأت فريدة تمسك بيد ليندا وتسحبها كي تنزل من على الدرج وهي تقول بغضب:

-أنا أعرف مصلحتي جيدًا هيا أخرجي من هنا ، لا أريد أن أرى وجهك .

بدأت ليندا تنظر لفريدة بحيرة وأسى وقالت وهي تنزل الدرج:

-فريدة هذه ثاني مرة تطردينني من بيتك وترفضي اهتمامي بكِ .

هنا وصلت فريدة للباب وفتحته وهي تدفع ليندا للخارج وقالت بغضب:

-لعل هذه المرة تجعلكِ تفهمين أنكِ غير مرغوب بكِ .

ومن ثم أغلقت فريدة الباب في وجهها ، فقالت ليندا بإصرار من وراء الباب:

-لن أتركك هذه المرة يا فريدة، سأظل هنا لكي تقتنعي بكلامي .

-كلامك كذب لا أريد أن اسمعه .

-أنا أعلم أن فقدكِ لأبيكِ كان صعب وبوجود أمكِ معكِ تجاوزتِ المحنة، ولكن عندما فقدتِ أمكِ منذ أكثر من عام، كنتِ حديثة التخرج فقررتِ الهروب من الصدمة بكثرة العمل، هربتِ من الصدمة ولم تعطيها الوقت اللازم للتعافي مثل ما فعلتِ بعد فقدكِ لأبيك كي تتعافي من صدمة الفقد ، بل كل ما فعلته هو أنك ضغطت على جرحك بفقدك لأمك وأكملتِ عملك لحد الإجهاد وعدم تعايشك للألم وعدم إعطائكِ حقه فعقلك نكر وجحد الفقد من الأساس لذا ساءت حالتك، تصنعك القوة وممارسة حياتك وبدء العمل في العيادة معي والضغط النفسي زاد الأمور سوءًا وذلك بتخيلك لزين الذي لم أره ولا مرة، وبسبب أنكاري لذلك قررتِ أن تبتعدي عني ولم توافقي أن أظل معكِ كي تتجاوزين تلك الصدمة لذلك بعد موت والدتكِ اقتربت أكثر من شخصية زين في عقلك، كي يعوضك عن الفقد الذي مررتِ به، واختلقتِ أحداث جديدة كي تشغلي عقلك وتخرجي من تلك الصدمة، ولكن هذا الوهم يزيد الأمر تعقيدًا أرجوكِ افتحي لي، وسوف أثبت لكِ . . .

-أرحلي من هنا لا أريد أن أعرف شيء .

***

صعدت فريدة غرفتها ونظرت من شرفتها فرأت ليندا ما زالت في الحديقة إلى أن حل المساء، بدأت فريدة تشعر بالتعب وقررت أن ترتاح في سريرها إلى منتصف الليل، ولكن النوم لم يعرف طريقه إليها بسبب كثرة الاجهاد الذي تمر به بسبب كثرة التفكير فقررت فريدة أن تخرج للشرفة كي ترى ليندا .

فخرجت ولم تجدها، حينها علمت أنها تعبت ورحلت كي ترتاح.

هنا وقفت فريدة أمام مرآتها وهي تنظر لنفسها بتشكك وتقول في قرارة نفسها :

-هل أنا مجنونة حقًا، هل أنا أتوهم . . . ؟ !

يجب أن أسكت كل هذه التساؤلات وأتأكد بنفسي، يجب ألا أفقد الثقة بنفسي بسبب مجرد ترهات .

***

تجهزت فريدة وخرجت من الفيلا وركبت سيارتها ، وفي خلال فترة وجيزة وصلت دمنهور مسقط رأس والديها ، فقالت فريدة في قرارة نفسها وهي تقف أمام بيت أهل أمها :

-أكيد أمي عادت للبيت لحدوث أمر طارئ، سوف أجدها هنا .

وبالفعل صعدت فريدة لشقة الدور الأول علوي في البيت وطرقت عدة طرقات على الباب ذا الطراز القديم، فتحت لها خالتها وعلى وجهها امارات النعاس ولكن سرعان ما فاقت وقالت بلهفة:

-فريدة حبيبتي، عاش من شافك يا عزيزتي، كلما كبرتِ صرتِ تشبهين أمكِ أكثر .

ومن ثم عانقتها بشدة بينما كانت فريدة شاردة وهي في حضنها تبحث عن أمها في الأرجاء بعينيها ، أخرجتها خالتها من حضنها بلهفة وهي تنظر لها بعينين دامعتين وهي تؤشر لها بالدخول:

-تفضلي يا حبيبتي، البيت بيتك، لقد اشتقت إليكِ كثيرًا .

نظرت لها فريدة بحيرة وهي تبحث عن أمها وقالت:

-أين أمي يا خالة . . . ؟

ذُرفت الدموع من عين خالتها ، واقتربت من فريدة وهي تضع يدها على كتفها مواسية لها :

-أمكِ موجودة في كل مكان، أمكِ تعيش بداخل هذا البيت بل وداخلنا كلنا ، وتين لم تفارقنا لحظة .

أبعدت فريدة يد خالتها عنها وقالت بغضب وهي تدخل غرفة أمها باحثة عنها :

-توقفي عن ألغازك ذي، أين هي أمي . . . ؟

لحقتها خالتها باكية لداخل الغرفة وقالت:

-أعلم أن فراقها صعب عليكِ يا فريدة بل صعب علينا جميعًا و . . .

التفتت فريدة وقالت بغضب وقد ثبتت عينيها في محجريهما من الصدمة:

-ماذا تقصدين بفراقها . . . ؟

اقتربت خالتها منها وعانقتها بشدة وهي تقول لها وهي تجهش بالبكاء :

-ماتت يا فريدة، ماتت منذ أكثر من عام، تقبلي قدر الله يا بنيتي، أعلم أن الفراق صعب ولكن لنا لقاء مرة أخرى بكل عزيز فارقنا ورحل عن دنيانا .

ظلت فريدة واقفة مرخية جسدها بين ذراعي خالتها شاردة وعينيها تذرف الدمع من الصدمة ومن ثم ثقل جسدها تمامًا بين يدي خالتها وفقدت الوعي .

بعد مرور بعض الوقت ها هي فريدة تعود لوعيها وبجوارها خالتها وبيدها كأس عصير وبيدها الأخرى تلمس شعرها برفق وهي تنظر لها بعينين لامعتين بسبب كثرة الدمع التي تجمح سقوطه وقالت بحنو:

-حمد لله على سلامتك يا عزيزتي، هيا يا حبيبتي أشربي هذا العصير .

قامت فريدة بتعب وسئلت بأسى:

-منذ متى وأنا هنا . . . ! ؟

مدت لها خالتها العصير بإصرار وهي ترد عليها :

-لم يمر الكثير من الوقت، فقدت الوعي ولكنك لتوكِ أفقتِ، لذا أشربِ هذا العصير يا عزيزتي .

أبعدت فريدة يدها برفق وقالت بصوت مكتوم كمن يلتقط انفاسه بصعوبة وكأن الدنيا كلها بحمولتها وهمومها جثت فوق صدرها :

-لا أريد أن أشرب شيء يا خالة صدقيني، أحتاج أن أتنسم الهواء في الشرفة فقط، واسمحي لي أن أكون بمفردي .

أومأت لها خالتها رأسها بأسى متفهمة رغبتها .

ها هي فريدة تقوم بصعوبة، وكأن وجود أمها في حياتها كان يشكل لها فقرات عمودها الفقري وبرحيلها شلت تمامًا عن الحراك .

قالت فريدة وهي تتقدم نحو الشرفة بأسى وعينين تنهمر بالدمع النابع من حرقة قلبها :

-كل من يشكل لي سند في هذه الحياة رحل عني وتركني، أبي وأمي ودكتور جون، وكذلك ها أنا مجنونة يتوهم لي، لِمَ أنا على قيد الحياة . . . ؟

أخذت تتنسم الهواء بصعوبة، ومن ثم رسمت على وجهها ابتسامة مكسورة وهي تبكي عندما تذكرت عندما رجعت بالزمن ليوم كتب كتاب ابيها وأمها ورأتهما وهما في سن الشباب* .

تذكرت اليوم التي كانت تقف في الشرفة مع أمها وهي لا تعلم أنها أبنتها وقد جاءت لها من المستقبل .

قالت فريدة بحيرة وهي تنظر للبيت المهجور الذي أمامها*:

-وهل يا ترى مغامراتي تلك ورجوعي بالزمن كان حقيقي أم لا . . . ؟

ولكن ليندا قالت لي أني تجاوزت فراق أبي لأني ظللت مع أمي إلى أن تمكنت من التعافي وهذا يعني أن رجوعي بالزمن ولقائي بفارس في هذا البيت المهجور حقيقي .

ولكن ليندا قالت لي أني اختلقت شخصية زين وبعد فراق أمي اختلقت شخصيتها أيضاً وهذا بسبب شعوري بالذنب لأني تركتها في مصر بمفردها واخترت أن أكمل حياتي من دونها .

بدأت فريدة تبكي بحرقة وهي تجثو أرضاً وتتكلم بصوت نادم:

-طلبت مني أن استقر معها في مصر بعد موت أبي، ولكني رغبت أن أرضي رغبة من مات عن رغبتها هي التي معي على قيد الحياة .

رغبت أن أرضي أبي الراحل وأن أحقق حلمه أولًا وأكون تلك الطبيبة التي تمناها ومن ثم أعود لمصر .

ضحكت فريدة بتهكم باكيةً وهي ترفع رأسها للسماء :

-أين أنت يا أبي يا من رغبت أن أرضيه وتركت بسببه أمي كي أكون طبيبة، بنتك الوحيدة يا حبيبي صارت مجنونة .

كنت تظن أن أبنتك ليس لها مثيل في قرارتها ، بل أبنتك تمتاز بحمق لا مثيل له .

من ثم انهارت باكية ووجهها للأرض:

-ولكن أقسم لك يا أبي لم يهن عليّ تركها ، كل ما في الأمر أني كنت أرغب أن أرضيك ومن ثم أرضيها بقية عمري .

ولكن مشكلتي دائمًا أني لا أنتبه لكلامها ، هي قالت لي لا أرحل وأظل معكما في آخر يوم في حياتك يا والدي، ولكني أصررت ورحلت وتركتك .

ومن ثم تركت أمي ولم أنتبه لرغبتها بوجودي معها ، المشكلة يا أبي ويا أمي أن المرء يفعل ما يشاء ويترك أحبائه ظنًا منه أنهم دائمين له .

ولكن الحقيقة ألا شيء ولا أشخاص يدومون في هذه الحياة الغدارة .

من ثم مسحت فريدة دمعها وحاولت أن تقف من جديد وقالت بحزم:

-توقفي يا فريدة، توقفي، ليس من طبعك الندم، أحمد الرب على ظهور ليندا في حياتي، تلك الصدمة بالحقيقة ما هي إلا بداية انقشاع نور الحقيقة في حياتي بعد ظلمة الوهم .

يجب أن أرى الأمور على حقيقتها .

أنا توهمت شخصية زين كي تعوضني عن فراقي لفارس، وكان موت أمي حافز لكي اقترب منه أكثر .

ولكن إن كان زين وهم كما تقول ليندا أنا حامل مِمن . . . ؟

الطبيب في المشفى هو الذي قال لي الخبر .

لا أكيد زين له وجود في الواقع أكيد . . .

هل يمكن يكون فارس هو من فعل بي هذا . . . ؟ !

وكذلك فارس ليس بوهم إن ريحانة أثبتت عودته للحياة .

من ثم نظرت فريدة للسماء وهي تفكر بعمق سارحة في القمر المكتمل وهي تقول في قرارة نفسها :

-يجب أن أعود حالاً كي أقابل ليندا كي أصل لحل و . . .

ولكن قطع كلامها الداخلي قلق مفاجئ بسببه تحولت نظرتها إلى الخوف وقالت في قرارة نفسها وهي تهرع خارجة من الغرفة مسرعة:

-ليندا ، يجب أن ألحق بليندا .

ها هي خالتها تلحق بها وتنادي عليها بقلق:

-فريدة حبيبتي إلى أين أنتِ ذاهبة الآن . . . ؟

ولكن فريدة لم ترد عليها ورحلت .

***

ركبت فريدة سيارتها وهي تتصل بليندا ولكن لا يوجد رد .

من ثم وصلت فريدة شارع فيلتها فرأت أمامها الكثير من الأنوار ، قادت سيارتها ببطء تحاول أن تستوعب هذا الحشد من السيارات، وبمجرد وصولها وخروجها

من السيارة سمعت صفير سيارات الشرطة وبمجرد أن لمحها شرطي أشر لرجال الأمن أن يقيدوها .

فريدة تجثو على ركبتيها ويقيد يدها من الخلف رجل أمن غشيم .

ولكن فريدة شاردة ذاهلة مصدومة تنظر لما حولها غير مدركة ما تراه وهي تقول في قرارة نفسها :

–هل هذا واقع أم كابوس . . . ؟ ماذا يحدث هنا . . . ؟

هنا يأمر الضابط رجل الأمن أن يقوم بأخذ فريدة في سيارة الشرطة وفريدة مصدومة وعينيها مثبتة لا تقدر على النطق أو السؤال حتى .

وبمجرد ركوبها لسيارة الشرطة بدأت ترى من نافذة السيارة كل شيء يدور أمامها ، الأسئلة تكثر في عقلها وتدور والدوار يسيطر عليها إلى أن . . . فقدت الوعي من جديد .

***

فريدة تجلس على كرسي فاقدة للوعي مقيدة اليدين للخلف، وفجأة تشعر بدلو من الماء البارد سقط عليها ، كان كفيل أن يجعلها تعود للحياة إن كانت ميتة لا أن يعيدها لوعيها إن كانت قد فقدته فقط .

فاقت فريدة وهي تشهق شهقة عميقة، ونظرت بصدمة لأمين الشرطة الذي أمامها ولكن سرعان ما قطع تفكيرها قبل أن يبدأ صوت ضابط الشرطة:

-لن نظل ننتظر حضرتك طول الليل أيتها القاتلة النائمة .

نظرت له فريدة بصدمة وقالت بتعجب:

-قاتلة . . . ! من القاتلة . . . ؟

ضحك الضابط وقال:

-الأمين مرسي هو القاتلة .

من ثم حول ضحكته إلى غضب وهو يطرق المكتب بكلتا يديه ويهم واقفًا :

-لا تتصنعي الغباء ، لا يوجد امرأة غيرك هنا .

بدأت فريدة تبكي وقالت:

-ولكني لست بقاتلة صدقني .

-المجني عليها آخر من تواصل معها كنتِ أنتِ وكان بينكما محادثة تدور حول شجار على رجل يدعى زين بدافع الغيرة وأظن أنه دافع قوي للقتل . . .

وكم أنتِ ذكية، بعدما انتهيت من عملية القتل بدأت تتصلين بها كي تبعدي الشبهات عنكِ بل ولم تكتفي بذلك بل حضرتِ لمسرح الجريمة بنفسك كي تبعدي الشبهات أكثر ولكنكِ لم تدركي أنكِ أقحمتِ نفسك في الجحيم .

بدأت فريدة تبكي تدافع عن نفسها :

-صدقني أنا لم أقتلها ، كان بيننا سوء تفاهم بسيط ولكني لم أقتلها ، بل لم أكن في البيت من الأساس، يمكنك أن تتأكد من وجودي في ذلك الوقت عند خالتي في دمنهور في العنوان التالي . . . . . .

بل يمكنك التأكد من الكاميرات في الفيلا لكي تتأكد من صدق كلامي .

-يتم فحصها الآن، ولكن يجب أن تعلمي أن بإمكانك التلاعب في كاميرات بيتك فلن نأخذها كدليل قاطع .

-صدقني لم أقتلها .

صاح بها الضابط بحدة وقال:

-إذن من الذي قتلها . . . ؟

وضع أمامها صورة ليندا وجثتها غارقة بالدم وكأن تم طعنها بخناجر بعرض جسدها .

انهارت فريدة عندما رأت جثة صديقتها وقالت:

-أقسم لك أني لم أفعل ذلك، كان مجرد سوء تفاهم وجاءت لي كي تتحدث معي ولكني رفضت حديثها ، ولكني بمجرد أن راجعت نفسي رغبت أن اقابلها وتتحدث سويًا ، كنت أتصل بها ولكنها لم ترد عليّ .

-وكيف ترد وأنتِ قمتِ بقتلها .

-لم أقتلها أقسم لك لم أقتلها .

-إذن من فعل ذلك نيابة عنكِ، يمكن أنتِ سلطتِ أحد بدلًا منكِ كي تبعدي نفسك عن مسرح الجريمة .

-لم أفعل ذلك صدقني، هذه صديقتي وأختي لا يمكن أن افعل ذلك بها .

جلس الضابط وتنهد بعمق بعدما أشعل سيجارة وقال:

-هل تشكين في أحد يمكن أن يفعل ذلك بكِ كي ينتقم منكِ بخصوص أمر ما ، هل لديكِ أي خلافات مع أحد . . . ؟

انتبهت فريدة وقالت كمن تذكر شيء بعدما ازدردت ريقها :

-نعم، أنا أمر بخلافات مع زوجي، بل كان زوجي أنا حاليًا طلبت الطلاق منه .

نفث الضابط دخان سيجارته وقال بثقة:

-جميل، وما هو سبب رغبتك بالطلاق .

-لأنه يشك بي أني أخونه .

ضحك الضابط وقال ساخرًا :

-هههههه أنتِ تخونيه وهو يخونك، يعني أنتما ولاد حرام مثل بعضكما البعض، أكملي .

-أنا لست بنت حرام، لا أسمح لك أنت تقول . . .

هنا صاح بها الضابط وهم أمسك بياقتها بقوة وسحبها فصارت أمامه مباشرة وقال لها بتهديد :

-إياكِ أن تملي عليّ ما الذي يجب أن أفعله أو أن أقوله، أتفهمين . . . ؟

وهيا أكملي لي أسباب الخلاف وهل تشكين في شخص آخر قد يكون له يد في هذه الجريمة .

ازدردت ريقها وقالت بتردد :

-نعم أشك في فارس، جاري في الفيلا الموازية لفيلتي .

-ولِمَ تشكين به . . . ! ؟

-لأني اكتشفت أنه قاتل متسلسل وعرفت مكان دفن الجثث، يمكن هو من قتلها .

ابتسم الضابط وقال بثقة:

-الله الله، قاتل متسلسل، وأنت متسترة عليه، هذه جريمة تضاف لكِ فوق جريمتك، يبدو أن سهرتنا طويلة، احكِ كل شيء بالتفصيل .

***

وبالفعل أكملت فريدة التحقيق وأعطت للضابط كل التفاصيل الخاصة بزين وفارس.

بدأت الشرطة بالبحث عن زين وفارس وهنا كانت الصدمة.

***

ها هي فريدة تدخل مكتب الضابط وهي مكبلة اليدين للأمام وعلى وجهها كل امارات التعب.

هلل بها الضابط وهو يقول ساخرًا:

-أهلًا بحضرة القاتلة المخادعة الخائنة.

قلتِ لي أنكِ تشكين أن زوجك هو من فعل ذلك لما بينكما من خلاف لأنه يظن أنكِ خائنة.

ولكن يا حضرة الطبيبة أنتِ غير متزوجة من الأساس، ولا وجود لهذا الزين الذي تتهمينه أنه زوجك.

قالت فريدة وهي مصدومة:

-كيف لا وجود لزين . . . ؟ أنا حامل منه . . . ! هو من أوصلني للمشفى عندما تعرضت للطعن، بل وقام ضابط بالتحقيق معه، هل راجعت كشف المشفى و . . .

قال الضابط بغضب وهو يهم واقفًا :

-بحثنا كما قلتِ تمامًا بل وأكثر من ذلك، موظفي المشفى قالوا إنهم وجدوكِ ملقاة أرضًا بعدما هبطتِ من السماء أي أنكِ تحاملتِ على نفسكِ إلى أنكِ وصلتِ للمشفى وهذا ما أثبتته كاميرا المراقبة، ولم يأت أحد لزيارتكِ قط .

-ولكن كيف . . . ؟ كيف لا وجود له . . . ؟

من ثم قالت بقلق:

-إذن هو فارس من فعل ذلك . . . هو القاتل .

تنهد الضابط بنفاد صبر وقال:

-إن الفيلا الموازية لفيلتك مهجورة منذ عدة سنوات، كانت تملكها امرأة اسمها رحاب كما ذكرتِ ولكنها ماتت وقد سبقها ابنها فارس بالموت .

بدأت فريدة تنظر لما حولها بإنكار وهي تقول بقلق وخوف قد غمرها :

-ولكنه حقيقي، حتى ريحانة قالت إنه حقيقي، أكيد هرب، يجب أن تبحثوا عنه، أنه قاتل . . . هل فتشتم القبو . . . ؟ القبو سوف يثبت صدق كلامي .

-نعم فتشنا القبو، كان قبو ذا بلاط قديم وعليه الكثير من التراب ولا يوجد لأثر قدم واحدة، مما يدل على عدم دخول أحد هنا منذ سنوات لا أنتِ ولا غيرك .

أنتِ المتهمة الوحيدة بقتل ليندا .

صرخت فريدة وقالت باكية:

-يوجد قبو أسفل القبو صدقني، لم أقتلها، لم أقتلها .

تنهد الضابط وقال بنفاد صبر:

-ما زلتِ تنكرين . . . ؟

من ثم لمس خاتمه فظهرت الشاشة فقام بتشغيل فيديو ووقف بجوارها وقال لها :

-هل ما زلت تنكرين أنكِ لستِ القاتلة . . . ؟ أليس هذا بدليل قاطع . . . ! ؟

كان الفيديو يعكس لفريدة صورتها وهي تفتح الباب لليندا وتبتسم لها وتدعوها للدخول، ومن ثم دخلت وراء ليندا لغرفة الضيوف وأغلقت الباب وراءها ،

والكاميرا الداخلية للغرفة تعكس هجوم فريدة عليها بعد ما ارتدت قفاز ذا مخالب حادة تشبه السكاكين .

قال لها الضابط بثقة:

-قمتِ بطعنها بدون رحمة أي كأنها ألد أعدائك، وبعد هجومك صعدتي لغرفتك ولكن لم نجد كاميرا سجلت ما حدث في غرفتك، ولكن بعد قليل خرجتِ من غرفتكِ بل من الفيلا تمامًا وسافرتِ لخالتكِ كي تلغي الشكوك حولك في وقت حدوث الجريمة ولكن يبدو أنكِ نسيتِ أن الطب الشرعي أثبت موعد قتل المجني عليها ، وكان وقت الحادث وقت وجودك في الفيلا .

بدأت فريدة تصرخ وتبكي:

-لست أنا ، لست أنا الفاعلة، أكيد زين أو فارس وإذا كان لم يكن لهما وجود إذن جواد هو من فعل ذلك .

ضغط الضابط بيده على رأسه وقال بتنهد :

-يبدو أنكِ لن تتوقفي عن اتهامك للغير رغم اثبات التهمة عليكِ .

-أقسم لك أنه جواد، جواد من فعلك ذلك، جواد هو السبب.

-خذها يا أمين لغرفة الطبيب النفسي كي يثبت سلامة حالتها العقلية.

***

بدأت فريدة تصرخ وهي تدخل غرفة الطبيب النفسي:

-أنا لست بمجنونة، أنا بكامل قواي العقلية.

فقاطعها الطبيب بصوت رخيم:

-إذا كنتِ بكامل قواكِ العقلية فهذا يثبت قيامك بهذه الجريمة.

بدأت فريدة تبكي وتتكلم بهدوء بعدما اذن لها الطبيب بالجلوس:

-أنا لست مجنونة أنا فقط كنت أعاني من حالة صدمة وكنت أتوهم بعض الأمور ولكني لست بمجنونة.

-أهدئي يا فريدة أنا هنا كي أشخص حالتكِ، احكِ لي كل شيء وأنا كلي آذان صاغية.

حكت فريدة كل شيء مرت به للطبيب وبعدما انتهى الحديث عادت فريدة لحجزها .

***

بعد يوم أصدر الطبيب تقرير بأن فريدة مريضة باضطراب عقلي بسبب عدة صدمات متتالية فهذا أثر على عقلها وإنها مصابة بالذهان الذي يسبب لها توهم مواقف لم تحدث وأشخاص لا وجود لهم .

وحالتها متذبذبة بين الواقع والخيال، بعض حديثها مبني على الواقع، يوجد شخصيات ذكرتهم وكان لهم تواجد حقيقي ولها صلة بهم في الواقع مثل الكاتبة رانيا صديقتها ولكن زين وفارس وأمها هم مجرد وهم بعد تأكدي بنفسي، لذا أطلب بنقلها لمستشفى الأمراض العقلية كي يتم علاجها وتتجاوز هذا المرض ولا يتعرض أحد للخطر على يدها أو حتى ممكن أن تعرض نفسها وجنينها للخطر .

***

# الفصل الرابع عشر

## نهاية المعاناة

فريدة في الحجز بمفردها والتعب سيطر عليها وبدأ النعاس يغلبها ولكنها تقاوم وتفكر في حالها غير مدركة ما يجري لها ، ولكن فجأة رأت ما قطع تفكيرها .

رأت فارس أمامها ، ضربت فريدة وجهها وقالت:

-لا وجود لفارس، لا وجود لزين، كل شيء يثبت أني مجنونة واهمة، لا تنساقي وراء وهمك .

قطع همسها صوت فارس وهو يقول بأسى:

-أنا لست وهم يا فريدة وزين ليس وهم، لا تنكري الحقيقة التي تراها عيناكِ حتى لو اقنعك الناس جميعًا بعكس ذلك .

أغمضت فريدة عينيها وقالت بحدة لنفسها وهي تضرب وجهها :

-توقفي عن جنانك يا فريدة لا تسايري وهمك، توقفي .

ولكنها سمعت صوت جعلها ترفع رأسها .

كان الصوت هو صوت ارتطام قضبان الزنزانة، بمجرد ما نظرت أمامها رأت أن قضبان الزنزانة من المنتصف تم ثنيها وفارس ها هو أمامها وقد ازداد جسمه ضخامة ويده ذات مخالب حادة، وقبل أن تفكر أو تدرك الموقف رأت رجال الشرطة يهمون بالدخول، ومن نظرة عينيها فهم فارس والتفت تجاههم وتحول في لمحة عين إلى ذلك الطائر الضخم، هنا وقف رجال الشرطة لوهلة غير مصدقين الموقف الذي أمامهم ولكن في ذات اللحظة صُدر أمر بإطلاق النار على الطائر، ولكن الطلقات لم تؤثر به قط، ظلت فريدة ورائه تحتمي به من ثم قال لها :

-أصعدي على ظهري يا فريدة .

وبالفعل صعدت فريدة ونامت على ظهره كي تحتمي من طلقات النار .

قام فارس بإطلاق نار لمدى قصير كي يبعد رجال الشرطة عنهما وهو يقول:

-أفسحوا الطريق لا أريد خسائر لأي روح.

ولكنهم استمروا في إطلاق النار، فأضطر فارس بأن يطلق لهب من فمه لهب شديد كي يبتعد كل من أمامه وبعد أن خرج من الزنزانة طلق لهب بشكل دائري في كل

الجهات كي يبعدهم عنهما كي لا تصاب فريدة بأي طلقة إلى أن خرج من قسم الشرطة وطار في السماء وحلق عاليًا .

بعد قليل توقفت صوت طلقات النار ، فرفعت فريدة وجهها وظلت تمسك بالطائر الذهبي بشدة وهي تقول بحيرة:

-أنا أحلم، أكيد هذا الحلم له نهاية .

ومن ثم نظرت للارتفاع فرأت أنها على ارتفاع شاهق كان المنظر كفيل أن يفقدها الوعي مرة أخرى .

***

فريدة تفتح عينيها فلا ترى أمامها سوى الظلام فقالت:

-مازلت في الحجز، كان مجرد حلم، يبدو أن حالتي تزداد سوءًا .

فجأة بدأت ترى الضوء ينسدل للداخل، الرؤيا بدأت تتضح أمامها ستارة تزاح وتكشف عن جدار زجاجي من خلفة سماء صافية وأمامها حمام سباحة، وكأن الغرفة بها جهاز حساس في حالة استيقاظ النائم تفتح الستائر مباشرةً .

بدأت تنظر حولها فوجدت نفسها في غرفة فخمة ذات لوني الأبيض والأزرق فقط .

هنا مسكت فريدة رأسها وقالت:

-أنا ما زلت في شهر العسل وكل الذي مررت به مجرد حلم .

من ثم تنهدت بعمق وقالت:

-الحمد لله أنه حلم .

هنا قطع تفكيرها صوت قادم من الخارج:

-حمد لله على سلامتك يا فريدة .

هنا همت فريدة من السرير وقالت بلهفة كي تقابله عند دخوله:

-حبيبي ز . . .

ولكن قبل أن تكمل كلامها ظهر أمامها فارس .

ترددت فريدة وتوقفت مكانها وقالت بحيرة:

-فارس . . . ! ما الذي أتى بك إلى هنا . . . ؟

ابتسم لها فارس وقال لها بثقة:

-لأني من أحضرتكِ إلى هنا يا عجيبتي .

- هل تقصد أني لست في شهر العسل مع زين وكل ما مررت به مجرد كابوس .

-لا، لقد انتهت علاقتك بزين، ولقد جئت بكِ إلى هنا كي تصفي ذهنك وتتقبلي الواقع بحلوه ومره ولا تجحدي بأي ذكرى مررتِ بها حتى وإن كانت سيئة .

تحركت فريدة تجاه الشرفة وهي تقول بحيرة:

-ولكن كل الأدلة أثبتت ألا وجود لك ولا وجود لزين .

أقترب منها فارس ووضع يده على ذراعها كي تلتفت وتنظر له وقال:

-أنا أشهد بصدقكِ وبوجود زين وزواجكِ منه لأني حضرت زفافكما ولكن كيف تقولين إن أمكِ ماتت منذ عام وأنا قد قابلتها .

نظرت له فريدة بتعجب وقالت:

-وكيف علمت بهذا الخبر . . . ؟

-كنت بجوارك دائمًا أثناء بوحك بكل شيء للطبيب النفسي هل تتذكرين عندما كنتِ بجواري في الموقف ذاته في الماضي* .

ابتسمت فريدة وقالت:

-يبدو أن التاريخ يعيد نفسه.

ولكن سرعان ما بدأت تفكر وقالت:

-يعني أنت رأيت أمي ولكن كيف...؟

-لا أعرف أدنى فكرة يا عجيبة.

فتحت فريدة الشرفة وخرجت تتنسم الهواء، تجاوزت حمام السباحة وقررت أن تجلس على حافة المكان الجبلي وأخذت تنظر للبحر الذي يقبع بالأسفل.

وبعد صمت استمر لفترة وجيزة نظرت فريدة لفارس وقالت بتعجب:

-إذا كنت تريدني أن اقتنع أن ما مررت به واقع وأني لست مجنونة وأنك رأيت معي أمي وحضرت زفافي بزين لَم تجد الشرطة لك أي أثر.

ومن ثم نظرت بحيرة وسألته:

-آه، وكيف أنت تقف في الشمس هكذا من دون كمامة أو نظارة أو قبعة...؟

ابتسم لها فارس وقال:

-لأني لا احتاج إليهم من الأساس، كنت ارتدي هكذا كي اقنعكِ فقط بمرضي لأن أعلم جيدًا أنكِ تفكرين في كل التفاصيل، ولكن بعد أن عرفتِ الحقيقة فلا داعي للاستمرار في الكذب.

بينما سؤالك لَيس لي أثر، فكيف تريدين أن يكون لي أثر وأنا مسجل أني توفيت منذ عدة سنوات. . . ؟ كان يجب أن أترك البيت، لأن قصتي لن يتفهمها أحد.

-والقبو الذي به الجثث. . . ؟ !

-لقد قمت بوضع طبقة اسمنتية وبلاط وطبقة من التراب تليق ببيت مهجور منذ عدة سنوات.

-يعني أنت هربت لأنك لا تريد أحد أن يعلم عنك شيء، ولكن لَم بمجرد وصولي لمصر أنا وزين ظهرت لنا في الشارع. . . !

-لأني شعرت بكِ يا فريدة.

-وكيف شعرت. . . ؟

-لا أدري كان مجرد شعور فخرجت لكي أتأكد وبالفعل كنتِ أنتِ.

وأنا من همست لكِ في أول ليلة وصلت بها مصر .

هنا نظرت له فريدة بتعجب وقالت:

-يعني أنت من همست لي بعجيبة في هذه الليلة . . . ! لم يكن زين هو من قالها . . . !

-بل كنت أنا يا عجيبتي .

مسكت فريدة رأسها وتساءلت:

-ولكن لِمَ زين أخفى كل شيء يدل على وجوده . . . ؟

-لا أدري يا فريدة .

-توجد حلقة مفقودة يا فارس، بل يمكن تحليل ما أمر به على احتمالين، الاحتمال الأول أن كل ما مررت به وهم وكذلك وجودك أمامي ما هو إلا وهم .

بينما الاحتمال الثاني هو أنك حقيقي لأن ريحانة اثبتت حقيقة بعثك مرة أخرى وهذا يثبت صدق وجودك معي ولكنك تزيد الأمور تعقيدًا بتأكيدك أن زين واقع

وأمي موجودة على قيد الحياة وهذا ما أنكرته ليندا وبالفعل تأكدت من موت أمي بنفسي.

-ماذا تقصدين يا فريدة، لم أفهم تحليلك . . . ؟ !

-أمي ما هي إلا روح وممكن أنا وأنت لدينا قدرة برؤية الأرواح كأنهم واقع . . . ؟ !

نظر لها فارس بتعجب وقال:

-هل تقصدين أن زين كذلك من ال . . . !

أكملت فريدة كلامها وقالت:

-نعم هو من الأموات، ولكن كيف لي أن أكون حامل من مجرد روح إلا لو كان . . .

-شيطان . . . !

نظرت فريدة بصدمة لفارس وقالت:

-هذا يعني أن زين هو . . .

في نفس واحد وملامح القلق رسمت على وجه كلاهما:

-جواد . . . !

قالت فريدة وهي تبكي:

-لقد زرع بذرة الشيطان بداخلي يا فارس سأنجب أحفاد للوسيفر، أعلم لا يمكن لأنسية أن تحمل مباشرة من شيطان ولكن لا أدري ما الحيلة التي فعلها زين معي . . . ! ؟ لقد أنتقم مني أشد انتقام يا فارس .

بنفس الصدمة قال فارس:

-بل انتقامه مني كان أشد ، لقد نهبكِ مني، لقد سرقكِ الشيطان مني كما سرق الصهيونيين أرض فلسطين .

لقد نهب أرضي وزرع بها زرعه الطالح .

قالت فريدة كمن بدأ تضح له الأمور على حقيقتها :

-لذلك اختفت ريحانة، لقد قرأت قصتها وعلمت أن زوج خالتها من عالم الجن لذلك يمكن يكون هو من حذرها كي لا تقحم نفسها معي .

من ثم أمسك يد فريدة بقوة وهو يقول لها بجدة:

-لا تفكري بريحانة الآن يجب أن تتخلصي من الشيطان الذي في بطنك يا فريدة .

صرخت به فريدة باكيةً:

-يجب أن أجد حل أخر .

***

بعد مرور عدة أشهر ها هي فريدة تقف على حافة الجبل، بفستان أبيض الذي يزيد جماله أكثر جسمها الرشيق، ها هو شعرها الطويل يتطاير مع الهواء وهي مغمضة العينين وهي تتنسم الهواء بعمق، ولكن سرعان ما تفتح عينها عندما تسمع صوت فارس القادم من البيت:

-أنا مستعد يا عجيبتي .

يظهر فارس وهو يحمل طفلة بين ذراعيه .

ها هو فارس يقترب منها وعلى وجهه ابتسامة .

ها هي فريدة تلمس وجهه برفق وتقول له:

–لقد حان الوقت يا عزيزي، ولكن يجب أن تفهم نيتي أنا لا أشك بك أبدًا ولكن يجب أن تعلم أن جواد سكن جسدك في الماضي، أريد أن أتخلص منه كي ننعم في حياتنا سويًا .

–وهل أنتِ واثقة من هذا . . . ؟ !

–هذا طقس يحدث في الهند يقوم الوالدان اللذان يشكان بوجود روح شريرة تسكن جسد أبنهما ، يقومون بإلقاء من يسكن جسده الشيطان من مكان عالٍ مع وجود ملائة كبيرة كي تلتقطه .

أنا بحثت والبحث أثبت أن السقوط يجب أن يكون من مكان عالٍ، وفي النهاية يصل الجسد سليم معافى والروح الشريرة تنفصل عنه في الهواء ولا تعود له ثانيةً .

–حسنًا يا عجيبتي سوف أفعل ما تقولينه لي، سوف أقوم بذلك أنا وهي سويًا كي نتخلص من أثر أي شر بداخلنا وكي يطمئن قلبك تجاهنا .

لمست فريدة وجه الطفلة ومن ثم نظرت لفارس وقالت له:

–أجعل ظهرك للماء وتمسك بالطفلة جيدًا ، كلها ثوان ونعيش في نعيم جميعًا .

ها هو فارس أعطى ظهره للبحر وضم الطفلة جيداً ونظر لفريدة وابتسم ومن ثم رمى جسده في البحر .

ها هي فريدة تنظر لفارس وهو يسقط في البحر ويدها على قلبها ، مر بضع ثوان ولم يخرج فارس من الماء ، بدأت فريدة تنادي بقلق:

-فارس، فارس، هل تسمعني، فارس، أخرج، لا تقلقني عليك، لم نتفق على ذلك .

بدأ دم يظهر على سطح البحر صرخت فريدة من شدة القلق وقفزت في البحر، وبمجرد أن غطست رأت ما لم تتوقع أن تراه .

رأت فارس وقد أخترق ظهره عامود خشبي مدبب ومازال يعانق الطفلة، أمسكت فريدة بالطفلة التي لم يخترقها العامود المدبب، سحبتها فريدة ورفعت رأسها هي والطفلة كي تلتقط أنفاسها وشرعت تبكي غير مصدقة ما رأته بأم عينها وهي تصرخ باكية:

-فارس، عد لي يا فارس أرجوك .

بدأت تبكي وهي تنظر لطفلتها وهي تقبلها باكية من ثم أغمضت عينيها :

-حمدًا لله أنكِ بخير ولكن فارس يا صغيرتي فارس .

هنا سمعت صوت أجش:

-قتلِته للمرة الثانية يا فريدة .

هنا فتحت فريدة عينيها وأخذت تنظر حولها باحثة عن صاحب الصوت، ولكن بمجرد أن نظرت للطفلة رأت على رقبتها علامة الشعلة التي أخذت تضيء أكثر، وعينيها الطفوليتين تحولا إلى جمرتين مشتعلتين، ورسم على وجهها ابتسامة قادمة من قعر الجحيم، ابتسامة تليق بطفلة من نسل لوسيفر .

بدأت الطفلة ملامحها تتحول إلى أن أخذت صورة جواد الذي بمجرد اكتمال هيئته بدأ يضحك متهكمًا منتصرًا وفريدة من هول الصدمة متصلبة مكانها لا تحرك ساكنًا .

-هههههه، لا أدري ما أقوله لكِ هل أقول لكِ أني اشتقت لهذا اللقاء بعد ما ظننتِ أنكِ انتصرتِ عليّ منذ عدة أعوام، أم لا يصح أن أقول ذلك لأني لم أتركك للحظة .

أتظنين ايتها الأنسية الضعيفة الساذجة أن تنتصري على ابن لوسيفر، هل تظني أن جنسكم الطيني الحقير ينتصر على جنسنا الأسمى، أم غروركم خدعكم أنكم الأذكى . . . ! بل أنتم لا يوجد لغبائكم مثيل .

هنا فريدة حاولت الهرب ولكن في تلك اللحظة كانت مكبلة من قدمها ويديها تحت البحر بنباتات بحرية تمسك بها بقوة شيطانية .

-لا تحاولي الفرار يا عزيزتي، لقد وصلنا للنهاية .

كنتِ تظني أنك ذكية ولكن الحقيقة أنا كنت أجعلك تصدقين ما أريدك أن تصدقيه، بل واستمتعت بألمك النفسي كثيرًا، كنت متأكد أن الانتقام السريع لن يكون بنفس اللذة مثل العذاب على المدى البعيد .

وهذا ما فعلته مع رحاب، أكنتِ تظنين أني طيب لهذه الدرجة ولن أنتقم منها .

بل انتقمت منها بالألم طويل المدى، جعلتها تفقد ابنها وزوجها وتعاني في حياتها من الحزن بسبب فقد الأحبة، وفي النهاية أعيد لها الأمل بعودة أبنها من جديد بعد موته

ولكن الشرط أن تكفر بالقدر وتأمن بقدرة السحر معترضة على قدرة خالقها الذي أخذ منها وحيدها ، بل لجأت للخالق لوسيفر العظيم كي ينجدها من بؤسها .

من ثم ضحك بتهكم وقال ساخرًا :

-ولكنها حمقاء أعطت الأمان لمن يكره جنس أدم الطيني الوضيع، بل ولجأت إلى عمة أمي عليا تلك الساحرة الشمطاء التي انتقمت لأمي منها ، لذا يجب أن تفهموا أيها الحمقى أننا لن نكون عون لكم أبدًا بل نحن مصيدة تقعكم في شر أعمالكم، نبدأ ندخل لكل واحد منكم من باب يتناسب مع رغباته، باب لا يستطيع فتحه غيرنا ، ربكم أغلقه في وجهكم لأنه خير لكم ولكن غبائكم يجعلكم تصرون على فتح هذا الباب لذا نحن كل ما نفعله نبدأ نوسوس لكم بهذا الباب الذي حرمكم ربكم منه، ونظهر لكم أن ربكم غير رحيم كما يصف نفسه لأنه حرمكم مما تتمنونه، لذا نحن نقترح عليكم أن نفتح لكم هذا الباب ونأتي لكم بما تشتهون، كما فعلنا مع أبيكم أدم بالضبط .

أعطاه ربه كل شيء ومنعه من شيء واحد فقط ولم يعبأ بما حرمه ربه منه ولكن كان يجب أن يدخل لوسيفر من ذلك الباب كي يثبت للرب أن أدم لا يستحق التكريم وأنه غير صادق في الإيمان والانصياع للأوامر .

لذا نحن ننتهج نهج أبينا لوسيفر تمامًا فندخل لكم من باب الشهوة، والشهوة معروفة أنها متعددة الأقسام، كل ما نسعى إليه أن نكشف وجهكم الحقيقي الذي تخبؤونه أسفل أقنعة الملائكة التي ترتدونها .

قاطعته فريدة وهي تنظر له بكره:

-على الأقل نعترف بخطئنا ونعود للرب باكين تائبين له مثل أبينا أدم، لذا يغمدنا الرب برحمته وينعمنا بجنته، لسنا أبالسة متمردين مثلكم تخطئون وتكابرون رافضين العودة للخالق .

نحن بني أدم جنس الأنس خطاء تواب لم نصف أنفسنا أبدًا بكوننا ملائكة، وإذا كنت تظن أن جنسك قوي صدقني أنتم لا تقدرون سوى على القليل منا ، لأنكم ليس لكم علينا سلطان .

ضحك جواد متهكمًا :

-هههههه ما زلت تتصنعي أنكِ ذكية ترددين بعد الأقاويل ناكرة ما فعلته بكِ، ألم تري زفافنا الذي حضرة عشيرة من الجن، استمتعت كثيرًا عندما تهيئ أحد من الجن على هيئة أبيكِ كي أتلذذ بعذابك وحزنك، حتى أمك التي كنتي تظني أنها أمكِ طوال هذه المدة بل الحقيقة هي جنية تمثلت بشكلها ، وللحقيقة أنتِ لستِ بمجنونة وأنا كنت معكِ في الحياة الواقعية لا مجرد خيال، وليندا شهدت على حبنا . . . ولكن عندما قبضت الشرطة عليكِ أخفيت كل شيء يثبت وجودي في حياتكِ كي اقنعكِ أنكِ مجنونة .

صاحت به فريدة غاضبة:

-لا تأتي بذكر اسم صديقتي على لسانك أيها الكاذب، أتريد أن أكذبها وأصدقك أنت . . . !

ضحك جواد ساخرًا :

-ليندا لم تكن نعم الصديقة لكِ يا فريدة كما تتخيلين، بل كانت خائنة لكِ لذا استحقت نهايتها ، وكما قلتِ إن ليس لنا عليكم بسلطان، ولكن يوجد من هم أبالسة الأنس يستحقون أن نتمكن منهم .

-كاذب، مخادع، لن تستطيع أن تشوه صورة صديقتي .

-صدقيني الطعنة لا تأتي لنا من بعيد ، يجب من يطعن الطعنة في ظهرنا أن يكون قريب، بل قريب جدًا منا .

آه وبالفعل أنتِ لم تكوني تعلمي بخبر موت أمك من الأساس، لأني في اليوم الذي ماتت به أمك طلبت من شركة الاتصالات أن تغير رقم هاتفك، فبالتالي لم يصلك أي مكالمة من أهلك كي تعلمي خبر موتها ، بل أمرت تلك الجنية أن تتواصل معكِ من حين لآخر كأنها والدتك لذلك لم تشكي في غيابها قط، وبمجرد نزولك لمصر قابلتِها .

ظلت الأمور هكذا إلى أن طلبت من ليندا كي تقوم بهذه المسرحية وتقول لكِ أنكِ كنتِ تعلمي بخبر موت أمكِ وتريكِ صورة مزورة لكِ بجوار القبر وتنكر وجودي كي تقنعك بجنونك .

ذرفت فريدة الدمع وقالت بغضب:

-ولِمَ ليندا تفعل هذا . . . ؟

ضحك جواد متهكمًا :

-ألم تفهمي بعد . . . ! قلت لكِ أنها خائنة .

حسنًا سوف أوضح لك .

منذ بداية علاقتنا كانت ليندا شاهدة على هذا الحب، بل تمنت أن تحظى بهذا الحب لا أن تكون شاهدة عليه فقط .

وبالفعل بدأ الكلام بيننا ومن صداقة إلى خيانة لكِ .

وبمجرد أن تزوجت أنا وأنتِ وبدأت لعبتي معكِ بالكوابيس التي أتحكم بها ، بل بالمواقف التي كانت تدفعك للجنون، بدأت اشكو لها سوء حالتكِ وأني لم أعد أتحمل حياتي معك، لذا قررت ليندا أن تودعك في مصحة نفسية كي أكون أنا لها .

لذا جاءت وكذبت ليندا وفعلت ما فعلته كي تقنعك وتكسب ثقتكِ وتأتي معها .

من ثم ضحك جواد وأكمل:

وللحق أنتِ ابتلعتِ الطعم وصدقتِ كلامها وشككت في نفسك أنكِ مجنونة وكنتِ تودي أن تعودي لها لأنك واثقة بها لأنك ساذجة ولكني كنت قد قضيت عليها .

مجرد خائنة حاقدة لا يحزن عليها أحد ، بل وفعلت ذلك أيضاً كي أنتقم منكِ برؤيتي لكِ تتعذبين عذاب طويل الأمد سواء في السجن أو مصحة المجانين .

بكت فريدة وهي تنظر بكره لجواد :

-ما الفائدة من كل ذلك . . . ؟

-الاستمتاع والتلذذ بألمك، ولقد استمتعت كثيرًا عندما أغلقت في وجهك كل الطرق التي يمكن أن تساعدك في حال شككتِ بي، طلبت منكِ كسر جهازك، بل استمتعت أكثر عندما كسرت جهازي الذي لم يكن حقيقي ولكن فكرة أن أرى قلبك ينفطر مع كل جزء أنكسر في الجهاز جعلني استمتع كثيرًا .

حتى ريحانة أصدرت تهديد لها من خلال الجن ميمون وهي فهمت التهديد جيدًا .

لعبتي معكِ هذه المرة كانت مسلية لأني تلاعبت بفكرك وشتتك بل وجعلتكِ تشكين في حبيب القلب فارس . . .

هههه، لا بل جعلتكِ تشكين في نفسك وأنتِ ابتلعتِ الطعم أنتِ والأخرق فارس الذي لا فائدة من حمقه أبدًا سواء في حياته السابقة أو حياته الحالية .

دائمًا أزين له طريق الشهوة ولكنه لا ينجرف له، في هذه الحياة خيرته أن يقتلك ويكون له حياة أبدية ولكنه من أجل حبه لكِ قرر أن تكون له حياة واحدة وها هو الأخرق قد خسرها ، مات موتة تليق بمصاص دماء وتد خشبي أخترق قلبه .

لذا كما تقولين ليس لي عليه بسلطان ولكن في كل مرة بذكائي أجعلك تقتلينه بدلًا مني .

وأنا حاولت أن أجعلك تقعي في الفاحشة ولكنك لم تنجرفي وراء عاطفتك وذلك لأن الشريف فارس أغلق هذا الباب .

لذا قررت أن أقتل صديقتك ليندا وتتهمين بقتلها وتتعذبين في السجن، وطبعًا كان لي سلطان على ليندا لأنها ارتكبت الكثير من الأخطاء كما قلت لكِ .

ولكن للحق لم تسير الأمور كما أردت ولكن كما تعلمي أن أولاد لوسيفر لا تنفد حيلهم .

نظرت له فريدة بثقة وقالت:

–وأنا لا أخاف من حيلك، أتدري لمَ . . . ! لأن الرب قال إني أعظم وأقوى منك، وأنا لست مغفلة كي أقع في شرك وسوستك مرة أخرى أيها الخناس .

ابتسم لها جواد وقال لها متهكمًا :

–لن أقتلك يا فريدة، بل سأجعلك في مكانك هكذا مقيدة إلى أن تموتي . . . أو أن تختاري طريقي وتكوني زوجتي وتذهبي لعالمي .

هنا تذكرت فريدة حلمها وقالت:

–لهذا كنت أرى تلك القلادة .

ابتسم لها جواد وقال بثقة:

–نعم، قلادة البومة رمز الإلهة ليليث زوجة الإله المتمرد إله النور لوسيفر، ليليث التي تركت أدم وذهبت للقوي لوسيفر .

صدقيني أنا لا أخدعك بل عشيرتي يعجبها قوتك وإصرارك، هذا يعني نسل قوي جدًا .

ضحكت فريدة وقالت متهكمة:

-فجأة صرت قوية وذكية، منذ قليل كنت تلعنني أنا وجنسي الأخرق . . . تعفن أنت وعشيرتك وإلهتك ليليث في عالمكم السفلي، ستظلون دائمًا في الدرك الأسفل وسنظل دائمًا المختارين خلفاء الرب ومكانتنا أعلى العليين .

من ثم ضحك جواد متهكمًا وقال:

-إذن أدعي ربكِ كي ينجدك من موقفكِ ذا، ها أنا ذا أنتظر .

بدأت فريدة تقرأ سورة الناس:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * بسم الله الرحمن الرحيم .

وها هو جواد يضحك متهكمًا ويقول ساخرًا :

-آه، لا توقفي، أنا أحترق، هههه .

فريدة لم تعبئ بكلامه وأكملت:

-قل أعوذ برب الناس * ملك الناس *

-هههه كفى، استعاذتك بربكِ لن تفيدك .

-إله الناس * من شر الوسواس الخناس *

هنا تحولت ملامح جواد إلى ملامح غضب وهو يقول بصوت أجش:

-قلت لكِ كفى .

ملامح القوة بدأت ترسم على وجه فريدة وتحديها زاد أكثر وهي تكمل:

-الذي يوسوس في صدور الناس * من الجِنةِ والناس .

أحمر وجه جواد من شدة الغضب وهو يقول بتحدي:

-توقفي، لن يفيدك ما ترددينه سبق وقمتِ به ووهمتك بأني كنت بداخل جسد فارس وقتلته ولكني كنت قد خرجت منه، ولم يصبني أي مكروه بل قتلتِ حبيب القلب وعشتِ تعاني بسبب قتله .

لم تكترث فريدة وأكملت:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم* بسم الله الرحمن الرحيم*

ضحك جواد ضحكة شيطانية متهكمًا :

-لن ينجدكِ كفي عن الاستعاذة به، توقفي واستغلي عرضي لكِ .

-قل أعوذ برب الفلق* من شر ما خلق*

صاح جواد وقال بتهديد :

-سينتهي الوضع بشكل لا يحمد عقباه .

-من شر غاسق إذا وقب* ومن شر النفاثات في العقد* ومن شر حاسد إذا حسد .

-لقد حذرتك . . .

هنا غاصت فريدة واختفت عن سطح الماء ، فغاص وراءها جواد وهو ينظر لها بحده ولكن في اللحظة التي رأى بها فريدة كان الأوان قد فات .

كانت فريدة تمسك بفرع مدبب وبكل ما أُتيت من قوة غرسته في أحشائه وهي تنظر له بتشفي ، فبدأ يتحول إلى هيئة الطفلة من جديد ومازال الفرع الخشبي يتوسط أحشاء الطفلة التي فارقت الحياة .

***

# الفصل الخامس عشر

## النهاية

ها هي فريدة ترتدي فستان ذا طراز عثماني وتمشي في حديقة خضراء، تمشي شاردة وهي تغمرها السعادة إلى أن يقطع شرودها صوت صفير، فتلتفت فريدة وتبتسم بمجرد ما رأته يؤشر لها كي تأتي إليه وتركب خلفه الحصان الأبيض.

وبمجرد ما اقتربت منه قالت ضاحكة:

-هههه الملابس الملكية تليق عليك كثيرًا يا فارس.

نزل من على الحصان وقال لها بلهفة:

-يجب أن تليق بي كي أليق بسموك يا جلالة الملكة.

ضحكت فريدة وهي تلكمه في صدره برفق:

-توقف يا فارس عن مزحك ذا.

ومن ثم غيرت دفة الحديث وقالت مبتسمة وهي تنظر للحصان:

-الآن أنت فارس حقيقي بهذا الحصان الأبيض ولكن لم ليس له جناحان مثل الذي رأيته في المنام.

-لم أجد غيره في الواقع، حمدًا لله أني وجدت الحصان الأبيض كان يوجد بني ولكني بحثت جيدًا إلى أن جلبت لكِ مرادكِ.

تنهدت فريدة بعمق وقالت والسعادة تغمرها:

-حمدًا لله أنك معي يا فارسي.

عانقها فارس وقال وهو ينظر للسماء:

-بل أنا من يحمد الرب على وجودك في حياتي يا منقذتي.

قالت فريدة بثقة وهي تضحك ضحكة تهكم:

-جواد لا يختلف عن لوسيفر في شيء، كلاهما نفس الغباء.

ضحك فارس وقال:

-هههه حقدهم يقعهم في شر أعمالهم يا عجيبتي.

ابتسمت فريدة وأكملت بثقة:

-لوسيفر بسبب حقده وكرهه لأدم ورغبته أن يجره معه لحفرة الجحيم لم يفده حقده شيء سوى أنه كتب على نفسه الطرد الأبدي من جنة الرب .

بينما جواد الذي قرر أن يأخذ بثأر أمه وينتقم من رحاب ويجرها للجحيم بسبب نقطة ضعفها ألا وهو أنت، كان رجوعك للحياة هذه المرة هو فرصتي لكي أصلح خطئي السابق بقتلك .

ولكن في هذه المرة كان مقدر لي أن أكون سبب موتك إذا اخترت حبي أو أكون سبب نجاتك وحياتك الأبدية بموتي .

وبالفعل أنت بسبب صدق حبك لي قررت أن تختار حياة واحدة وفي تلك الحياة مقدر لك أن تموت على يدي .

ولكن أنت في هذه الحياة تختلف عن الحياة السابقة بحاجتك إلى دمي، دمي الذي يداويك ويمدك بالقوة، لذا قررت أن أحملك وأخرج ذلك الفرع الخشبي من داخلك وأخرجتك للشاطئ، ولم يكن أمامي حل سوى حل واحد أن أجرح نفسي، جرحت نفسي بدبوس "البروش" في فستان" .

جرحت ذراعي وبدأ دمي ودمعي يسقطا على جرحك، وبالفعل التئم جرحك وكأن لا وجود له .

ابتسم لها فارس وقال لها :

-لا يوجد لي سوى حياة واحدة ولكني واثق إن أصابني أي مكروه طيلة حياتكِ ستكونين منقذتي، ولكن صدقيني أنا لا أريد أن أعيش من بعدك .

سأكتفي في هذه الحياة بالقوة التي استمدها من قربك، بينما إذا قدر لي أن أعيش بعدك لن أقتل حيوان واحد كي أعيش شهر من بعد فراقك، أنتِ الحياة وسبب الحياة يا عجيبتي .

-أنت قدري يا فارس .

-هل تظنين يا فريدة أننا التقينا في حيوات سابقة لا نعلمها على مر العصور . . . ؟

-سبق وقلت لك أني أحيانًا أشعر أننا كنا سويًا خلال أزمنة مختلفة، على العموم دعك من الماضي دعنا في الحاضر الجميل الذي يشبه النعيم .

نظر لها فارس بحيرة وقال لها :

-آه يا فريدة بما أنكِ قلتِ كيف أنقذتني بالأمس هل يمكن أن تقولي لي كيف تمكنتِ من جواد . . . ؟

-كان جواد يقيد يدي ورجلي بنباتات بحرية بقواه الشيطانية، ولكني تذكرت قصة النبي محمد عندما قرأ المعوذتين ومع كل آية كانت تحل عقدة، وهذا ما فعلته، كانا الإيمان واليقين يسيطران على قلبي وكل آية أقولها كانت تحل عني عقدة، إلى أن تحررت تمامًا حينها تذكرت أن هناك شجرة صغيرة تحت الماء غصت وكسرت فرعها وفي ثانية قمت بغرسها في جواد ولا تنسى أن الجن إذا مات وهي متهيء على هيئة غير هيئته الحقيقية يكون مات بالفعل، لأن جسده أمامي كان جسد مادي لا أثيري، جنى على نفسه لأنه تحدى خليفة الله .

-ولكن أين الطفلة . . . ؟

-بمجرد أن قتلته على هيئته تحول الجسد إلى جسد الطفلة وكان يتوسطها الفرع .

-هل قمتِ بدفنها . . . ؟

-لا بل تركتها تغرق وقررت أن أنقذك .

-ولكن يا فريدة . . .

-يجب أن أنسى أني كنت حامل في شيطان في جوفي .

نظر لها فارس بحنو وقال لها :

-بل علينا ألا نفكر في الماضي بعد ذلك، علينا أن نعيش اللحظة كما قلتِ .

ابتسمت فريدة وقالت بحب:

-صفحة جديدة ومن أول السطر .

عانقها فارس وهو يتجه بها تجاه الحصان وهو يهمس لها :

-بل كتاب حياتي الجديد كله لكِ وملك لكِ يا عجيبتي فلتكتبي قدري وحياتي معكِ كما تشائين .

نظرت له فريدة كمن تذكر شيئًا وقالت بلهفة:

-أوه، صحيح بخصوص الكتاب ذكرتني برانيا صديقتي المؤلفة، يجب أن أحكي لها ما مررت به، ستكون رواية تخطف الأنفاس .

***

## تعليق المؤلفة

أهلًا بعزيزي القارئ لا أريد أن أطيل عليك بتعليق طويل، ولكن لدي خبر لك أن الصراع لم ينتهي عند هذا الحد بل للصراع بقية.

وبقيته في "الجزء الثالث من أولاد لوسيفر" بعون المولى.

وتذكروا أن لنا في الخيال حياة ولقاء.

دمتم في أمان الله وبعد الله عنكم شر أولاد لوسيفر الخناس.

***

ملحوظة:

تلك العلامة في الرواية "*" معناها أن هذا الجزء مرتبط بالجزء الأول.

***

وفي النهاية نختم سويًا بالدعاء الذي تعلمته من شيخي الجليل

الدكتور يسري جبر

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ

كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ

لا تنسوني من دعواتكم لي أخوتي بالتوفيق

ولكم بالمثل والدعاء بالرحمة والمغفرة لوالدي البروفيسور رمضان عبد الله

هو وجميع أموات المسلمين

## أعمال أخرى لبنت البروفيسور

نركسوس (رواية نفسية اجتماعية)

بروفيتيا (رواية فانتازيا اجتماعية)

لاقيت الفضفضة- كيمياء السعادة (كتاب تنمية ذاتية وخواطر دينية)

جد ولعب وجرح وحب (ديوان بالفصحى والعامية)

طيف أروما (رواية رعب ورومانسية)

البروفيسور- الخلاصة لفهم الوجه الحقيقي للحياة (كتاب تنمية ذاتية وقصائد شعرية)

المهدي المنتظر (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج1 فارس وجواد (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج2 الخناس (رواية رعب ونفسية)

60 قانون لامتلاك السعادة وتجاوز صعوبات الحياة move on (كتاب تنمية ذاتية)

كتاب "تعلم تفسير الأحلام مع بنت البروفيسور"

كتاب "تعلم فن كتابة السيناريو مع بنت البروفيسور"

كتاب "خواطر منتصف الليل"

كتاب "رحلة ال 90 يوم" للتعافي والتحرر من الإدمان

كتاب "تعرف على اسرار التاروت مع بنت البروفيسور"

كتاب "رسائل الملائكة"

كتاب (اسوياء نفسيًا)

رواية الخليفة ج3 من أولاد لوسيفر

***

تمت بحمد الله

رواية "أولاد لوسيفر"

الجزء الثاني

"الخناس"

2023-5-15

رانيا رمضان

بنت البروفيسور